أروع ما قيل في الهجاء

إعداد

راجي الأسمر

دار النفائس

جميع الحقوق محفوظة

دار النفائس
للطباعة والنشر والتوزيع
شارع فردان - بناية صفي الدين
ص.ب ١١/٦٣٤٧ أو ١٤/٥١٥٢
برقياً: دانفايسكو - ت ٨١٠١٩٤
أو ٨٦١٣٦٧ بيروت - لبنان

الطبعة الأولى: ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

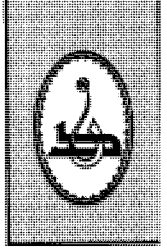

أروع ما قيل في الهجاء

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الإنسان قديم العهد بالهجاء عَرَفه مُذْ عرفَ الأدب نفسه ، فقد عرفت بابل في مسرحيّاتها الدينيّة شيئاً يُشبه الهجاء ، وشهدت مصر في قصائدها ألواناً في اللعنة على سارقي القبور والكنوز ، وترنّمت الصِّين والهند بقصائد الهجاء منذ أقدم العصور في ذمّ الشّرّ وهادمي السلم . وفي المسرحيّات اليونانيَّة القديمة ألوان من الهجاء في ذمّ المرأة الفاجرة ، أو الآلهة الغادرة ، أو اللّصّ الباغي ، أو التاجر البخيل . وفي شعر الملاحم عند اليونان والرومان كثير من أشعار الهجاء ، وكذلك في أشعار الفرس وغيرهم .

وفي العصور الوسطى ، كما في العصور الحديثة ، برع الهجاء عند مختلف الأمم في فرنسا ، وإنكلترة ، وإسبانيا ، وألمانيا ، وإيطاليا في مسرحيّات وقصائد لو حَلَّلْناها ، لوجدنا أنَّ الأدب الإنسانيّ متشابه على اختلاف الأمم والشعوب ، وأنَّ العقل والخيال والشعور متقاربة عند بني الإنسان يتناولون المعنى على بُعْد الدِّيار ، وتقلّب الأزمان ، فيقع الحافر على الحافر ، وتتشابه الخواطر .

واشتهر العرب بفنون الأدب الغنائيّ عامَّةً ، وأدب الهجاء خاصّةً ، فالعربيّ يثور على كلّ سلطة تحاول الحدّ من حرّيّته ، سريع الغضب ، يهيج للشّيء التافه ، فإذا اهتاج أسرع إلى السيف واحتكم إليه ، وبادر الشاعر إلى اللّسان يسلطه في ضروب الهجاء .

« وكان من ذلك كلّه ديوان في الهجاء كبير ، برع فيه الشّعراء في القول ، والبلاغة ، والفصاحة ، فعرضوا للأنساب ، والأحساب ، والأعراض ، والأخلاق ،

فصـوّروها في خيـال صادق أو كـاذب ، لا يبالـون بما يعتـرض سبيلهم ، من سمعة تتحطّم ، أو كرامة تتهشّم ، أو أرومة تتهدّم ، أو نسب ينهار ، أو عِرض يُفضَح . فقد كان الهدف النّصر على الخصم ليس غير ، يتناولونه من نواحيه ، فيبرزونه في شكل مُخْزٍ ، ويضعونه موضع السّخرية والحطّة والضّعة ، فإذا بلغـوا من ذلك مـا يريـدون انتصر هجاؤهم ، وظهروا على عدوّهم ، واشتهروا بين الأقوام ، وارتفعـوا إلى ذروة الأدب .

والمهمّ أنَّ الهجاء فنّ من فنون الأدب الرفيعة في الأدب العربيّ قد يُعين على تصوّر الحياة عند الأفراد وفي المجتمع ، وقد يساعد على تأريخ الحياة العربيَّة حين يصدق الشاعر » .

وإلى قيمته الأدبيّة والتاريخيّة ، للهجاء قِيَم أخرى ، منها فنيّة تظهر في الصّور الخياليَّة ، واللوحات الإبداعيَّة التي يرسمها الشاعر بفنّه ، ومنها قيمة تـرفيهيَّة ، ففي الكثير من صُور الهجاء ، تظرّف ، وتفكهة ، وسخرية ، ودعابة ، ونكتة ، ولطائف .

وقد تتبَّعتُ في كتابي هذا صُور الهجاء منذ العصر الجاهليّ حتى اليوم ، متوقّفاً عند بعض أعلامه المبرزين ، ومثبتاً ما وَجدته أنّه أحلى الصور الهجائيَّة ، مبتعداً كلّ الابتعاد عمّـا يخدش الحياء ، أو يثير النفور ، أو يبعث إلى الاشمئزاز ، وغير ذلك من أمور يمجّها الذوق ، وتأنف منها النفس الإنسانيَّة . وقد أضفتُ إلى ذلـك كلّه بعض القصائد الطريفة في المعارضات الشّعريَّة وفي بعض نواحي القول ، رأيتُ فيها طرافةً مضحكة ، وأدباً ساخراً ، ومتعةً أدبيَّة نادرة .

وبعد ، أرجو أن أكون قد وفّقت في كتابي هذا ، والله حسبي ، ونِعْم الوكيل .

المؤلـف

النفيسة ـ عكار ١٩٩١

الـهجـاء
التعريف به وأنواعه

١ ـ التعريـف بـه :

هو فنّ من فنون الأدب الغنائي ، يقوم على احتقار المهجوّ ، وازدرائه ، وسلب فضـائله ، وإلصاق المسـاوىء به ، والحطّ من قـدره ؛ وذلـك بـأن يجعله ضحكـة للسامعين ، وتفكهة للمتندّرين . وهو فنّ قديم ، عرفه الإنسان منذ أن عرف التعبيـر عن سخطه وكراهيته بطريقة فنّيّة . وقد عرّفه محمد أمين طه بقوله :

« الهجاء هو تعبير الشاعر عمّا يجـول بنفسه نحـو شخص من الأشخاص ، أو جماعة من الجماعات ، وقفوا منه مـوقفاً لا يحبّـه ولا يرضـاه ، فيجد نفسـه ساخـطاً غاضباً ، فيضطر إلى التخفيف عمّا بنفسه من ألم مبرّح يشعر به نحو من أذاه ، فيحاول إيذاءه بالكلام كأنّه يطهّر نفسه ممّا به من غيظ ، كما يعبّر عن ذلك أرسطو في نظريته المشهورة عن الفن »[١] .

أمّا محمّد حسين ، فقد عرّفه بقولـه : « إنّ الهجاء أدب غنـائيّ يصوّر عـاطفة الغضب ، أو الاحتقار ، أو الاستهزاء ، وسواء في ذلك أن يكون موضع العاطفة هو الفرد ، أو الجماعة ، أو الأخلاق والمذاهب[٢] .

٢ ـ أنـواعـه :

وما دام الهجاء صـادراً عن العاطفـة ، فهو ، إذن ، معـروف في آداب جميع

---

(١) جرير : حياته وشعره ، محمد أمين طه، ص ٣١٣ .
(٢) الهجاء والهجاؤون ، محمد حسين، ص ١٥ .

الأمم . أمّا في الأدب العربي فقد عرف أنواعاً عدّة منها :

أ ـ الهجاء الشخصي :

الذي يعتمد على مهاجمة الأفراد في :

١ ـ **خَلْقهم** : وذلك بإبراز العيوب الجسديّة ، والعاهات الظاهرة ، كالقبح والدمامة ، وطول الأنف والوجه ، واللحية ، وجحوظ العينين ، والعَرَج ، والعَوَر . . . وبالرغم من أنّ هذه الأمور لا تعدّ عيوباً في جوهرها ، فإنّ الشاعر ، لغاية في نفسه ، يمسخ مهجوّه ، ويجعله مادّة للهزء والسخرية . وفي غالب الأحيان يكون هذا النوع متأثّراً بالأهواء الشخصيّة ، بعيداً عن العدل والإنصاف ، وقد يبلغ حدّ المبالغة ، كما فعل ابن الرومي في هجائه لعمرو :

وَجْهُكَ يا عَمْرُو فيه طُولٌ ... وَفي وُجُوهِ الكِلاَبِ طُولُ

أو هجائه لصاحب الأنف الطويل :

لك أنْفٌ يا بْنَ حَرْبٍ ... أنِفَتْ مِنْهُ الأُنوفُ
أنْتَ في البَيْتِ تُصَلِّي ... وهو في السُّوقِ يَطُوفُ

٢ ـ **خُلُقهم** : وذلك بإبراز العاهات النفسيّة ، والعيوب المعنويّة ، مجسّمة ، للسخرية من أصحابها ، وحمل الناس على الابتعاد عنها . فهذا النوع يُعتبر دعوة للإصلاح ، وحرباً شعواء على الشرّ والرذيلة ، لما فيه من نقمة صريحة وظاهرة على المفاسد الأخلاقية ، كالبخل والجبن ، والغدر والكذب ، وما إلى ذلك ، كما جاء عند المثلث الأموي (الأخطل ، الفرزدق ، جرير) في النقائض ، والمعرّي أو كقول عبد الله بن أوفى الخزاعي في امرأته النمّامة ، والشّرهة ، والتي تسعى بين جيرانها بالدّسّ والوقيعة :

فإنْ تَشْرَبِ الزِّقَّ لا يَرْوِها ... وإنْ تَأْكُلِ الشَّاةَ لا تَشْبَعِ
وَلَيْسَتْ بِتَارِكَةٍ مُحْرَماً ... وَلَوْ حُفَّ بالأسَلِ الشُّرَّعِ [1]

---

(١) المحرم : الحرام . حفّ : أحيط . الأسل : الرماح . الشّرّع : المسدّدة .

أو هجاء جرير للراعي النميري :

وَلَـوْ وُزِنَـتْ حلوم بـنـي نُـمَـيْـرٍ على الـمِـيـزَانِ مَـا وَزَنَـتْ ذُبَـابَـا
فَـغُضَّ الـطَّرْفَ إنّـكَ من نُـمَـيـرٍ فـلا كَـعْـبـاً بَـلَغْـتَ ولا كِـلَابَـا

٣ - **عِرْضهم ونسبهم** : وذلك بالتعرّض إلى كلّ ما يحرص عليه العربيّ من العِرض وشرف الأرومة ، وطيب النسب ، والصيت الحسن ؛ وبما أنه كان يزعم بأنّ العار لا يأتيه إلّا من المرأة ، فقد كان يحزن عندما تولد له أنثى ، لأنّها تكون عرضة للسبي ، وإلحاق الذلّ والهوان إلى زوجها وأهلها في المستقبل .

وقد اتّخذ الشعراء هذا الموضوع مادّة للتهاجي ، وخاصة المثلّث الأموي واستعملوا ألفاظاً سافلة تمجّها الأنفس الكريمة ، وتأباها الأخلاق ؛ وكما قال جرير في هجاء الأخطل :

نِسْـوَانُ تَـغْـلِبَ لا حِـلْمٌ ولا حَـسَـبٌ وَلَا جَـمَـالٌ وَلَا ديـنٌ ولا خَـفَـرُ

أو قول أبي نواس :

نِـيـلَتْ بـأَدْنَـى الـمُـهُـورِ أُخْـتُـهُـمُ قَـسْـراً وَلَـمْ يَـدْمَ أَنْـفُ خَـاطِـبِـهـا

أو قول ابن عنين في هجاء ابن عساكر :

يَـا بْنَ الـدَّجَـاجَـةِ كُـلُّ الـنـاسِ كـان لهـا دِيـكـاً فـأَنْتَ آبْـنُ مَنْ حـتّى أَنـادِيـكـا

ب - **الهجاء السياسي** :

وهو الموجّه ضدّ الرؤساء أو الزعماء السياسيّين ، وقد نشطت حركته في العصر الأموي ، بسبب كثرة الأحزاب ، واستئثار بني أميّة بالخلافة ، وإحياء العصبيّة القبليّة التي كادت تزول في عهد الخلفاء الراشدين .

وبسبب تعدّد الأحزاب المطالبة بالخلافة ، كثر عدد الشعراء ، وكثر التهاجي بينهم ، والتعرّض لرؤسائهم ؛ وكان معاوية بن أبي سفيان يحرِّض شعراءه على معارضيه ، باذلاً لهم المال ، داعياً إيّاهم إلى أن يكونوا شعراء رسميّين للبلاط وكصحافة الحكومة في الأمصار . وهكذا كان الزعماء « يعتمدون على الشعراء في التمهيد لمشاريعهم ، ليطّلعوا على آراء الناس ، ومدى استعدادهم لقبولها ، قبل أن

يفاجئوهم بها ؛ كما فعل معاوية ، حين همّ أن يبايع لابنه يزيد ، مستحدثاً بذلك سنّة ولاية العهد ، فأوعز إلى مسكين الدارمي أن يتكلّم في ذلك ، فقال :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي مَا يَقُولُ آبْنُ عَامِرٍ ... وَمَرْوَانُ أَمْ مَاذا يقول سَعِيدُ
بَنِي خُلَفَاءِ اللَّهِ مَهْلاً فإنَّما ... يُبَوِّئُهَا الرَّحْمٰنُ حَيْثُ يُرِيدُ
إذا المِنْبَرُ الغَرْبِيُّ خَلَّاهُ رَبُّهُ ... فإنّ أمِيرَ المُؤْمِنِينَ يَزِيدُ[1]

وهذا النوع من الشعر نجده عند شعراء بني أميّة خاصة .

قال الأخطل في هجاء الأنصار :

ذَهَبَتْ قُرَيْشٌ بالمكارِمِ والعُلَى ... واللُّؤْمُ تَحْتَ عَمَائمِ الأنْصارِ

جـ - الهجاء الديني :

ظهر مع انتشار الدعوة الإسلاميّة ، إذ كان العرب بين مؤيّد ومعارض ؛ فنشأ الصراع الكلامي بين الشعراء . وسبق إلى هذه الحرب القرآن الكريم الذي أصلى الكفار ناراً حامية ، مبشّراً إيّاهم بعذاب أليم ، كما جعل شعراءهم في كلّ واد يهيمون ، يقولون ما لا يفعلون ؛ كما ندّد بكفر اليهود ، منذراً إيّاهم بسوء العاقبة .

ولعل أبرز من يمثّل هذا النحو ، هو حسّان بن ثابت القائل :

لَوْلا النَّبِيُّ وَقَوْلُ الحَقِّ مُغْضِبَةٌ ... لَمَا تَرَكْتُ لكم أنْثَى وَلَا ذكرا

وقوله أيضاً :

ذَهَبَتْ قُرَيشٌ بالعَلَاءِ وَأنْتُمُ ... تَمْشُونَ مَشْيَ المُومِسَاتِ الخُرَّعِ[2]
أنْتُمْ بَقِيَّةُ قَوْمِ لُوطٍ فَآعْلَمُوا ... وَإلى خَنَاثِكُمُ يُشَارُ بإصْبَعِ

د - الهجاء الاجتماعي :

وهو الذي يتناول الحالة الاقتصاديّة ، أو نقد الحياة الاجتماعيّة ، أو الفوارق الطبقيّة بين الناس ، وما يرافق ذلك من غنى فاحش ، وفقر مدقع ، نتيجة لتغافل

---

(١) الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني ، ٢٠/١٧٦ .
(٢) الخرَّع : مفرد الخروع ، المرأة التي تتثنّى ليناً .

الحكام ، أو لضعف سيطرتهم ، أو لميلهم لفئة دون أخرى . كما قال دعبل الخزاعي في هجاء المعتصم ، لتعصّبه للأتراك وحمايته لهم :

لقد ضاع أمْرُ النَّاسِ حِينَ يَسُوسُهُمْ «وَصِيفٌ» و «أشْنَاسٌ» وَقَدْ عَظُمَ الكَرْبُ[1]

وإنّي لأرْجُو أنْ تَرَى مِنْ مَغِيبِهَا مَطَالِعَ شَمْسٍ قَدْ يغصُّ بها الشَّرْبُ

وهمّك تركيٌّ عليه مهانَةٌ فأنت له أمٌّ وأنتَ له أبُ[2]

---

(١) وصيف وأشناس : غلامان من الأتراك الذين جلبهم المعتصم ، وقد صارا فيما بعد من قوّاده .

(٢) ديوانه ص ١٩ ـ ٢٠ .

الهجاء في العصر الجاهلي

الهجاء فنّ قديم في الأدب العربي ، عُرف في الجاهليّة مقروناً بالمديح والفخر ، وهو على نوعين : فردي وقبلي . فالفردي يقوم على تصوير المثالب الشخصية للفرد وتجريده من الفضائل التي كان العربي يحرص عليها منذ نشأته كشرف الأصل ، والشجاعة ، والكرم ، وإغاثة الملهوف ، والصيت الحسن . وكان من دوافعه المنازعات التي تقوم بين الأفراد ، فينعت الشاعر مهجوّه بالخساسة والدناءة والحقارة .

أما الهجاء القبلي ، فيقوم على الذود عن القبيلة ، لأنّ حياة الجاهلي كانت عبارة عن قتال وغزو دائمين ؛ وكان الشاعر خير سلاح في هذا المجال ، وهو الناطق باسم القبيلة ، إذ يبدو في هجائه وكأنّه مؤرّخ ، وعالم بالأنساب والأيّام ؛ وللشاعر مكانة كبرى بين قومه ، لأنّه بشعره يخفضهم أو يرفعهم ؛ لذلك كان الناس يَفِدُون على القبيلة مهنّئين إذا ما نبغ فيها شاعر وذهب صيته ، كما قال ابن رشيق[1] .

وأهمّ مميّزات الشعر الجاهلي هو عدم استقلاليّة القصيدة الهجائية ، إذ كانت كالمديح ، أو الغزل ، أو الخمر . . . جزءاً من قصيدة عامة تتناول عدّة موضوعات ، كما يتميّز ببعده عن الفحش في الألفاظ والإقذاع في المعنى .

ومن أبرز شعراء الهجاء في العصر الجاهلي النابغة الذبياني ، وأوس بن حجر ، وزهير بن أبي سلمى ، والحطيئة ، وهو أشهرهم على الإطلاق ، ولذلك سأكتفي بعرض بعض نماذج هجائه كصورة صادقة عن الهجاء في العصر الجاهليّ .

---

(١) العمدة ، لابن رشيق ، ج ١ ، ص ٤٩ .

الحطيئــة

هو جرول بن أوس بن مـالك بن جؤيّـة بن مخزوم من بني عبس من مضـر . ولقّب بالحطيئة لدمامته ، وقيل لقصره وقربه من الأرض .

ولد من أمة تدعى الضرّاء ، حملت من سيّدها أوس ، واضطرّت أن تكتم الأمر عن سيّدتها ، زاعمة أنّها حملت من أخي سيدتها « الأفقم » . ولمّـا مات سيّـدها ، وأعتقتها سيّدتُها ، تزوجت من رجل عبسيّ ، اعترفت بأنّها حملت من سيّدها . ولمّا شبّ الحطيئة حاول الالتحاق بإخوته من أبيه فلم يُفلح ، والتحق بأهل امرأة أبيه من بني ذهل ، فلم يلق منهم إحساناً ، فقضى أيّامه متنقّلاً بين القبائل مادحاً من يعطيه ، وهاجياً من يمنعه .

ولعلَّ دمامته وقبح منظره ، وخشونة حياته وإخفاقـه في مساعيـه كانت من أهم أسباب إضعاف حبّ الناس له والعطف عليه ، فتملّكـه حبّ الهجاء ، إلى أن صـار يُخشى جانبه ، وذلك تشفّياً وانتقاماً : من أمّه التي حملته شهـوة ، وتركتـه نكرة في المجتمع ، ومن والده ، ذلك الأب المجهول ، الذي لم يورثه إلّا الذلّ والعار ، ومن الدهر الذي جمع كل القبائح ووصمه بها ، جاعلاً منه سخرية للناس ، وتسلية لهم .

كلّ هذه الأمور جرّدته من روح العصبيّة الصحيحة ، وأفقدته الحياء ، وجعلت منه هجّاءً يُخاف بطشه ، وقد اتّخذ الهجاء وسيلة للكسب وسبباً للمعاش .

وفي أواخر أيامـه أسلم ، ولكن إسلامـه ، لم يمنعه من الهجـاء الذي أودعـه السجن عندما شكاه الزبرقان بن بدر إلى عمر بن الخطاب .

وفي سنة ٦٧٩ م كانت وفاته . « ويروى أنّه لما حضرته الوفاة أوصى بأن يُحمل على أتان إلى أن يموت ، قائلاً في ذلك : إنّ الكريم لا يموت على فراشه ، فحمل على أتان تذهب وتجيء به وهو يقول :

لا أحَدٌ ألأمُ مِن حُطَيَّهْ هَجَا بَنِيهِ وهجا المُرَيَّهْ
مِنْ لُؤْمِهِ مَاتَ على فُرَيَّهْ[1][2]

عوامل هجائه :

كان اضطراب نسبه ، وتنكّر الأقارب له ، قد جعلا الحطيئة ميّالاً إلى الحقد على الناس ، وهجائهم ، منكراً ما يستحسنونه ومستحسناً ما ينكرونه ، وهذا ما دفعه إلى أن يكون مزاجيّاً في تفكيره متقلّباً في رأيه . كما أنّ فقره ، وحاجته الماسّة إلى المال دفعاه إلى هجاء الناس ، لتأمين رزقه ، وهذا ما حمل معظم الناس على إعطائه دفعاً له ، واتّقاءً لشرّه . وقيل : إنّ عمر بن الخطّاب قد اشترى منه أعراض الناس بثلاثة آلاف درهم ، وقال له : « إياك وهجاء الناس » ، فقال له : « يموت عيالي جوعاً ، هذا مكسبي ومنه معاشي » .

وهكذا كان هجاء الحطيئة على نوعين : نوع للتكسّب وآخر إرضاءً لنفسه كالذي قاله في نفسه وأمّه وأقربائه ، بأسلوب بعيد عن الفحش والإقذاع ، مفعم بالتهكّم ونعت المهجو بالافتقار إلى الخصال الحميدة كالكرم والشجاعة وإغاثة الملهوف .

خرج الحطيئة يوماً ، وقد هاجته الرَّغبة في الهجاء ، فأخذ يردّد :

أَبَتْ شَفَتَايَ اليَوْمَ إلاَّ تَكَلُّماً بِسُوءٍ فَمَا أَدْرِي لِمَنْ أَنَا قَائِلُهْ

ولمّا لم يرَ أحداً ، أطَلّ على بئر ، فرأى صورته ، فقال :

أَرَى لِيَ وَجْهاً شوَّه اللَّهُ خَلْقَهُ فَقُبِّحَ مِنْ وَجْهٍ، وقُبِّحَ حَامِلُهْ

وقال يهجو أمّه :

جَزَاكِ اللَّهُ شَرّاً مِنْ عَجُوزٍ وَلَقَّاكِ العُقُوقَ مِنَ البَنِينِ
فقد مُلِّكْتِ أمرَ بَنِيك حتّى تركتِهِمُ أدقَّ منَ الطحينِ

---

(١) المريّة : تصغير المرأة ـ الفريّة : أنثى الحمار .
(٢) تاريخ الأدب العربي ، لحنا الفاخوري ، ص ١٩٥ ـ ١٩٦ .

فـإن تُـخْـلِي وأمْـرُكِ لا تـصـولـي بـمـشـتـدٍّ قُـوَاهُ ولا مـتـيـنِ[1]

وقال يهجوها أيضاً :

تَـنَـحَّـيْ وَآجْـلِـسِـي مِـنـي بـعِـيـداً أَرَاحَ الـلَّـهُ مِـنْـكِ الـعَـالَـمِـيـنَـا!
أَلَـمْ أُظْـهِـرْ لَـكِ الـبُـغْـضَـاءَ مِـنِّـي ولٰـكِـنْ لا أخـالُـكِ تَـعْـقِـلِـيـنَـا
أغِـرْبَـالاً إذا آسْـتُـودِعْـتِ سـرّاً وَكَـانُـونـاً عـلى المُـتَـحَـدِّثِـيـنـا[2]
حَـيَـاتُـكِ، مـا عَـلِمْتُ، حَـيَـاةُ سُـوءٍ وَمَـوَتُـكِ قَـدْ يَـسُـرُّ الصَّـالِـحِـيـنَـا

* * *

وقال يهجو زوج أمّه :

لَـحَـاكَ الـلَّـهُ! ثـمّ لَـحَـاكَ حَـقّـاً أبـاً! وَلَـحَـاكَ مِـنْ عَـمٍّ وَخَـالِ[3]!
فَنِعْمَ الشَّـيْـخُ أنْتَ لَـدَى الـمَخَـازِي وَبِئْسَ الشَّيْـخُ أنْـتَ لَـدَى المَـعَـالي
جَـمَـعْـتَ الـلُّؤْمَ، لا حَـيَّـاكَ رَبّـي وَأَبْـوابَ الـسَّـفَـاهَـةِ والـضَّـلَالِ

* * *

تزوّج كلبُ بن كُنَيِّس أمَّ الحطيئة ، فهجاها ، وهجا زوجها ورهط بني جحش ، قائلاً :

وَلَقَـدْ رَأَيْتُـكِ في النِّـسـاءِ فَسُـؤْتِنِي وَأَبَـا بَنِيـكِ، فَسَـاءَني في المَجْلِسِ
إنَّ الـذَّلِـيـلَ لَـمَـنْ تَـزُورُ رِكَـابُـهُ رَهْطَ آبْنِ جَحْشٍ في مَضِيقِ المَحْبِسِ
لا يَـصْـبِـرُونَ وَلَا تَـزَالُ نِـسَـاؤُهُـمْ تَشْكُـو الهَـوَانَ إلَى البَئِيسِ الأَبْـأَسِ
رَهْطُ آبْنِ جَحْشٍ في الخُـطُوبِ أذِلَّـةٌ دُسْمُ الثِّيَـابِ قَنَـاتُهُمْ لَمْ تُضَـرَّسِ[4]

---

(١) الأغاني ، ج ٢ ، ص ٢٦٥ .
(٢) الغربال : النمّام . الكانون : الثقيل من الناس .
(٣) لحاك الله : قبّحك ولعنك .
(٤) دسم الثياب : وسخة ، مدنّسة ، وهنا كناية عن دنس الأخلاق . لم تضرّس : لم تجرّب .

بالهَمْزِ مِنْ طُولِ الثِّقَافِ وَجَارُهُمْ ... يُعْطَى الظَّلامَةَ في الخُطُوبِ الحُوَّسِ (١)
قَبَّحَ الإلهُ قَبِيلَةً لَمْ يَمْنَعُوا ... يَوْمَ المُجَيْمِرِ جارَهُمْ مِنْ فَقْعَسِ (٢)
تَرَكُوا النِّسَاءَ مَعَ الجِيَادِ لِمَعْشَرٍ ... شُمْسِ العَدَاوَةِ في الحُرُوبِ الشوَّسِ (٣)
أبْلِغْ بني جَحْشٍ بأنّ نِجَارَهُمْ ... لُؤْمٌ وأنَّ أبَاهُمُ كالهِجْرِسِ (٤)
يُعْطِي الخَسِيسَةَ راغماً مَنْ رَامَها ... بالضَّيْمِ بَعْدَ تَكَلُّحٍ وَتَعَبُّسِ (٥)

وقال فيهم أيضاً :

لَهُمْ نَفَرٌ مِثْلُ التُّيُوسِ ونِسْوَةٌ ... مَمَاجِينُ مِثلُ الآتُنِ النَّعِرَاتِ

* * *

وقال يهجو أحد أضيافه (صخر بن أعيى) :

لَمّا رَأَيْتُ أنّ مَنْ يَبْتَغِي القِرَى ... وأنَّ آبْنَ أَعْيَى لا مَحَالَةَ فَاضِحِي
شَدَدْتُ حَيَازِيمَ آبْنِ أَعْيَى بِشَرْبَةٍ ... عَلَى ظَمَإٍ سَدَّتْ أُصُولَ الجَوَانِحِ (٦)
وما كُنْتُ مِثْلَ الكَاهِلِيِّ وَعِرْسِهِ ... بَغَى الوُدَّ من مَطْرُوفَةِ العَيْنِ طامِحِ (٧)
غَدَا باغِياً يَبْغِي رِضاها وَوُدَّها ... وَغَابَتْ له غَيْبَ آمْرِىءٍ غير ناصحِ (٨)

---

(١) الهمز : العضّ والقطع . الثقاف : حديدة أو خشبة تقوّم بها الرماح وتسوّى ، الخصام . الخطوب : ج. الخطب ، وهو الأمر الشديد . الحوّس : المكاره التي تنزل بالقوم .
(٢) المجيمر : أرض لبني فزارة . فقعس : حيّ من بني أسد .
(٣) شمس العداوة : أشدّاء على الأعداء . الشوّس : ج. أشوس ، وهو الجريء في القتال ، وهنا بمعنى الذي ينظر بمؤخّر عينه من العداوة .
(٤) النجار : الأصل . الهجرس : ولد الثعلب ، وهنا اللئيم .
(٥) الخسيسة : القليل من الشيء ، التافه . رام : طلب . الضيم : الإذلال . التكلّح : التعبّس الشديد .
(٦) الحيازيم : ج. الحيزوم ، وهو الصدر . سدّت أصول الجوانح : أي ملأت جوفه .
(٧) الكاهلي : رجل من بني كاهل بن أسد دسّت له امرأته السمّ فمات . والمعنى : أنّه أكرمه ، ولم يفعل به كما فعلت زوجة الكاهلي بزوجها .
(٨) غابت له : أضمرت له .

دَعَتْ رَبَّها ألاّ يَزَالَ بِحَاجَةٍ ... وَلاَ يَغْتَدِي إلاّ على حَدِّ بَارِحِ [1]

فَلَمَّا رَأَتْ ألاّ يُجِيبَ دُعَاءَها ... سَقَتْهُ عَلَى لَوْحٍ دِماءَ الذَّرارِحِ [2]

وَقَالَتْ: «شَرَابٌ بَارِدٌ فَاشْرَبَنَّهُ» ... وَلَمْ يَدْرِ ما خاضَتْ لَهُ بالمجادِحِ [3]

فَشَدَّ بِذا خُزْياً على ذِي حَفِيظَةٍ ... وَهَانَ بِذَا غُرْماً عَلَى كَفِّ جَارِحِ [4]

فردّ عليه صخر قائلاً :

ألاّ قَبَّحَ اللَّهُ الحُطَيْئَةَ إنَّهُ ... عَلَى كُلِّ ضَيْفٍ ضافَهُ هو سَالِخُ [5]

دُفِعْتُ إلَيْهِ وَهْوَ يَخْنُقُ كَلْبَهُ ... ألاَ كُلُّ كَلْبٍ، لا أبا لَكَ، نَابِحُ

بَكِيتَ على مَذْقٍ خَبِيثٍ قُرِيتُهُ ... ألا كُلُّ عَبْسِيٍّ عَلَى الزَّادِ شَائِحُ [6]

* * *

وقال يهجو ضيفاً آخر :

وَسَلَّمَ مَرَّتَيْنِ؛ فَقُلْتُ: «مَهْلاً ... كَفَتْكَ المَرَّةُ الأُولَى السَّلاَمَا»

وَنَقْنَقَ بَطْنُهُ وَدَعَا رُؤاساً ... لِمَا قَدْ نَالَ مِنْ شَبَعٍ وَنَامَا [7]

* * *

وقال يهجو فريقاً من بني عبس ، وهم بنو بجاد :

. . . فَأَمَّا بِجَادٌ رَهْطُ جَحْشٍ فَإِنَّهُمْ ... عَلَى النَّائِبَاتِ لا كِرَامٌ وَلاَ صُبُرْ

---

(١) البارح : من الطير أو الوحش ، ما مرّ من يمين الرائي إلى يساره ، والعرب تتشاءم به . والمعنى : أنّها تتمنّى لزوجها أن يذهب على شؤم .

(٢) اللوح : العطش . الذرارح : ج. الذرّاح ، من السموم القاتلة ، وهي دابّة صغيرة حمراء منقّطة بسواد .

(٣) المجادح : ج. المجدح ، وهو آلة لخلط الطحين باللبن أو الماء أو نحوهما .

(٤) الخزي : العار . الحفيظة : الغضب .

(٥) سالخ : أصابه بشرّ .

(٦) المذق : المخلوط بالماء . قُرِيتُهُ : أُطْعِمْتُه . شائح : حذر .

(٧) نقنق بطنه : قرقر . رؤاس : بنو رؤاس ، وهم حيّ من كلاب .

إذا نَهَضَتْ يَـوْمـاً بِجَـادٌ إلَـى العُـلَى ... أَبَى النَّاشِىءُ المَوْهُونُ وَالأَشْمَطُ الغُمُرْ[1]

تَـدُرُّونَ إنْ شُـدَّ الـعِصَـابُ عَـلَيْكُـمُ ... وَنَـأْبَى إذا شُـدَّ العِصَـابُ فَـلَا نَـدُرْ[2]

نِعَـامٌ إذا مَـا صِيـحَ في حَجَـرَاتِـكُمْ ... وأَنْتُمْ إذا لَمْ تَسْمَعُـوا صَـارخـاً دُثُـرْ[3]

تَـرَى اللُّؤْمَ مِنْهُمْ في رِقَـابٍ كـأنّهـا ... رِقَـابُ ضِبَـاعٍ فَـوْقَ آذَانِهـا الغَفَـرْ[4]

إذا طَـلَعَتْ أُوْلَـى المُـغِيـرَةِ قَـوَّمُـوا ... كَمَـا قَـوَّمَتْ نِيبٌ مُخَـزَّمَـةٌ زُجُـرْ[5]

* * *

وقال يهجو الزبرقان :

دَعِ المَكَـارِمَ لا تَـرْحَـلْ لِـبُغْـيَتِـهَـا ... وَاقْعُـدْ فَإنَّـكَ أنْتَ الطَّاعِمُ الكَـاسِي[6]

وآبْـعَثْ يَسـاراً إلـى وُفْـرٍ مُـذَمَّـمَـةٍ ... وَآحْـدِجْ إلَيْهَا بِـذِي عَرْكَيْنِ قِنْعَـاسِ[7]

* * *

---

(١) الأشمط : من خالط سواد شعره بياض . الغمر : الغرّ ، الذي لم يجرّب الأمور .

(٢) العصاب : ما يُعصب به من منديل أو نحوه . والمعنى : إنّكم لا تعطون إلاّ مكرهين ، بخلاف ما نحن عليه .

(٣) نعام : أي جبناء . الحجرات : النواحي . دثر : أي نيام .

(٤) الغفر : الشعر الدقيق .

(٥) المغيرة : الخيل المقبلة . قـوّموا : أحجمـوا عن التصدّي لهـا . النيب : ج. الناب ، وهي الناقة المسنّة . المخزّمة : التي في أنفها الخزام ، أي الحلقة من الشعر . الزجر : التي تزجر أولادها ، أي لا تحنو عليها .

(٦) بغيتها : طلبها . واقعد فإنّك أنت الطاعم الكاسي : أي حسبك أن تـأكل وتلبس . وقيـل : شكا الزبرقان الحطيئة إلى عمر بن الخطاب ، فقال عمر : « بِمَ هجاك »؟ قال : [البيت] ، قال عمر : « ما أسمع هجاء ، ولكنّها معاتبة » ، فقال الزبرقان : « أوَلا تبلـغ مـروءتي إلاّ أن آكل وألبس ! سل ابن الفريعة » يعني حسّان بن ثابت . فقال عمر :« عليّ بحسّان » ، فجيء به ، فقال : « أتراه هجاء ؟» ، قال : « قد هجاه ، وأقبح به » .

(٧) يسار : عبد الزبرقـان . الوفـر : الوطـاب العظيمـة ، وقد جعلهـا مذمّمـة لأنّ لبنها لا يسقى للضيفان . أحدج : أرحل . العركـان : الضاغـطان تحت إبطي البعيـر . القنعاس : البعيـر الضخم . المعنى : ابعث عبدك يأتيك بالوطاب (وعاء اللبن) الضخمة التي لا يُسقى منهـا الضيفان ، وارحل إليها على هذا البعير .

وقال يهجو الزبرقان أيضاً :

هَـلاَّ غَـضِـبْـتَ لِـرَحْـلِ جـا ... رِكَ إذْ تُـنَـبِّـذُهُ حَـضَـاجِـرْ[1]
أغْـرَرْتَـنِـي وَزَعَـمْـتَ أنَّـكَ ... لَابِـنٌ فـي الـصَّـيْـفِ تـامِـرْ[2]
فَـلَقَـدْ كَـذَبْـتَ فَـمَـا خَـشِـيـ ... ـتَ بـأنْ تَـدُورَ بِـكَ الـدَّوَائِـرْ
وَأَمَـرْتَـنِـي كـيـمـا أُجَـا ... مِـعَ عُـصْـبَـةً فـيـهـا مَـقَـاذِرْ[3]
وَلَـحَـيْـتَـنِـي فـي مَـعْـشَـرٍ ... هُـمْ أَلْـحَـقُـوكَ بِـمَـنْ تُـفَـاخِـرْ[4]
وَلَـقَـدْ سَـبَـقْـتَـهُـمُ إلَـيَّ ... فَـقَـدْ نَـزَعْـتَ وَأَنْـتَ آخِـرْ[5]

* * *

وقال يهجو بخيلاً :

كَـدَحْتُ بـأظفـاري وأعْمَلْتُ مِعْـوَلي ... فَصَـادَفْتُ جُلْمُوداً مِنَ الصَّخْـرِ أَمْلَسَا[6]
تَشَـاغَـلَ لمّـا جِئْتُ في وَجْـهِ حَـاجَتِي ... وأطْرَقَ حتّى قُلْتُ: «قَدْ مَاتَ أو عَسَى»[7]
وَأَجْـمَـعْـتُ أنْ أنْـعَـاهُ حِـيـنَ رَأَيْـتُـهُ ... يَفُـوقُ فُـوَاقَ المَـوْتِ، حتّى تَنَفَّسَـا[8]
فَقُلْتُ لـه: «لا بَـأْسَ لَسْتُ بِعَـائِـدٍ» ... فَـأَفْـرَخَ تَعْلُوهُ السَّمَـادِيـرُ مَلْبَسَـا[9]

---

(١) حضاجر : من أسماء الضبع . يقول مخاطباً الزبرقان : هلاّ غضبت لي ، وأنا جارك أن أضيع وأهلك في جوارك .
(٢) لابن : مطعم اللبن . تامر : مطعم التمر .
(٣) العصبة : الجماعة ، المقاذر : الأوساخ ، وقيل : الأشخاص الوسخة .
(٤) لحيتني : لمتني .
(٥) نزعت : كففت . والمعنى : أردت أن تسبقهم إلى المجد بقدومك عليّ ، ولكنّك لم توفّق .
(٦) كدح : سعى بجدّ . الجلمود : الصّخر .
(٧) تشاغل : التهى . أطرق : سكت ولم يتكلّم . عَسَى : كاد .
(٨) أجمعت : عزمت ، هممت . نعى : أخبر بالوفاة . فاق فواقاً : تتابع نَفسَه متقطّعاً ، وأشرفت نفسه على الهلاك .
(٩) أفرخ : زال روعه . السمادير : ما يتراءى للإنسان من ضعف البصر ، أي إنّ نفس هذا البخيل أخذت تعود إليه شيئاً فشيئاً .

وقال يهجو بخيلَين :

حَمَدْتُ إلٰهي أنَّني لم أَجِدْكُما ... مِنَ الجوعِ مَأْوًى أوْ مِنَ الخَوْفِ مَهْرَبَا
ضُبَيْبَانِ حَجْلِيَّانِ في آمِنِ الكُدَى ... إذا ما أَحَسَّا حَارِسَ اللَّيْلِ ذَنَّبَا[1]

* * *

وقال يهجو عبسيّاً جعله قومه سيِّداً عليهم :

لَقَدْ ذَهَبَتْ خَيْرَاتُ قَوْمٍ يَسُودُهُمْ ... قُدَامَةُ خِصْيَا فَنْبَلِيٍّ مُهَمَّلِ[2]
مَنَعْتَ قَلُوصاً بالمَطَالِي ولَمْ يَكُنْ ... بِنَابَيْكَ مِنْهَا غَيْرُ تَرْبٍ وَجَنْدَلِ[3]
وعَزَّتْ عَلَيْكَ الفَحْلَ سَوْدَاءُ جَوْنَةٌ ... وَقَدْ تَنْجُلُ الأَرْحَامُ مِنْ كُلِّ مَنْجَلِ[4]

---

(١) ضبيبان : مثنّى ضبّ ، وهو حيوان كثيرُ عقد الذنب خشنه . الكُدى : ج. الكُدية ، وهي الأرض الصلبة الغليظة . الحارش : الذي يحترش الضباب أي يصيدها ، وذلك بأن يحرّك عند فم الجحر ، فيظنّه الضبّ أفعى أو غير ذلك فيخرج بذنبه فينتزعه الصيّاد .

(٢) الفنبلي : الكبش الضخم . المهمّل : الذي لا راعي له .

(٣) القلوص : الناقة الفتيّة . المطالي : اسم موضع .

(٤) عزّت عليه : غلبته . الجونة : السوداء . تنجل : تلد . والمعنى : يقول : إنّ أمّه قد غلبت أباه عليه فأشبهها من دونه ، ومن يدري من أين أتت به ، لأنّ الأرحام قد تأتي بولدها من كلّ وجه .

الهجاء في عصر صدر الإسلام

خَفَت صوت الشعر في هذه الحقبة من الزمن ، لانعدام الدواعي التي كانت تدفع بالجاهلي إلى قول الشعر ، إذ لا عصبيّة قبليّة ، ولا منافرات ، ولا مفاخرات ، ولا سكر ، ولا مجون . . .

وأنّ معظم الشعراء قد اعتنقوا الدين الجديد ، فانصرفوا إلى عبادة الله ، وقراءة القرآن الكريم ؛ ولم يبق إلّا جماعة من معارضي هذا الدين ، فعمدت إلى هجاء الرسول (ﷺ) ونبذ دعوته كأبي سفيان بن الحارث ، وكعب بن الأشرف ، وعبد الله بن الزبعرى ، ممّا حمل الرسول (ﷺ) على أن يشير إلى بعض أتباعه للردّ على هؤلاء المشركين ، كحسان بن ثابت ، وعبد الله بن رواحة ، وكعب بن مالك . . .

وظلّ الشعر الهجائي في عهد الرسول (ﷺ) والخلفاء الراشدين معتمداً على الأسلوب الجاهلي في ذكر المثالب القبليّة . ويقال : إنّ أبا بكر الصديق ـ النسّابة الضليع ـ كان يمدّ حسّان بن ثابت ببعض المعاني الهجائيّة ، ويكشف له مخازي القبيلة المناوئة للرسول .

الهجاء في العصر الأموي

بانتقال الحكم إلى بني أميّة ، واستئثارهم بالخلافة ، اضطربت الأحوال السياسيّة ، وبرزت الأحزاب المتعدّدة المتصارعة ، من شيعة ، وخوارج ، وأنصار ، وزبيريّين . . . فاضطرّ الأمويّون لإخضاع المتمرّدين ، فكانوا يحاربون على عدّة جبهات ، استخدموا خلالها البطش حيناً ، والمراوَغة حيناً آخر ، وغلب على سياستهم اصطناع القبائل والشعراء ، إذ استطاعوا استمالة تغلب ، وتأليبها ضدّ القيسيين ، معتمدين مبدأ : « فَرِّقْ تَسُدْ » ، كما كانوا يحرّضون الشعراء على هجو خصومهم ، كما فعل يزيد بن معاوية عندما كلّف الأخطل هجاء الأنصار ، فقال :

ذَهَبَتْ قُرَيْشٌ بالمَكَارِمِ والعُلَى ... واللّؤمُ تَحْتَ عَمَائِمِ الأنْصَارِ

فَذَرُوا المَعَالِي لَسْتُمُ مِنْ أهْلِهَا ... وَخُذُوا مَسَاحِيكم بني النجّارِ[1]

وقد استفحل الهجاء بين شعراء المثلّث الأموي (الأخطل ، الفرزدق ، جرير) ، وعرف فيما بعد بالنقائض ، لما فيه من تحدٍّ وتفاخر ، ومعارضة في الوزن والقافية ، معتمدين فنّ الشتم والإقذاع ، وخاصّة جرير والفردزق ، أمّا الأخطل فكان يقول : « ما لا تستحي العذراء أن تنشده أباها » .

وسأعرض نماذج هجائيّة لكل من جرير ، والأخطل ، والفرزدق ، وقد اخترتها كي تمثّل أساليب الهجاء في هذا العصر .

---

(١) المساحي : ج. المسحاة ، وهي المجرفة .

جريـر

هو أبو حَزْرة جرير بن عطيّة بن حُذَيفة الملقّب بالخَطَفى . وُلِد باليمامة نحو سنة ٣٣ هـ/٦٥٣ م من أب وضيع بخيل ، وأمّ حملته سبعة أشهر . شبّ بدويّاً فقيراً ، يرعى الغنم لأبيه ، ونطق بالشعر ، ولمّا يبلغ الخامسة عشرة من عمره ، وهاجى القبائل التي كانت تخاصم قبيلته وشعراءها ، وخاصة الفرزدق والأخطل ، كما كان يقارض أخاه الأكبر عمراً الشعر .

تزوّج من عدّة نساء ولدن له عشرة أولاد ، كان يجلس إليهم يبصِّرهم بالشعر والشعراء حتى غدوا جميعاً يقرضون الشعر وينقدونه ، حتى قيل في بيته : من بيوتات الشعر في الإسلام .

اتّصل الشاعر عبر أسفاره بعدد من الخلفاء ، وكان أوّلهم يزيد بن معاوية ، ثم اتّصل بالحجاج بن يوسف الذي قرّبه منه ، وجعله شاعره الخاص ، والناطق الرسمي له :

إنّ آبْنَ يُوسُفَ فَاعْلَمُوا وَتَيَقَّنُوا مَاضِي البَصِيرَةِ وَاضِحُ المِنْهَاجِ

كما اتّصل بعبد الملك بن مروان ، ومدحه بقصيدة يقول فيها :

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايَا وَأَنْدَى العَالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ

فأمر له الخليفة بمائة لقحة[1] . وفي مجلس هذا الخليفة اجتمع جرير بالأخطل الذي انتصر عليه بقصيدته « خفّ القطين » .

واتّصل بعبد الملك بن مروان ، وبالوليد بن عبد الملك ، وبأخويه سليمان ويزيد .

والجدير بالذكر أنّه لمّا تولّى الخلافة عمر بن عبد العزيز ، لم يأذن لأحد من

---

(١) لقحة : ج . لِقَح : الناقة الحلوب الغزيرة اللبن .

الشعراء ، لأنّه لم يرَ لهم حقّاً في العطاء . وفيما كان جرير واقفاً بالباب ، إذا بعون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود يدخل على الخليفة ، وقد أرخى طرفي عمامته ، فصاح به :

يا أيّها القارىء المُرْخِيّ عِمَامَتَهُ هٰذا زَمَانُكَ إنّي قد مضَىٰ زَمَني
أبْلِغْ خليفتنا إنْ كُنْتَ لاقِيَه إنّي لدى الباب كالمَصْفُود في قَرَنِ

فأذن الخليفة له ، فأنشده قصيدة منها :

إنّا لَنَرْجُو إذا ما الغيثُ أخْلَفَنا من الخليفة ما نَرْجُو مِنَ المَطَرِ

فأعجب بها الخليفة واعتذر ولم يعطه ، ولمّا ألحّ ، جمع له بنو أميّة مالاً وقدّموه له .

توفّي نحو ١١٤ هـ / ٧٣٣ م .

يمتاز شعر جرير بالسهولة والوضوح ، وكان عند الشاعر مقدرة غريبة في انتقاء الألفاظ الملائمة لجميع المواقف ، وذلك لفيض قريحته وعاطفته التي طغت على تفكيره وخياله .

فكان مقذعاً ، شديد اللذع والإيلام في هجائه ، يستعمل الكلمات النابية والبذيئة . وكان « أدرى الناس بفحص الدمن وتحليلها ، واكتشاف مضامينها ، ووصف ما بها » على حدّ قول مارون عبود ، إذ كان بارعاً في تعداد نقائص المهجو والكشف عن مساوئه مبالغاً في وصفها جاعلاً من مهجوِّه سخرية ، تثير الضحك .

نزل جرير بقوم من بني العنبر فلم يضيفوه حتى اشترى منهم القِرى ! فانصرف وهو يقول :

يا مَالك بن طريفٍ إنّ بيعكم رِفدَ القِرى مفسدٌ للدين والحسبِ!
قالوا ببيعكه بيعاً فقلت لهم بيعوا الموالي واستحيوا من العربِ!

قال المبرّد : إن جلة الموالي أنفت من هذا البيت لأنه حطهم ووضعهم .

قال جرير في بني تغلب :

قومٌ إذا أكلوا أخفوا كلامهم واستوثقوا من رتاجِ الباب والدارِ

قـومٌ إذا نـبـح الأضيـافَ كـلبُهـم قـالـوا لأمـهـم بـولي عـلى الـنـارِ

* * *

قـال جريـر يهجـو الـراعي النميـريّ ، وهي قصيـدة طـويلة شهيـرة ، سمّيت الدمّاغة ، أو الدامغة[1] ، أو الدهقانة[2] ، ومنها :

أَتَـلْتَـمِسُ الـسِّـبَـابَ بَـنُـو نُـمَـيْـرٍ فَـقَـدْ وَأَبِـيـهُـمُ لَاقَـوا سِـبَـابَـا
فَـلَا صَـلَّى الإلٰـهُ عـلى نُـمَـيْـرٍ وَلَا سُـقِـيَـتْ قُـبُـورُهُـمُ الـسَّـحَـابَـا
وَلَـوْ وُزِنَـتْ حُـلُومُ بـنـي نُـمَـيْـرٍ عَـلَى المِـيـزَانِ مَـا وَزَنَتْ ذُبَـابَـا[3]
فَـصَـبْـراً يـا تُـيُـوسَ بـني نُـمَـيْـرٍ فَـإنَّ الـحَـرْبَ مُـوقِـدَةٌ شِـهَـابَـا
فَـغُـضَّ الـطَّـرْفَ إنَّـكَ مِـنْ نُـمَـيْـرٍ فـلا كَـعْـبـاً بَـلَـغْـتَ وَلَا كِـلَابَـا[4]
أَتَـعْـدِلُ دِمْـنَـةً خَـبُـثَـتْ وَقَـلَّتْ إلى فَـرْعَـيْـنِ قَـدْ كَـثُـرا وَطَـابـا[5]
فَـيَـا عَـجَـبِـي أتُـوعِـدُنـي نُـمَـيْـرٌ بِـرَاعِي الإبْـلِ يَحْـتَـرِشُ الضبَابَـا[6]
إذا نَـهَـضَ الـكِـرَامُ إلى الـمَـعَـالـي نَـهَـضْـتَ بِعُـلْـبَـةٍ وَأَثَـرْتَ نـابـا[7]

* * *

وقال يهجو التّيم حين تعرّض له شاعرهم عمر بن لجأ التيميّ :

أبُـونـا مَـالِـكٌ وأبُـوكَ تَـيْـمٌ فَـهَـلْ تَيْمٌ لِـذِي حَسَبٍ نَـدِيـدُ[8]
أزيـدَ مَـنَـاةٍ تُـوعِـدُ يـا بْـنَ تَـيْـمٍ تَـبَـيَّـنْ أيْـنَ تَـاهَ بِـكَ الـوَعِـيـدُ[9]

---

(١) دمغه : شجّ رأسه وجرحه حتى بلغ الجرح دماغه .
(٢) الدهقانة : الرئيسة .
(٣) الحلوم : ج. الحلم ، وهو العقل .
(٤) غضّ الطرف : كفّ البصر . كعب وكلاب : قبيلتان .
(٥) الدمنة : المزبلة ، وهنا كناية عن بني نمير . الفرعان : كعب وكلاب .
(٦) توعدني : تهدّدني . راعي الإبل : اسم شاعر . يحترش : يصطاد . الضباب : ج. الضبّ ، وهو حيوان صغير ، كثير عقد الذنب خشنه .
(٧) الناب : الناقة المسنّة .
(٨) النديد : الشبه .
(٩) زيد مناة : جدّ جرير ، وهو زيد مناة بن تميم .

أَتُوعِدُنَا وَتَمْنَعُ ما أَرَدْنَا ... وَنَأْخُذُ مِنْ وَرَائِكَ ما نُرِيدُ
وَقَالَ النَّاسُ ضَلَّ ضَلَالُ تَيْمٍ ... أَلَمْ يَكُ فِيهِمُ رَجُلٌ رَشِيدُ
وَيُقْضَىٰ الأَمْرُ حِينَ تَغِيبُ تَيْمٌ ... وَلَا يُسْتَأْمَرُونَ وَهُمْ شُهُودُ
وَلَا حَسَبٌ فَخَرْتَ بِهِ كَرِيمٌ ... وَلَا جَدٌّ إذا آزْدَحَمَ الجُدُودُ
لِئَامُ العَالَمِينَ كِرَامُ تَيْمٍ ... وَسَيِّدُهُمْ وَإِنْ رَغَمُوا مَسُودُ
وَإِنَّكَ لَوْ لَقِيتَ عَبِيدَ تَيْمٍ ... وَتَيْماً قُلْتَ أَيُّهُمُ العَبِيدُ
أَرَى لَيْلاً يُخَالِفُهُ نَهَارٌ ... وَلُؤْمُ التَّيْمِ ما آخْتَلَفَا جَدِيدُ
بِخُبْثِ البِذْرِ يَنْبُتُ حَرْثُ تَيْمٍ ... فَمَا طَابَ النَّبَاتُ وَلَا الحَصِيدُ
تَمَنَّى التَّيْمُ أَنَّ أَبَاهُ سَعْدٌ ... فَلَا سَعْدٌ أَبُوهُ وَلَا سَعِيدُ
وَمَا لَكُمُ الفَوَارِسُ يَا بْنَ تَيْمٍ ... وَلَا المُسْتَأْذَنُونَ وَلَا الوُفُودُ
وإنَّ الحَاكِمِينَ لَغَيْرُ تَيْمٍ ... وَفِينَا العِزُّ والحَسَبُ التَّلِيدُ[1]
وإنَّ التَّيْمَ قَدْ خُبِثُوا وَقَلُّوا ... فَمَا طَابُوا وَلَا كَثُرَ العَدِيدُ
ثَلَاثُ عَجَائِزٍ لَهُمُ وَكَلْبٌ ... وأَشْيَاخٌ على ثُلَلٍ قُعُودُ[2]
أَتَرْجُو أَنْ تُسَابِقَ سَعْيَ قَوْمٍ ... هُمُ سَبَقُوا أَبَاكَ وَهُمْ قُعُودُ
فَقَدْ سَلَبَتْ عَصَاكَ بَنُو تَمِيمٍ ... فَمَا تَدْرِي بِأَيِّ عَصاً تَذُودُ[3]
إذا تَيْمٌ ثَوَتْ بِصَعِيدِ أَرْضٍ ... بَكَتْ مِنْ خُبْثِ لُؤْمِهِمُ الصَّعِيدُ[4]
فَمَا تَقْرِي وتَنْزِلُ يَا بْنَ تَيْمٍ ... وَعَادَةَ لُؤْمِ قَوْمِكَ تَسْتَعِيدُ
نَهَى التَّيْمِيَّ عُتْبَةُ وَالمُثَنَّى ... وَقَالَا سَوْفَ تَبْهَرُكَ الصَّعُودُ[5]

---

(١) التليد : القديم .
(٢) الثلل : ج. الثلّة ، وهي ما يخرج من التراب عند حفر البئر .
(٣) تذود : تدافع .
(٤) ثوت : أقامت . الصعيد : الأرض المرتفعة ، أو وجه الأرض .
(٥) عتبة والمثنّى : رجلان كانا قد نهيا عمر بن لجأ عن هجاء جرير . تبهرك : تغلبك . الصعود : المشقّة .

وقال يهجو بني حنيفة :

أَبْنَاءُ نَخْلٍ وَحِيطانٍ وَمَزْرَعَةٍ ... سُيُوفُهُمْ خَشَبٌ فيها مَسَاحِيهَا[1]

قَطْعُ الدِّبَارِ وَأَبْرُ النَّخْلِ عَادَتُهُمْ ... قِدْماً وَمَا جَاوَزَتْ هٰذَا مَسَاعِيهَا[2]

رَأَتْ حَنِيفَةُ إِذْ عُدَّتْ مَسَاعِيهَا ... أَنْ بِئْسَمَا كَانَ يَبْنِي المَجْدَ بَانِيهَا

لَوْ قُلْتَ أَيْنَ هَوَادي الخَيْلِ ما عَرَفُوا ... قَالُوا لأَذْنَابِها هٰذِي هَوَادِيها[3]

أَوْ قُلْتَ إن حِمَامَ المَوْتِ آخِذُكُمْ ... أَوْ تُلْجِمُوا فَرَساً قامَتْ بَوَاكِيها

لَمّا رَأَتْ خالِداً بالعِرْضِ أَهْلَكَهَا ... قَتْلاً وَأَسْلَمَهَا ما قَالَ طاغِيهَا[4]

دَانَتْ وَأَعْطَتْ يَداً لِلسِّلْمِ صَاغِرَةً ... مِنْ بَعْدِ ما كَادَ سَيْفُ اللَّهِ يُفْنِيهَا[5]

صَارَتْ حَنِيفَةُ أَثْلاثاً فَثُلْثُهُمُ ... مِنَ العَبِيدِ وَثُلْثٌ مِنْ مَوَالِيها

قَدْ زَوَّجُوهُمْ فَهُمْ فِيهِمْ وَنَاسِبُهُمْ ... إلى حَنِيفَةَ يَدْعو ثُلْثَ بَاقِيها

* * *

وقال أيضاً :

أَبَنِي حَنِيفَةَ أَحْكِمُوا سُفَهَاءَكُمْ ... إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمُ أَنْ أَغْضَبَا[6]

أَبَنِي حَنِيفَةَ إِنَّنِي إِنْ أَهْجُكُمْ ... أَدَعِ اليَمَامَةَ لا تُوَارِي أَرْنَبا

* * *

وقال يهجو أعور بني نبهان (العناب) :

وَجَدْنَا بَنِي نَبْهَانَ أَذْنَابَ طَيِّىءٍ ... وَلِلنَّاسِ أَذْنَابٌ تُرَى وَصُدُورُ

---

(١) الحيطان : ج. الحائط ، وهو بستان النخل . المساحي : ج. المسحاة، وهي الفأس .

(٢) الدبار : ج. الدبرة ، وهي البقعة التي تزرع . أبر النخل : إصلاحه وتلقيحه .

(٣) الهوادي : ج. الهادية ، وهي العنق .

(٤) خالد : هو خالد بن الوليد . طاغيها : هو مسيلمة الكذاب . العِرض : وادٍ باليمامة .

(٥) صاغرة : ذليلة . سيف الله : لقب خالد بن الوليد .

(٦) احكموا : امنعوا .

تَـرَى قَـزَمَ المِعْـزَى مُهُـورَ نِسَـائِهِمْ وفي قَـزَمِ المِعْـزَى لَهُـنَّ مُهُـورُ[1]
وَأَعْـوَرَ مِـنْ نَبْـهَـانَ أمَّـا نَـهـارُهُ فَـأَعْـمَـىٰ، وأمَّـا لَـيْـلُهُ فَـبَـصِـيـرُ[2]
وَأعْـوَرَ مِـنْ نَبْـهَـانَ يَـعْـوِي وَدُونَـهُ مِـنَ اللَّيْـلِ بَـابَـا ظُـلْـمَـةٍ وَسُـتُـورُ
دَعَـا وَهْـوَ حَيٌّ مِثْـلَ مَيْتٍ فـإنْ يَجِنْ فهٰـذا لَـهُ بَعْـدَ المَمَـاتِ نُـشُـورُ[3]
رَفَعْتُ لَـهُ مَـشْبُـوبَـةً يُـهْتَـدى بـهـا يَكَـادُ سَنَـاهـا في السَّمَـاءِ يَـطِـيـرُ[4]

* * *

وقال يهجو الهُجَيم بن عمرو بن تميم :

إنّ الـهُـجَـيْـمَ قَـبِـيـلَةٌ مَـخْـسُـوسَـةٌ ثُطُّ اللِّحى مُـتَـشَـابِـهُـو الأَلْـوَانِ[5]
لَـوْ يَـسْـمَـعُـونَ بـأكْـلَةٍ أَوْ شُـرْبَـةٍ بِـعُـمَـانَ أصْـبَـحَ جَـمْـعُـهُـمْ بِـعُـمَـانِ
مُـتَـوَرِّكِـيـنَ بَـنِـيـهِـمُ وَبَـنَـاتِـهِـمْ صُـعْـرَ الأنُـوفِ لِـرِيـحِ كُـلِّ دُخـانِ[6]

* * *

استعان بنو جحيش بغسّان بن ذهيل السليطي في هجاء قوم جرير ، إثر تنازعهم على غدير في القاع ، لأنّهم كانوا مفحمين ، لا يقولون الشعر . فردّ جرير بقوله ، وهو أوّل شعر له :

---

(١) قزم المعزى : صغارها العليلة . المهور : ج. المهر ، وهو ما يجعله الزوج للمرأة من المال معجّلاً أو مؤجّلاً عند عقد الزواج .

(٢) أي : إنّه أعور في النهار عن الخيرات ، وبصير الليل بالسوءات .

(٣) يحن : يمت . نشور : بعث . هذا : أي هذا الهجاء . أي إنّ هذا الهجاء له حياة بعد موته ، لأنّه يخلّده بين الناس .

(٤) المشبوبة : النار المشتعلة . سناها : ضوؤها ، نورها .

(٥) مخسوسة : لا قيمة لها . الثطّ : ج. الأثط ، وهو قليل شعر الذقن وعديمه في عارضيه .

(٦) المتورّك : الحامل على وركه . الصعر : ج. الأصعر ، وهو المائل بعنقه تكبّراً . ويروى عجزه : « يتناعبون تناعب الغربان » .

لا تَحْسِبَنِّي عَنْ سَلِيطٍ غافِلا إنْ تَعْشُ لَيْلاً بسليطٍ نَازِلا[1]
لا تَلْقَ أقْراناً وَلاَ صَوَاهِلا وَلاَ قِرًى لِلنَّازِلِينَ عَاجِلا[2]
أبْلِغْ سَلِيطَ اللُّؤمِ خَبْلاً خَابِلا أبْلِغْ أَبَا قَيْسٍ وَأبْلِغْ بَاسِلا[3]

* * *

وقال في بني سليط :

إنَّ السَّلِيطيَّ خَبِيثٌ مَطْمَعُهْ أخْبَثُ شَيْءٍ حَسَباً وأَلأَمُهْ

وقال أيضاً :

إنَّ سَلِيطاً هُم شرارُ الخَلْقِ قَلَّدْتُهُمْ قَلاَئِداً لا تُبْقِي

وقال أيضاً :

إنَّ سَلِيطاً في الخَسَارِ إنَّهْ أوْلاَدُ قَوْمٍ خُلِقُوا أَقِنَّهْ[4]
لا تُوعِدُوني يا بَنِي المُصِنَّهْ إنَّ لَهُمْ نُسَيَّةً لُعِنَّهْ[5]
سُوداً مَغَالِيمَ إذا بُطِنَّهْ يَفْعَلْنَ فِعْلَ الأتُنِ المُسِنَّهْ[6]

* * *

وقال يهجو بني صُبَير بن يربوع :

أمّا صُبَيْرٌ فإنْ قَلُّوا وإنْ لَؤُمُوا فَلَسْتُ هَاجِيَهُمْ ما حنَّتِ النيب[7]

---

(١) تعش : تقصد .
(٢) الأقران : ج. القرن ، وهنا البطل . الصواهل : أي الخيول التي تصهل . القرى : إطعام الضيف .
(٣) الخبل : الفساد .
(٤) الأقنّة : ج. القِنّ ، وهو عبد كان أبواه مملوكين لأسياده .
(٥) المصنّة : المنتنة الريح . نُسَيّة : تصغير نساء .
(٦) المغاليم : شديدو الشهوة الجنسيّة . بطنّ : شبعن .
(٧) النيب : الناقة المسنّة .

أمّـا الـرِّجَـالُ فَجِعْـلانٌ ونِسْـوَتُهُـمْ مِثْـلُ القَنَـافِـذِ لا حُسْنٌ وَلاَ طِيبُ[1]

* * *

وقال يهجو زنباع الأسيدي :

إنّ الأُسَـيْـدِيَّ زِنْـبَـاعـاً وَإِخْـوَتَـهُ أزْرَى بِـهِـمْ لُـؤْمُ جَـدَّاتٍ وأجـدادِ
الـشـاتِمِـيَّ ولم أهْـتِـكْ حَـرِيـمَـهُـمُ تِلْكَ العَجَـائِبُ يـا آبْـنَيْ أُمِّ قُـرَّادِ[2]
يـا أكْثَـرَ النَّـاسِ أصْـوَاتـاً إذا شَبِعُـوا وَألأَمَ الـنـاسِ أخْـبَـاراً عـلى الـزَّادِ
بَـنِي جَـفَـاسَـاءَ إنّي لـم أجِـدْ لَكُـمُ بَـطْنَ المَسِيلِ ولا بَحْبُـوحَةَ الـوادي[3]
هَـلْ كُنْتُ إلاّ أمينـاً فـاغْتَـررتُ بـهِ أوْ حَـاسِـداً فـأهَـانَ اللَّهُ حُسَّـادي[4]

وقال يهجو الفـرزدق :

تَـسِيـلُ عَـلَيْهِـمُ شُـعَـب الـمَـخَـازي وَقَـدْ كَـانـوا لِسَـوْءَتِـهـا قَـرَارا[5]
وَهَـلْ كَـانَ الـفَـرَزْدَقُ غَـيْـرَ قِـرْدٍ أَصَـابَتْـهُ الصَّـوَاعِـقُ فَـاستـدارا[6]
وَكُـنْـتَ إذا حَـلَلْتَ بِـدارِ قَـوْمٍ رَحَـلْتَ بِـخِـزْيَـةٍ وَتَـرَكْـتَ عَـارَا[7]
أتَـذْكُـرُ صَـوْتَ جِـعْـثِـنَ إذْ تُـنَـادِي وَمَـنْشَـدَكَ الـقَـلائِـدَ والـخِـمَـارا[8]
ألَـمْ تَـخْـشَـوا إذا بَـلَغَ الـمَـخَـازي عـلى سَـوْءَاتِ جِـعْـثِـنَ أنْ تُـثـارا[9]

---

(١) الجعلان : ج. الجعل ، وهو نوع من الخنافس ، أو الرجل الأسود الدميم . القنافذ : ج. القنفذ ، وهو دابة صغيرة أعلاها مغطّى بريش حادّ . تقي بها نفسها إذ تجتمع مستديرة تحته .
(٢) هتك : مزّق . الحريم : ما يحميه الرجل . القرّاد : الذي يربّي القرود .
(٣) الجفس : الضعيف واللئيم ، أو التخمة . والمنجفس : الذي لا ينهض لمكرمة .
(٤) أي : هل كنتَ إلاّ رجلاً ائتمنتك على شيء فاغترتُ بك .
(٥) الشعب : ج. الشعبة ، وهي المسيل . المخازي : ج. المخزية ، وهي العار .
(٦) أي تحوّل إلى إنسان بعد أن كان قرداً .
(٧) حللت : نزلت . وفي البيت إشارة إلى ما كان من أمر الفرزدق حين نزل بامرأة فأضافته ، وأحسنت إليه ، ثم راودها عن نفسها ، فصرخت ، فطُلب ، فهرب .
(٨) جعثن : أخت الفرزدق . المنشد : الطلب . والمعنى : تركت أختك تستغيث وأخذت تسأل عن القلائد والخمار .
(٩) تثار : يكثر التحدّث بها .

فـإنَّ مَـجَـرَّ جِـعْـثِـنَ كـان لـيـلاً ... وَأَعْـيَـنُ كَـانَ مَـقْـتَـلُهُ نَـهَـارا[1]
فَـلَوْ أيَّـامَ جِـعْـثِـنَ كـانَ قَـوْمـي ... هُـمُ قَـوْمَ الـفَـرَزْدَقِ مَـا آسْـتَـجَـارا
تَـزَوَّدتُـمْ نَـوارَ وَلَـمْ تُـرِيـدُوا ... لـيُـدْرِكَ ثَـائِـرٌ بـأبـي نَـوَارَا[2]

* * *

قال يهجو البعيث المجاشعي :

. . . وَعَـاوٍ عَـوَى مِنْ غَيْـرِ شَيْءٍ رَمَيْتُـهُ ... بِقَـارِعَـةٍ أنْفَـاذُهـا تَقْـطُرُ الـدَّمَـا[3]
لَعَمْـرِي لَقَـدْ جَـارَى دَعِيٌّ مُجَـاشِـعٍ ... عَذُوماً عَلَى طُـولِ المُجارَاةِ مِـرْجَمَا[4]
وَلَاقَـيْتَ مِـنَّـا مِـثْـلَ غـايَـةِ داحِسٍ ... وَمَـوْقِفَـهُ فَـآسْتَـأخِـرَنْ أو تَقَـدَّمَـا[5]
فـإنِّـي لَـهَـاجِـيـكُـمْ وَإنِّـي لَـرَاعِـبٌ ... بـأحْسَـابِنَـا فَضْـلاً بِنَـا وَتَـكَـرُّمَـا
سَـأَذْكُـرُ مِنْكُم كُـلَّ مُنْتَخَبِ القُـوَى ... مِنَ الخُورِ لا يَرْعَى حِفَاظاً وَلَا حِمَى[6]
فـأيْنَ بَنُـو القَعْقَـاعِ مِنْ ذَوْدِ فَـرْتَنَـا ... وَعَنْ أصْـلِ ذَاكَ القِنِّ أنْ يَتَقَسَّـمَـا[7]
يَـبِـيـنُ إذا ألْـقَـى الـعِـمَـامَـةَ لُـؤْمُـهُ ... وَتَعْـرِفُ وَجْـهَ العَبْـدِ حِـينَ تَعَـمَّمَـا
لَقَـدْ وَجَـدَتْ بـالقَيْنِ خُـورُ مُجَـاشِـعٍ ... كَوَجْدِ النصارى بالمَسِيحِ آبْنِ مَرْيَمَا[8]

* * *

---

(١) أعين : والد نوار ، وهو ابن ضبيعة بن ناجية .
(٢) يقول : تزوجتموها ولم تطلبوا بثأر أبيها .
(٣) القارعة : الداهية .
(٤) دعيّ مجاشع : أي البعيث . جارى : جرى معه . العذوم : العضوض . المرجم : الذي يضرب الأرض ضرباً شديداً .
(٥) غاية داحس : أي نكد وشؤم .
(٦) منتخب القوى : ذاهب العقل والقوى . الخور : الضعاف .
(٧) القعقاع : هو ابن معبد بن زرارة كانت أم البعيث أمة له واسمها وردة . فرتنا : كلّ أمة عند العرب تدعى فرتنا . القن : العبد الذي كان أبواه مملوكين لأسياده .
(٨) وجدت : أحبّت حبّاً شديداً . القين : العبد .

وقال يهجو الفرزدق والبعيث وأمّه وأباه :

إنَّ الفَرَزْدَقَ وَالبَعِيثَ وَأُمَّهُ ... وَأَبَا البَعِيثِ لَشَرُّ ما إسْتَارِ[1]

طَاحَ الفَرَزْدَقُ في الرِّهَانِ وَعَمُّه ... غَمْرُ البَدِيهَةِ صَادِقُ الْمِضْمَارِ[2]

تَرْجُو الهَوَادَةَ يا فَرَزْدَقُ بَعْدَمَا ... أطْفَأْتَ نَارَكَ وَآصْطَلَيْتَ بِنَارِي

تَبّاً لِفَخْرِكَ بِالضَّلَالِ ولم يَزَلْ ... ثَوْبَا أَبِيكَ مُدَنَّسَيْنِ بِعَارِ

إنَّ البَعِيثَ وَعَبْدَ آلِ مُقَاعِسٍ ... لا يَقْرَآنِ بِسُورَةِ الأحْبَارِ[3]

أبْلِغْ بَنِي وَقْيَانَ أنَّ نِسَاءَهُمْ ... خُورٌ بَنَاتُ مُوَقَّعٍ خَوَّارِ[4]

كُنْتُمْ بَنِي أَمَةٍ فَأُغْلِقَ دُونَكُمْ ... بَابُ المَكَارِمِ يا بَنِي النَّخْوارِ[5]

إنّ اللئامَ بَنِي اللِّئَامِ مُجَاشِعٌ ... والأخْبَثُونَ مَحَلَّ كُلِّ إزَارِ

لا تَفْخَرَنّ إذا سَمِعْتَ مُجَاشِعاً ... يَتَخَاوَرُون تَخَاوُرَ الأثوار[6]

نام الفَرَزْدَقُ عن نَوَار كَنَوْمِهِ ... عَنْ عُقْرِ جِعْثِنَ لَيْلَةَ الإخفارِ[7]

إنَّ القَصَائِدَ لَنْ يَزِلْنَ سَوَائِحاً ... بِحَدِيث جِعْثِنَ ما تَرَنَّمَ سَاري

لَمّا بَنَى الخَطَفَى رَضِيتُ بِمَا بَنَى ... وَأَبُو الفَرَزْدَقِ نَافِخُ الأكْيَارِ[8]

وَتَبِيتُ تَشْرَبُ عِنْدَ كُلِّ مُقَصَّصٍ ... خَضِلِ الأنَامِلِ وَاكِفِ المِعْصَارِ[9]

---

(١) إستار : لفظة فارسيّة تعني أربعة .

(٢) غمر البديهة : حاضر الجواب والمفاجأة .

(٣) عبد آل مقاعس : الفرزدق . سورة الأحبار : أي سورة المائدة ، ويعني قوله تعالى : ﴿ **يا أيّها الذين آمنوا أوْفُوا بالعقود** ﴾ [سورة المائدة: آية ١] .

(٤) وقيان : لقب مجاشع جدّ الفرزدق الأكبر .

(٥) بنو النخوار : ويروى « بني حَجّار » ، وهم من مجاشع .

(٦) التخاور : صوت الثور .

(٧) الإخفار : نكث العهد .

(٨) الأكيار : ج. الكير ، وهو جلد ينفخ فيه الحداد .

(٩) المقصّص : الذميّ الذي جُزّت ناصيته . خضل : نديّ . الأنامل : أطراف الأصابع . الواكف : المنصب . المعصار : الخمر . يتّهمه بفسقه وملازمته للخمّارين .

لا تَفْخَرَنَّ فإنّ دِينَ مُجَاشِعٍ دِينُ المَجُوسِ تَطُوفُ حَوْلَ دُوَارِ[1]

* * *

وقال يهجو الفرزدق وعدداً من الشعراء :

لَقَدْ نَزَلَ الفرزدق دَارَ سَعْدٍ لَيَالِي لا يَعِفُّ ولا يُحَامي
إذا رُمْتَ وَيْلَ أبِيكَ سَعْداً لَقِيتَ صِيَالَ مُقْرَمَةٍ سَوَامِ[2]
أضِيئُوا لِلْفَرَزْدَقِ نَارَ ذُلٍّ لِيَنْظُرَ في أشَاعِرِهَا الدوامي[3]
وَعَاوٍ قد تَعَرَّض لي مُتَاحٍ فَدَقّ جَبِينَه حَجَر المُرَامي[4]
ضَغَا الشُّعَرَاءُ حِينَ رَأَوا مُدِلاًّ إذا مُدَّ الأعِنَّةُ ذا عِذَامِ[5]
فَلَمَّا قَتَّلَ الشُّعَرَاءَ غَمّاً أضَرَّ بِهِمْ وأمْسَكَ بالكِظَامِ[6]
قَتَلْتُ التَّغْلَبِيَّ وَطَاحَ قِرْدٌ هَوَى بَيْنَ الحَوالِقِ والحَوَامِي[7]
ولابْنِ البارقيّ قَدَرْتُ حَتْفاً وَأَقْصَدْتُ البَعِيثَ بِسَهْمِ رَامِ[8]
وأطْلَعْتُ القَصَائِدَ طَوْدَ سَلْمَى وَصَدَّعَ صاحِبَيْ شُعَبَى آنتقامي[9]
تُفَدِّينا نِسَاؤُكُمُ إذا ما رَقَصْنَ وَقَدْ رَفَعْنَ عَنِ الخِدامِ[10]

---

(١) الدوار : الصنم .
(٢) صيال : سطوة وغلبة . المقرم : البعير المكرم . السوامي : ج. السامية ، وهي المشرفة .
(٣) الأشاعر : ج. الأشعر ، وهو منبت العانة (شعر أسفل البطن) . الدوامي : الدامية .
(٤) الإتاحة : التعرّض .
(٥) ضغا : صاح من الألم . المدلّ : الواثق بنفسه . الأعنّة : ج. العنان وهو اللجام . العذام : العضاض .
(٦) الكظم : مخرج النفس . أخذ بكظام الشيء : أي بالثقة . أمسك بكظمه : غمّه وكربه .
(٧) طاح : تاه ، وأشرف على الهلاك . القرد : أي الفرزدق . الحوالق : الجبال العالية . الحوامي : الجوانب .
(٨) ابن البارقي : سُراقة بن عمرو . أقصدت : أصبت .
(٩) طود سلمى : أحد جبلي طيّىء . صدّع : شقّ . شعبى : هضبة بحمى ضريّة . يقصد بالشطر الأوّل هجاء الأعور النبهاني ، وبالشطر الثاني عبد الله بن العباس الكندي وابنه .
(١٠) رقصن : ولّين هاربات .

تَـنُـوطُـونَ الـعِـلَابَ وَلَـم تُـعِـدُّوا ... لِـيَـوْمِ الـرَّوْعِ صَـلْصَـلَةَ الـلِّجَـامِ [1]
وإنَّ صَـدَى الـمِـقَـرِّ بـهِ مُـقِـيـمٌ ... يُـنَـادي الـذُّلَّ بَعْـدَ كَـرَى الـنِّيَـامِ [2]
سَقَى جَـدَثَ الـزُّبَـيْـرِ وَلَا سَقَـاهُـمْ ... نَـجِيُّ الـوَدْقِ مُـنْهَـمِـرُ الـغَـمَـامِ [3]
يَـلُومُـكُـمُ الـعُـصَـاةُ وآلُ حَـرْبٍ ... وَرَهْطُ مُـحَـمَّـدٍ وَبَـنُـو هِـشَـامِ [4]
قُـفَـيْـرَةُ وَهْـيَ ألأَمُ أُمِّ قَـوْمٍ ... تَـوَفِّي فـي الـفَـرَزْدَقِ سَـبْـعَ آمِ [5]
بَـدَا شِـبْـهُ الـزَّبَـابَـةِ فـي بَـنِـيـهَـا ... وَعِـرْقٌ مِـنْ قُـفَـيْـرَةَ غَـيْـرُ نـامِ [6]
فـإنَّ مُـجَـاشِـعـاً فَـتَـعَـرَّفُـوهُـمْ ... بَنُـو خَـوْخَى وخَجْـخَـجَ والـقِـذَامِ [7]

* * *

وقال يهجو الفرزدق :

لَـقَـدْ وَلَـدَتْ أمُّ الـفَـرزدَقِ فَـاجِـراً ... فَجَـاءَتْ بِـوَزْوَازٍ قَصِيـرِ القَـوَائِمِ [8]
يُـوَصِّـلُ حَـبْـلَيْـهِ إذا جُـنَّ لَـيْـلُهُ ... لِـيَـرْقى إلـى جَـارَاتِـهِ بـالسَّـلَالِـمِ
رأيـتُـكَ لا تُـوفِـي بِـجَـارٍ أجَـرْتَـهُ ... وَلَا مُـسْتَـعِفّـاً عَـنْ لِئَـامِ الـمَـطَاعِـمِ

وقـال أيضـاً :

هُـوَ الرِّجْسُ يَـا أَهْلَ الـمَـدِينَةِ فـاحْذَرُوا ... مُـدَاخِـلَ رِجْسٍ بـالخَبِيثَـاتِ عَـالِمِ

---

(١) تنوطون : تعلّقون . العلاب : ج. العلبة ، وهي إناء ضخم من جلد أو خشب يحلب فيها .
(٢) الصدى : الهامة ، وهي طائر كالبوم كانوا يزعمون أنّه يخرج من رأس القتيل الذي لم يثأر له فيصيح : « اسقوني ، اسقوني » ، فإن قُتل القاتل امتنع الصدى عن صياحه . المقرّ : موضع قبر فيه غالب والد الفرزدق . الكرى : النعاس .
(٣) الجدث : القبر . الزبير : هو الزبير بن العوّام كان قد استجار بقوم الفرزدق فتخلّفوا . الودق : المطر . نجيّ الودق : أي سريع ، ويروى : بعيج الودق .
(٤) العصاة : بنو العاصي . آل حرب : بنو أميّة بن عبد شمس .
(٥) قفيرة : جدّة الفرزدق . آم : ج. أمة ، وهي العبدة أو الجارية والخادمة .
(٦) الزباب : نوع من الفأر كثير شعر الوجه .
(٧) خوخى وخجخج وقذام : أسماء إماء .
(٨) الوزواز : الرجل القصير .

وقال يهجو الأخطل :

لَقَدْ وَلَدَ الأخَيْطِلَ أمُّ سُوءٍ ... على بَابِ اسْتِهَا صُلُبٌ وَشَامُ
أهَانَ اللَّهُ جِلْدَةَ حَاجِبَيْهَا ... وَمَا وَارَى مِنَ القَذَرِ اللِّثَامُ

وقال أيضاً :

قَبَحَ الإلٰهُ وُجُوهَ تَغْلِبَ إنَّها ... هانَتْ عَلَيَّ مَرَاسناً وَسِبَالا[1]
قَبَحَ الإلٰهُ وُجُوهَ تَغْلِبَ كُلَّما ... شَجَ الحَجِيجُ وَكَبَّروا إهْلَالا[2]
والتَّغْلِبِيّ إذا تَنَحْنَحَ لِلْقِرى ... حَكَّ اسْتَهُ وَتَمَثَّلَ الأمْثَالا[3]
تَرَكَ الأخَيْطِلُ أمَّهُ وكأنَّها ... مَنْحَاةُ سَانِيَةٍ تُدِيرُ مَحَالا[4]
وَرَجَا الأُخَيْطِلُ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهِ ... مَا لَمْ يَكُنْ وَأَبٌ لَهُ لِيَنَالا
وَلَوْ أنَّ تَغْلِبَ جَمَّعَتْ أحْسَابَهَا ... يَوْمَ التَّفَاخُرِ لم تَزِنْ مِثْقَالا

وقال أيضاً :

ألَيْسَ أبو الأخَيْطِلِ تَغْلَبِيّاً ... فَبِئْسَ التَّغْلَبِيُّ أباً وَخَالا

وقال أيضاً :

بَكَى دَوْبَلٌ لا يَرْقِىء اللَّهُ دَمْعَهُ ... إلّا إنّما يَبْكِي مِنَ الذُّلِّ دَوْبَلُ[5]

* * *

---

(١) المراسن : ج. المرسن ، وهو الأنف . السبال : ج. السبلة ، وهي الشارب .
(٢) الشج : رفع الأيدي بالدعاء . الإهلال : رفع الصوت .
(٣) يصفهم بالبخل فيقول : إنهم يتنحنحون عند مقابلة الضيف ، ويقومون بحركات دنيئة ، ويتمثلون الأمثال .
(٤) المنحاة : طريق السانية . المحال : بكرة السانية .
(٥) الدوبل : الخنزير . يرقىء : يجفّ .

الفــرزدق

هو أبو فراس ، همّام بن غالب بن صعصعة من بني دارم ، لقبه الفرزدق ، أي الرغيف الضخم . ولد بالبصرة سنة ٢٠ هـ/٦٤١ م ، من أب وجيه ، كريم ينتمي إلى مجاشع بن دارم ، من أشراف بني تميم ، ومن ذوي المآثر الحميدة بين العرب .

وبالرغم من نجابة أصله وعراقة بيته ، اندفع وراء الفسق والفجور ، وكان مزواجاً مطلاقاً ، خبيث اللسان ، لا يُوثَق به ، ولا يُطمأنّ إليه .

عاش حياته متنقّلاً بين الأمراء والولاة ، مادحاً هاجياً ، وخاصة بعد أن غضب عليه زياد بن أبيه . ولمّا مات زياد هجاه الفرزدق وهجا من رثاه . . . تشيّع في شعره ، ولكنّ هذا التشيّع لم يمنعه من مدح بعض الأمويّين ، وهجاء البعض الآخر .

هجا الحجاج بن يوسف ، ولشدّة خوفه منه عاد واعتذر . ولما مات هجاه في قبره ، مؤيّداً حقّ سليمان بن الملك الذي أبى الحجاج مبايعته ، ثم ما لبث أن قال قصيدته في زين العابدين إبّان حجّه ، مدّعياً حقّه في الخلافة ، فألقي القبض عليه وحُبس .

هكذا كان الفرزدق متقلّباً في مبدأه وعاطفته ، لا همّ له إلّا المنفعة الخاصة .

تهاجى وجريراً طيلة نصف قرن تقريباً حتى وافته المنيّة سنة ١١٤ هـ/٧٣٢ م ، وقد نيّف على التسعين .

يتميّز هجاء الفرزدق بالبذاءة والفحش ، فيترك مهجوّه حقيراً ذليلاً ، سالباً عرضه ، عيّاباً له ، وذلك لاعتداده بنفسه ، وبشرف نسبه ؛ وهذا الغرور جعله يسرف في هجائه الذي عرّضه إلى شرّ متّصل ، من فارّ إلى لاجىء ، إلى سجين . . .

* * *

قال الفرزدق يهجو إبليساً :

وَمَـا أَنْتَ يـا إبْلِيسُ بـالمرء أبْتَغِي ... رِضَـاهُ ولا يـقـتـادنـي بـزِمَـامِ
سَأُجْزِيكَ مِنْ سَوْءَاتِ ما كُنْتَ سُقْتَني ... إلَيْـهِ جُـرُوحـاً فِيـكَ ذَاتَ كِـلاَمِ (١)
تُـعَيِّـرُهَـا فـي النَّـارِ والـنَّـارُ تَلْتَـقـي ... عَـلَيْـكَ بِـزَقُّـومٍ لَـهَـا وَضِـرَامِ (٢)
وإنَّ آبْـنَ إبْـلِيسَ وإبْـلِيس ألْـبَـنَـا ... لَهُمْ بِعَـذَابِ النَّاسِ كُـلَّ غُـلاَمِ (٣)
هُمَـا تَفِـلاَ فـي فِيَّ مِـنْ فَمَـوَيْـهِمَـا ... على النَّابِحِ العَاوِي أَشَدُّ رِجَامِ (٤)

* * *

وقال يهجو جريراً :

فـإنّـك إذْ تَـسْـعَـى لِـتُـدْرِكَ دَارِمـاً ... لأنْتَ المُعَنَّى يـا جَـرِيـرُ المُكَلَّفُ (٥)
أَتَـطْلُبُ مَنْ عِنْـدَ النُّجُـومِ وَفَـوْقَهـا ... بِـرِبْـقٍ وَعَـيْـرٍ ظَـهْـرُهُ مُـتَـقَـرِّفُ (٦)
أَبَـى لِـجَـريـرٍ رَهْطُ سُـوءٍ أذِلَّـةٌ ... وَعِـرْضٌ لَئِيمٌ للمخـازي مُـوَقَّـفُ (٧)

وقال فيه أيضاً :

إنْ تَـكُ كَـلْبـاً مِـنْ كُـلَيْبٍ فـإنَّـنِي ... مِنَ الـدارِمِيِّين الـطِّوَال الشَّقَـاشِقِ (٨)
نَـظَلُّ نَـدَامَـىٰ لِـلْمُـلُوكِ وأنْـتُـمُ ... تُمشُّـون بـالأرْبَـاقِ مِيلَ العَـوَاتِقِ (٩)

* * *

---

(١) الكلام : ج. الكلم ، وهو الجرح .
(٢) الزقوم : شجرة في جهنّم ، منها طعام أهل النار . الضرام : الاشتعال .
(٣) ابن إبليس : الشرّير . ألبن : سقى وأشرب ، أي : إنّهما عذّبا كلّ إنسان .
(٤) النابح العاوي : أي إبليس . الرجام : ج. الرجمة وهي الحجر ، أي : أكثر من ضرب الكلب النابح العاوي بالحجارة .
(٥) المعنّى المكلّف : ما يصعب ويشقّ عليه .
(٦) الربق : الحبل . العير : الحمار . المقرّف : المقروح ، المجروح .
(٧) المخازي : ج. المخزاة ، وهي الذلّ والعار . . .
(٨) الشقاشق : ج. الشقشقة ، وهي لهاة البعير يخرجها عند هيجانه .
(٩) الأرباق : ج. الربق ، وهو الحبل . العواتق : ج. العاتق ، وهو ما بين المنكب والعنق .

وقال يهجو قوم جرير :

وتُمْسِي نِسْوَةٌ لبني كُلَيْبٍ ... بِأَفْوَاهِ الأزِقَّةِ مُقْعَيَاتِ[1]

يَبِعْنَ نُفُوسَهُنَّ بِكُلِّ فِلْسٍ ... كَبَيْعِ السُّوقِ خُذْ مِنِّي وَهَاتِ

وقال أيضاً :

نِسَاءٌ بالمَضَايِقِ ما يُوَارِي ... مَخَازِيهِنَّ مُنْتَقِبُ الخِمَارِ[2]

وما أبْكَارُهُنَّ بِثَيِّبَاتٍ ... وُلِدْنَ مِنَ البُعُولِ وَلَا عَذَارِي[3]

* * *

وقال معيّراً عمّات جرير وخالاته بأنّهنّ راعيات :

كَمْ عَمَّةٍ لَكَ يا جَرِيرُ وَخَالَةٍ ... فَدْعَاءَ قَدْ حَلَبَتْ عَلَيَّ عِشَارِي[4]

كُنَّا نُحَاذِرُ أنْ تَضِيعَ لِقَاحُنَا ... وَلَهاً إذا سَمِعَتْ دُعاءَ يَسَارِ[5]

شَعَّارَةٍ تَقِذُ الفَصِيلَ بِرِجْلِهَا ... فَطَّارَةٍ لِقَوَادِمِ الأبْكَارِ[6]

كَانَتْ تُرَاوحُ عَاتِقَيْهَا عُلْبَةً ... خَلْفَ اللِّقَاحِ سَرِيعَةَ الإدْرَارِ[7]

* * *

وقال يهجو عمر بن هبيرة الذي ولّاه يزيد بن عبد الملك على العراق وخراسان ، ممهّداً لذلك لمخاطبة يزيد :

---

(١) الأزقة : ج. الزقاق ، وهو الطريق الضيّق . مقعيات : جالسات على أليّتهنّ ناصبات الساقين والفخذين .

(٢) انتقبت المرأة : شدّت على وجهها النّقاب ، أي الخمار أو القناع .

(٣) الأبكار : العذارى . الثيبات : ج. الثيّب ، وهي المرأة التي فارقت زوجها بموت أو طلاق .

(٤) فدعاء : من الفدع ، وهو عوج في المفاصل . العشار : ج. العشراء ، وهي ناقة مضى على حملها عشرة أشهر .

(٥) يسار : اسم راعٍ . يقول : إنّها إذا سمعت دعاء راع تركت إبلها وسارعت إليه .

(٦) الشعّارة : المبعدة . وقذ : ضرب ضرباً مبرّحاً . الفصيل : ولد الناقة . الفطّارة : من الفطرة ، وهو الحلب بالإبهام والسّبابة والوسطى . القوادم : الخلفان المتقدّمان من الناقة .

(٧) العلبة : إناء من جلد يحلب فيه .

أمِيرَ المُؤْمِنِينَ وأنْتَ وَالٍ ... شَفِيقٌ لَسْتَ بالوَالي الحَرِيصِ
أأَطْعَمْتَ العِرَاقَ وَرَافِدَيْهِ ... فَزَارِيّاً أحَذَّ يَدَ القَمِيصِ[1]
تَفَيْهَقَ بالعِرَاقِ أبُو المُثَنَّى ... وَعَلَّمَ قَوْمَهُ أكْلَ الخَبِيصِ[2]
سَتَحْمِلُهُ الذَّنِيئَةُ عَنْ قَلِيلٍ ... عَلَى سَيْسَاءَ ذِعْلِبَةٍ قَمُوصِ[3]

وقال فيه أيضاً حين ولاّه عبد الملك ، وعزل أخاه مسلمة بن عبد الملك :

وَلّتْ بِمَسْلَمَةَ الرِّكَابُ مودِّعاً ... فَارْعَيْ فَزَارَةُ لا هَنَاكِ المَرْتَعُ
وَلَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ فَزَارَةُ أُمِّرَتْ ... أنْ سَوْفَ تَطْمَعُ في الإمَارةِ أشْجَعُ
إنّ القِيَامَةَ قَدْ دَنَتْ أشْرَاطُهَا ... حَتَّى أُمَيَّةُ عَنْ فَزَارَةَ تُنْزَعُ

* * *

وقال في هجاء هشام بن عبد الملك ، حين حجّ معه ولم يُعطه إلاّ خمسمائة درهم :

يُرَدِّدُني بين المَدِينَةِ والتي ... إلَيْهَا قُلُوبُ النَّاسِ يَهْوِي مُنِيبُهَا[4]
يُقَلِّبُ عَيْناً لم تَكُنْ لخَلِيفَةٍ ... مُشَوَّهَةً حَوْلاءَ بَادٍ عُيُوبُهَا[5]

وقال فيه أيضاً :

لَبِئْسَ أميرُ المُؤْمِنِينَ أمِيرُكُمْ ... وَبِئْسَ أمِيرُ المؤمِنِينَ هِشَام
(. . .) عَيْنَاهُ إذا ما لَقِيتَهُ ... تَبَيَّنَ فيه الشُّؤْمُ وهو غُلَام

---

(١) رافدا العراق : دجلة والفرات . أحذّ يد القميص : كناية عن خفّة يده في السرقة ، أو أنّه لصّ قطعت يده في الحدّ .
(٢) أبو المثنى : كنية يكنى بها المخنّثون من الرجال . تفيهق في كلامه : تشدّق . الخبيص : حلواء تتّخذ من تمر وسمن يخلطان .
(٣) السيساء : الظهر . الذعلبة : الناقة أو النعامة السريعة . القموص : الكثيرة الوثوب . أي : إنّ دناءته ستحمله على مركب صعب .
(٤) تهوي إليها قلوب الناس : أي مكّة المكرّمة .
(٥) كان هشام بن عبد الملك أحول .

وقال يهجو الحجّاج بن يوسف ، ويهدّد الأمويين بالخروج عليهم :

إنْ تُنْصِفُونا يَآلَ مَرْوَانَ نَقْتَرِبْ ... إلَيْكُمْ وإلّا فَأْذَنُوا بِبِعَادِ[1]

فإنَّ لنا عَنْكُمْ مَرَاحاً وَمَذْهَباً ... بعيسٍ إلى رِيحِ الفَلاَةِ صَوَادي[2]

مُخَيَّسَةٍ بُزْلٍ تَخَايَلُ في البُرَى ... سَوَارٍ على طُولِ الفَلاَةِ غَوَادِي[3]

وفي الأرْض عَنْ ذي الجَوْرِ مَنْأًى وَمَذْهَبٌ ... وَكُلُّ بِلاَدٍ أوْطَنَتْ كبِلادي

وَمَاذَا عَسَى الحجّاجُ يَبْلُغُ جُهْدَهُ ... إذا نَحْنُ جَاوَزْنَا حَفِيرَ زِيَادِ[4]

فَبِآسْتِ أبي الحَجَّاجِ وَآسْتِ عَجُوزِهِ ... عُتَيِّدُ بَهْمٍ تَرْتَعِي بِوِهَادِ[5]

* * *

وقال يهجو خالد القَسْريّ حين حفر النهر الذي سمّاه المبارك :

أهْلَكْتَ مَالَ اللَّهِ في غَيْرِ حَقِّهِ ... عَلَى نَهْرِكَ المَشْؤُومِ غَيْرِ المُبَارَكِ

وَتَضْرِبُ أقْواماً صِحَاحاً ظُهُورُهَا ... وَتَتْرُكُ حَقَّ اللَّهِ في ظَهْرِ مَالِكِ[6]

أَإِنْفَاقِ مَالِ اللَّهِ في غَيْرِ كُنْهِهِ ... وَمَنْعاً لِحَقِّ المُرْمِلاَتِ الضَّوَائِكِ

وقال فيه أيضاً :

سَلُوا خَالِداً لا أكْرَمَ اللَّهُ خَالِداً ... مَتَى وَلِيَتْ قَسْرٌ قُرَيْشاً تَدِينُهَا

---

(١) أذن بالشيء : علم به .

(٢) العيس : الإبل البيض التي يخالط بياضها شقرة أو سواد خفيف . الصوادي : ج. الصادية ، وهي الشديدة العطش .

(٣) المخيّسة : المحبوسة ، المعلوفة في أماكنها لتسمن وتشتدّ . البزل : ج. البازل ، وهو الذي ظهرت نابه من الإبل . البرى : حلقة توضع في أنف البعير ليسهل انقياده . تخايل في البرى : كناية عن النشاط والقوّة .

(٤) حفير زياد : اسم موضع بين مكّة والبصرة .

(٥) عتيّد : تصغير عتود ، وهو الحولى من المعز . الوهاد : ج. الوهدة ، وهي الأرض المنخفضة .

(٦) مالك : هو ابن المنذر بن الجارود ، وكان أحد الناس قد ادّعى عليه فرية ، فأبطل خالد حقّه . والمقصود : إنّك تعاقب البريء ، وتحمي الظالم .

أَقَبْلَ رَسُولِ اللَّهِ أمْ بَعْدَ عَهْدِهِ فَتِلْكَ قُرَيشٌ قَدْ أغَثَّ سَمِينُها[1]
رَجَوْنَا هُدَاهُ لا هَدَى اللَّهُ خالداً فَمَا أمُّهُ بالأُمِّ يُهْدَى جَنِينُها

* * *

وقال يهجو المهلّب :

فَكَيْفَ وَلَمْ يَأْتُوا بمَكَّةَ مَنْسَكاً وَلَمْ يَعْبُدُوا الأوثان عند المُحَصَّبِ
ولم يَدْعُ داعٍ يا صَبَاحاً فَيَرْكَبُوا إلَى الرَّوْعِ إلاّ في السَّفِينِ المُضَبَّبِ[2]

* * *

وقال يهجو محمد بن جرير بن عبد الله البجيلي :

تَنَحَّ أهَانَ اللَّهُ مَثْوَاك خَاسِئاً عَنِ اسْمِ نَبِيِّ المُسْلِمِينَ مُحَمَّدِ

* * *

وقال يهجو رجلاً اسمه صالح بن كُدَيْر :

يقولون صَبِّحْ صالحاً فاسْتَغِثْ بهِ وَمَا صَالِحٌ؟ رِيحُ الخرُوءِ بِصَالِحِ !

* * *

(١) أغثّ : ضعف وهزل وفسد .
(٢) يقول : إنّهم لا يعرفون إلاّ ركوب السفن ، ولم يركبوا الخيل قطّ حين يصيح الداعي : يا صباحاً .

الأخطل

هو أبو مالك غياث بن غوث التغلبي الملقّب بالأخطل لخبث لسانه ، أو لاسترخاء في أذنيه .

ولد في الحيرة نحو ٢٠ هـ/ ٦٤٠ م ، حُرم عطف أمّه صغيراً ، بعد أن كانت تداعبه وتراقصه وتلقّبه بدوبل ، أي خنزير ـ وقد عيّره جرير بذلك ـ وكانت زوجة أبيه تسيء إليه وتفضّل أولادها عليه ، إذ كانت تحرمه من اللبن والتمر والزبيب ، وترسله إلى راعي أعتر لها ؛ فأثّر هذا الحرمان في تكوين شخصيّته ، فنشأ محبّاً للمشاكسة والتحدّي والتحرّش بالناس .

اتّصل بالأمويّين يمدحهم ، وهجا الأنصار تلبية لرغبة يزيد بن معاوية فقال فيهم :

ذَهَبَتْ قُرَيشٌ بالمَكَارِمِ والعُلَى والـلُّؤْمُ تَحْتَ عَمَائمِ الأنصار

فشكاه الأنصار إلى معاوية ، فنجا على يد يزيد . ومنذ ذلك الوقت اشتدّ التهاجي بينه وبين شعرائهم ، وخاصة النعمان بن بشير . كما هجا زوج أبيه ، وكعب بن جعيل ، شاعر تغلب .

وفي عهد يزيد بن معاوية ، كان للشاعر حظوة لدى الخليفة ، إذ كان ينادمه ويمدحه ، ولما توفّي رثاه .

وفي عهد عبد الملك بن مروان ، لقّب الأخطل بـ « شاعر بني أميّة » ، و « شاعر أمير المؤمنين » ، يمدحه ، ويمدح أقرباءه ، ويهجو أعداءه ، فتوثّقت العلاقة بين الأمويّين والتغلبيّين ، إذ استطاع الشاعر أن يسخّر الخلافة لمصلحة قومه .

التحم الهجاء بينه وبين جرير مدّة طويلة من الزمن ، إثر حكم الشاعر لشاعريّة الفرزدق خصم جرير .

توفي في خلافة الوليد بن عبد الملك وذلك حوالي سنة ٩٢ هـ/ ٧١٠ م وله من العمر حوالي سبعين سنة .

يعتبر هجاء الأخطل مزدوج الغاية ؛ يهدف إلى الدفاع عن الأمويّين ، لأنّه شاعر البلاط ، من جهة ، وإلى الدفاع عن نفسه وقبيلته ، من جهة أخرى . وكان هجاؤه لاذعاً مؤلماً من غير فحش ، وربّما كان ذلك مراعاة لحرمة الدولة التي ينطق باسمها .

* * *

قال يهجو جريراً وقومه :

قَوْمٌ إذا اسْتَنْبَحَ الأضيافُ كَلْبَهُمُ ... قالُوا لأمِّهِمُ : بُولي على النَّارِ

فَتُمْسِكُ البَوْلَ بُخْلاً أنْ تَجُودَ بِهِ ... وَمَا تَبُولُ لَهُمْ إلّا بمقدارِ

لا يَشْأَرُونَ بِقَتْلاهُمْ إذا قُتِلُوا ... ولا يَكُرُّونَ يَوْماً عِنْدَ إحْجَارِ[1]

وقال أيضاً :

جَاءَتْ بِهِ مُعْجَلاً عَنْ غِبِّ سَابِعَةٍ ... مِنْ ذِي لَهَالِهَ جَهْمِ الوَجْهِ كالقارِ[2]

أمٌّ لَئِيمةُ نَجْلِ الفَحْلِ مُقْرِفَةٌ ... أدَّتْ لِفَحْلٍ لَئيم النَّجْلِ شخّارِ[3]

وقال فيه أيضاً :

قَبَحَ الإلهُ بَني كُلَيْبٍ إنَّهُمْ ... لا يَحْفَظُون مَحَارِمَ الجيران[4]

أجَريرُ إنَّكَ والّذي تَسْمُو لَهُ ... كَأَسِيفَةٍ فَخَرَتْ بِحِدْجِ حصَان[5]

حَمَلَتْ لِرَبَّتِهَا فَلَمَّا عُولِيَتْ ... نَسَلَتْ تُعَارِضُهَا مَعَ الأظعانِ[6]

في دارِمِ تَاجُ المُلُوكِ وصِهْرُها ... أيَّامَ يَرْبُوعٌ مَعَ الرُّعْيَانِ[7]

---

(١) الإحجار : الشدّة والضرورة .

(٢) المعجل : الجنين الذي يلد قبل أوانه . وهنا إشارة إلى ولادته لسبعة أشهر . ذو اللهاله : الهائم في الصحراء . القار : الزفت .

(٣) شخار : كثير الشخير ، وهو صوت المرأة ساعة الجماع .

(٤) بنو كليب : قوم جرير .

(٥) الأسيفة : الأمة . الحدج : مركب النساء . الحصان : المرأة العفيفة .

(٦) عوليت : ركبت . نسلت : أسرعت في المشي . الأظعان : الركبان .

(٧) دارم : قوم الفرزدق . يربوع : قوم جرير .

وإذا وَضَعْتَ أبـاك فـي مِيـزَانِـهِـمْ رَجَحُـوا وَشَـالَ أبُـوك في الميـزانِ[1]

* * *

وقال يهجو بني كليب بن يربوع قوم جرير :

أمّـا كُـلَيْبُ بْـنُ يَـرْبُـوعٍ فَلَيْسَ لَـهُمْ عِـنْـدَ التَّـفَـارُطِ إيـرَادٌ وَلَا صَـدَرُ[2]
مُخَلَّفُـونَ وَيَـقْضِـي النَّـاسُ أَمْـرَهُـمُ وَهُمْ بِعَيْبٍ وفي عَمْيَـاءَ مـا شَعَـرُوا[3]
مُلَطَّمُـونَ بـأَعْقَـارِ الحِيَـاضِ فَـمَـا يَـنْـفَـكُّ مِـن دَارِمِـيٍّ فِـيـهِـمُ أَثَـرُ[4]
قَـوْمٌ تنـاهَتْ إلَـيْهِـمْ كُـلُّ مُخْـزِيَـةٍ وَكُـلُّ فَـاحِشَـةٍ سُبَّتْ بهـا مُضَـرُ[5]
على العِيَـارَاتِ هَـدَّاجُـونَ قَـدْ بَلَغَتْ نَجْـرَانَ أَوْ حُـدِّثَتْ سَـوْءَاتِهِمْ هَجَرُ[6]
الآكِـلُونَ خَـبِـيـثَ الـزادِ وَحْـدَهُـمُ والسَّـائِلُونَ بِـظَهْـرِ الغَيْبِ مَـا الخَبَرُ[7]
وَأَقْسَمَ الـمَجْـدُ حـقّـاً لا يُحَـالِـفُهُـمْ حَتَّى يُحَـالِفَ بَـطْنَ الـراحَـةِ الشَّعَـرُ

* * *

وقال يهجو خنجر الأسدي :

أَخَنْجَـرُ قَـدْ أَخْـزَيْتَ قَـوْمَـكَ بـالتي رَمَتْـكَ فُـوَيْقَ الحَـاجِبَيْنِ السَّنَـابِـرُ[8]

---

(١) شال : ارتفع .

(٢) التفارط : التقدّم في طلب الماء ، أي التفاخر . الإيراد : طلب المـاء . الصدر : الـرجوع عنه .

(٣) مخلفون : أي : إنّهم يظلّون خلف الناس .

(٤) ملطّمون : أي أذلّاء ، منزوون . الأعقار : ج . العقر ، وهو مؤخّر الحوض ، حيث تقف الإبل إذا وردت . الدارمي : من قوم الفرزدق .

(٥) تناهت : لجأت ، انتهت . المخزية : العار والفضيحة .

(٦) العيـارات : الحمير . الهـدج : مشيـة الشيخ . نجـران : بلدة بـاليمن . هجـر : مـوضـع بالبحرين . أي : إنّهم أصحاب حمير ، وليسوا أصحاب خيل .

(٧) خبيث الـزاد : أي لحم الضبّ ، وكـلّ مكـروه ، أي : إنّهم رعـاة وفعلة ، وجهلة يسـألـون الأشراف عن الأخبار .

(٨) أخزيت : حملت الخزي والعار . السنابر : ج . السنبر، وهو الحاذق ، وهنا إشارة إلى الطعنة التي شجّت حاجبيه .

أمِنْ عَـوَزِ الأسْمَـاءِ سُمِّيتَ خَنْجَـراً وَشَـرُّ سِـلاَحِ المُسْلِمِينَ الخَنَـاجِـرُ
غَمَـرْنـاكَ إسـلامـاً، وإنْ تَـكُ فِتنَـةً تَـكُنْ ثَـعْلَبـاً دارت عَـلَيْـهِ الـدَّوائِـرُ

وقال في هجاء زيد بن منذر النمري :

إنّـي لَـذَاكِـرُ زَيْـدٍ غَـيْـرُ مَـادِحِـهِ بـالمَـرْجِ يَـوْمَ نَـزَلْنـا مَـرْجَ حَمَّـارِ[1]
ألْحقتُ زَيْـداً غَـدَاةَ المَـرْجِ بـآبنتِـهِ إنّ الـلّئيم عـلى مِـقْـدَارِهِ جَـارِي[2]

* * *

وقال يهجو الدلماء ، وهي شاعرة من تغلب :

ألا أبْـلِغْ أبَـا الـدَّلْـمَـاءِ عَـنِّـي بـأنّ سِـنَـانَ شَـاعِـرِكم قـصيـرُ[3]
فَـإنْ يَـطْعَـنْ فَـلَيْسَ بِـذِي غَـنَـاءٍ وَإنْ يُـطْعَنْ فـطَـعْـنُـهُ يَـسِـيـرُ[4]
مَـتَـى مـا يَـلْقَـنِي وَمَـعـي سِـلاَحِـي يَـخِـرُّ على الـقَـفَـا ولـه نَـخِـيـرُ[5]

* * *

وقال يهجو كعب بن جُعَيل :

يـا كَعْبُ لا تَهْجُـوَنَّ العَـامَ مُعْتَـرِضـاً فـإنّ شِـعْـرَكَ إنْ لاقَـيْـتَـنـي غَـرَرُ[6]
إنّـي أنَـا اللَّيْـثُ في عِـرِّيسَـةٍ أشِبٍ فَـوَرِّعِ السَّـرْحَ حتّى يَفْسَحَ البَصَرُ[7]
قَـدْ جِئْتَ تَحمِـلُ رَأْسـاً غَيْـرَ مُلْتَئِمٍ كمـا تَحَـامَـلَ فَـوْقَ القِنَّـةِ الأمَـرُ[8]

---

(١) مرج حمّار : اسم موضع بالجزيرة .
(٢) يقول : إنّه هجاه وهجا ابنته لأنّ اللئيم يجب أن يُقَابَل باللّؤم .
(٣) السنان : نصل الرمح .
(٤) الغناء : الأذيّة .
(٥) النخير : مدّ النفس والصوت من الخياشيم .
(٦) الغرر : الذي لم يكتمل بعد .
(٧) العرّيسة : الخميلة . الأشب : الملتفّ . السّرح : الماشية التي تسرح .
(٨) القنّة : أعلى الشيء . الأمر : الحجارة التي توضع فوق بعضها لتحدّد معالم الطريق .

إنّ اللّهازِمَ لَنْ تَنْفَكَّ تابِعَةً ... هُمُ الذُّنَابَى وشِربُ التَّابِعِ الكَدَرُ[1]
قَبِيلَةٌ كَشِرَاكِ النَّعْلِ دَارِجَةٌ ... إنْ يَهْبِطُوا العَفْوَ لا يُوجَدْ لَهُمْ أثَرُ[2]
مَحَلُّهُمْ مِنْ بَنِي تَيْمٍ وإخْوَتَهُمْ ... حَيْثُ يَكُونُ مِنَ الحِمَارَةِ الثَّغَرُ[3]

وقال فيه أيضاً :

سُمِّيتَ كَعْباً بِشَرِّ العِظَامِ ... وَكَانَ أبُوكَ يُسَمَّى الجُعَلْ[4]
وإنَّ مَحَلَّكَ مِنْ وَائِلٍ ... مَحَلُّ القُرَادِ مِنِ اسْتِ الجَمَلْ

وقال يهجو أمّ كعب :

هَجَا النَاسُ أمَّ كَعْبٍ فَلَمْ يَدَعْ ... لها النَّاسُ إلَّا نَفْنَفاً أنَا رافِعُهْ[5]

* * *

وقال يهجو بني عبس بن بغيض :

أعَبْدَ آلِ بَغِيضٍ لا أبَا لَكُمُ ... عَبْساً تَخَافُونَ وَالعَبْسِيُّ مُحْتَقَرُ[6]
ما كان يُرْجَى ندى عَبْسِ الحجازِ وَلَا ... يُخْشَى نَفِيرُ بَنِي عَبْسٍ إذا نَفَرُوا[7]
ولا يُصَلِّي على مَوْتَاهُمُ أحَدٌ ... وَلَا تَقَبَّلُ أرْضُ اللَّهِ ما قَبَرُوا
إذا أنَاخُوا هَدَايَاهُمْ لِمَنْحَرِها ... فَهُمْ أضَلُّ مِنَ البُدْنِ الذي نَحَرُوا[8]
قَدْ أقْسَمَ المَجْدُ حَقّاً لا يُحَالِفُهُمْ ... حتّى يُحَالِفَ بَطْنَ الراحَةِ الشَّعَرُ[9]

---

(١) اللهازم : قوم كعب بن جعيل . الكدر : العكر .
(٢) الشراك : الوجه . الدارجة : البالية . العفو : الأرض الغليظة .
(٣) الثغر : فرج الدابة .
(٤) الجعل : نوع من الخنافس .
(٥) النفنف : الثوب الرقيق .
(٦) عبس : ابن بغيض .
(٧) ندى : عطاء ، النفير : الاجتماع للقتال .
(٨) الهدايا : الأضاحي . البدن : ج. البَدَنَة ، وهي الذبيحة المقدّمة في مكّة .
(٩) بطن الراحة : الكفّ .

وقال يهجو بني كلب :

يـا أيُّهـا الـراكـبُ المُـزْجِي مَـطِيَّتَـهُ ... أسْـرِعْ فـإنَّـك إنْ أُدْرِكْتَ مَقْتُـولُ[1]

لا يَـخْـدَعَـنَّـكَ كَـلْبِـيٌّ بِـذِمَّـتِـهِ ... إنّ القُضَـاعيَّ إنْ جَـاوَرْتَـهُ غُـولُ[2]

* * *

وقال يهجو الأنصار :

قَبَـحَ الإلٰـهُ بَنِي اليَـهُـودِ عِصَـابَـةً ... بـالجِـزْعِ بَيْنَ جُـلَاجِـلٍ وَصِـرَارِ[3]

قَـوْمٌ إذا هَـدَرَ الـعَـصِـيـرُ رَأَيْـتَـهُـمْ ... حُـمْـراً عُـيُـونُـهُـمُ كَـجَـمْـرِ النَّـارِ

ذَهَـبَتْ قُـرَيْشٌ بـالـمَكَـارِمِ والـعُلَى ... والـلُّؤْمُ تَـحْـتَ عَـمَـائِـمِ الأنْـصَـارِ

فَـذَروا الـمَعَـالـي لَسْـتُمُ مِـنْ أهْلِهـا ... وَخُـذُوا مَسَـاحِيَكُمْ بَـنِي النَّجَّـارِ[4]

إنَّ الـفَـوَارِسَ يَعْـرِفـون ظُـهُـورَكُـمْ ... أوْلَادَ كُـلِّ مُـقَـبَّـحٍ أكَّـارِ[5]

وإذا نَـسَـبْـتَ آبْنَ الـفُـرَيْـعَـةَ خِـلْتَـهُ ... كـالجَحْشِ بَيْنَ حِـمَـارَةٍ وَحِمَـارِ[6]

* * *

وقال يهجو زهير بن جُنْدَب :

لَعَمْـرُكَ إنّـا مِـنْ زُهَيْـرِ بْـنِ جُنْـدَبٍ ... لَـدَانُـونَ لَـوْ أنَّ الـقَـرَابَـةَ تَـنْـفَـعُ

فـأمّـا إنَـاءُ الـخَيْـرِ مِـنْهُـمْ فَـفَـارِغٌ ... وأمَّـا إنَـاءُ الـشَّـرِّ مِنْـهُـمْ فَـمُـتْـرَعُ[7]

---

(١) المزجي : الدافع .

(٢) الكلبي : كلب بن وبرة من تغلب . القضاعي : عمرو بن مالك بن مرّة . الغول : المفترس .

(٣) الجزع ؛ منعطف الوادي . جلاجل وصرار : جبلان . ينسب الشاعر الأنصار إلى اليهود سكان يثرب الأصليين .

(٤) ذروا : دعوا . بنو النجار : الأنصار .

(٥) أكار : حرّاث .

(٦) ابن الفريعة : أي حسّان بن ثابت .

(٧) مترع : مليء .

وقال يهجو رجلاً بخيلاً يدعى : أبا مروان :

كـأنَّ أبَـا مَـرْوَانَ يُـنْـزَعُ ضِـرْسُـهُ إذا القَـوْمُ قَـالُـوا مَتِّعُـونَـا بِـدِرْهَمِ

* * *

وقال أيضاً يهجو النابغة الجعدي وقومه :

خَـنَـافِسُ أدْلَـجَـتْ لِـمَـبِـيـتِ سُـوءٍ وَرِثْـنَ فِـراشَ زانِـيَـةٍ وَزَانِ[1]

ومـا أمُّ رَبَـوْتَ عـلى يَـدَيْـهـا بـطاهِـرَةِ الـثِّـيَـابِ ولا حَـصَـانِ[2]

كـأنَّ عِـجَـانـهـا لَـحْـيَـا جَـزُورٍ تَـحَسَّـرَ عَـنْهُـمـا وَضَـرُ الجِـرَانِ[3]

* * *

وقال في هجاء بني زيد اللاّت :

ألا إنّ زَيْـدَ الـلاّت يَـوْمَ لَـقِـيـتُـهـا عِـلاَقَـةُ سُـوءٍ فـي إنـاءٍ مُـثَـلَّمِ[4]

قُـبَـيِّـلَةٌ مـا يَـغْـدِرُونَ بِـذِمَّـةٍ ولا يَظْلِمُـونَ النَّـاسِ مِثْقَـالَ دِرْهَمِ[5]

ولا يَـرِدُونَ الـمَـاءَ إلاَّ عَـشِـيَّـةً على طُـولِ أظْمَـاءٍ وَوَجْـهٍ مُلَطَّمِ[6]

هُـوَ العَبْدُ يُجْبَى كُـلَّ يَـوْمٍ ضَـرِيبةً مَتَى تُلْزِمِ العَـبْـدَ المَـذَلَّـةَ يَـلْزَمِ[7]

* * *

---

(١) أدلجت : سارت ليلاً .

(٢) يقول : إنّ أم الجعدي التي ربّته على يديها ليست بطاهرة ولا شريفة .

(٣) العجان : الاست . الجزور : الدابّة المعدّة للذبح . تحسّر : ارتفع وبان ما تحته . الوضر : الوسخ . الجران : صفحة العنق .

(٤) المثلّم : المشقّق .

(٥) في هذا البيت معارضة لقول الحطيئة :

قُـبَـيِّـلَةٌ لا يَـغْـدِرُونَ بِـذِمَّـةٍ ولا يَـظْلِمُـونَ النَّـاسَ حَبَّـةَ خَـرْدَلِ

(٦) ورد الماء : ذهب للشرب . الأظماء : العطش الشديد . الوجه الملطّم : أي يلطمون على وجوههم كالعبيد .

(٧) يجبى : تؤخذ منه الضريبة .

وقال فيهم أيضاً :

لا يَرْهبُ الضَّبُعَ من أمْسَتْ بِعَقْوَتِهِ ... إلّا الأذِلّانِ: زَيْدُ اللاّتِ والغَنَمُ[1]

هَاتَا لَهُنَّ ثُغَاءٌ وَهْيَ جائِلَةٌ ... وَهؤُلاَءِ قَابِلُو خَسْفٍ وإنْ رَغَمُوا[2]

---

(١) العقوة : ما تجمع في ساحة الدار .

(٢) الثغاء : صوت الغنم .

الهجاء في العصر العباسي

ازدهر فنّ الهجاء في العصر العباسي نتيجة لتحاسد الشعراء ، وتهافتهم على المال والملذّات ، وقد ضمّنوا أهاجيهم كلاماً بذيئاً ، سهّل عليهم ذلك ضعف الوازع الديني ، وانغماسهم في المفاسد .

ومن الملاحظ أيضاً أن العصبيّة القبليّة كادت تزول في عصر بني العباس ، ولكن خلفتها عصبيّة قوميّة ، أحدثت صراعاً عنيفاً بين القديم والجديد ، وهي الحركة الشعوبيّة التي سعت إلى الحطّ من قدر العرب ، ناعتة إيّاهم بأهل شظف وخشونة ، وأهل بداوة وخيام . أمّا العرب فكانوا يعيّرون أتباعها بالكفر والزندقة والبخل والانهزام أمامهم .

أمّا الهجاء الفردي فقد ازدهر في هذا العصر على يد ابن الرومي والمتنبّي .

والجدير بالذكر أن اتّجاهاً جديداً ظهر في هذا العصر ، هو هجاء المدن ، كهجاء أبي نواس للبصرة ، وابن أبي الزوائد لبغداد ، وسنتوقّف وقفةً متأنّيةً في الهجاء عند ابن الرومي ، والمتنبّي ، وأبي نواس ، وبشّار بن برد ، ودعبل بن علي الخزاعي .

ابـن الـرومـي

هـو أبو الحسن عليّ بن العباس بن جـريـج الـروميّ ، ولـد في بغـداد سنـة ٢٢١ هـ/ ٨٣٥ م من أب روميّ وأمّ فارسيّة ، كما يُستدلّ من قوله :

كَـيْفَ أُغْـضِي عـلى الـدَّنِيَّـةِ والـفـر سُ خُؤُولي والـروم مـن أعمـامـي[١]

أو قـولـه :

وَنَحْنُ بَنُـو اليُـونَـانِ قَـوْمٌ لَنَـا حِجَى وَمَجْدٌ وَعِيدَانٌ صـلاب المَعَاجِمِ[٢] . .

نشأ محبّاً للعلم ، راغباً فيه إلى ما بعد سنّ الكهولة ، فحصّل ثقافـة واسعة ، قوامها العربيّة والعلوم الـدخيلة ، بالـرغم من تيتّمه وهـو صغير ، وتعهّـدِ أخيه لـه ، وتـوالي المصائب عليـه ، إذ نُكب بمـوت أبيـه ، وأخيـه ، ثم أولاده الثـلاثـة ، ثم زوجته ، فكان لهذه الضربات المتتالية أوقع الأثر في نفسيّته ، إذ ولّدت فيه خوفاً من الحياة ونقمة على القدر ، فغدا متطيّراً موسوساً ، ممّا جعله مضرباً للمثل ، وموضوعاً للأقاصيص والتندّر ، ومع ذلك كان غروراً متوهّماً أنّه أفضـل الناس طـرّاً ، وجديـراً بكلّ احترام وتعظيم . لذلك لم يجنِ من هذه الحياة إلّا الخيبة والفشـل ، ولم يتّبع سياسة الرياء والتدليس في عصر لا ينجب فيه إلّا ذوو الحيلة والدهاء ، فابتلاه الفقر ، وراح يستجدي أهل الجود والوجهاء ، وقد عبّر عن ذلك بقوله :

أيَـلْتَمِسُ الـنـاسُ الغـنى فـيصـيـبـهـم وأَلْتَمِسُ القُـوتَ الـطَّفِيـفَ فَيَـلْتَـوِي

كما كان يستعطي درهمين في الشهر من أَصْدِقاء له :

لِـيَ فـي دِرْهَـمَـيْـنِ فـي كُـلِّ شَـهْـرٍ مـن فِئَـامٍ مـا يَـطْرُدُ الـحَـوْجَـاءَ

هكذا عانى ابن الـرومي حياة ظـالمة ، فحـالفه الشقـاء ، وسوء الحظ ، ولم

---

(١) أغضى على : سكت .

(٢) الحجى : العقل . صلاب المعاجم : كناية عن القوّة والبأس .

يبتسم له الدهر إلّا ساخراً منه ؛ فالملوك أقصوه ، والأصدقاء خذلوه ، ولم يلق من الناس إلّا الشرّ والاستهزاء ؛ لذلك عاش خاملاً يائساً مضطهداً متطيّراً ، كثير العوز . مات مسموماً على الأرجح سنة ٢٨٣ هـ/٨٩٦ م .

يتميّز هجاؤه بنقمة عارمة ، لأنّه حُرم من كلّ ملذّات الحياة ، لذلك نراه يصبّ جام غضبه على مهجوّه ، نازعاً عنه كلّ صفة تستحقّ التقدير ، مجسّماً النقص والعيب ليشفي غليله منه ومن كلّ إنسان يقيم وزناً للظاهر دون الباطن ، كما يتميّز بدقّة الوصف وسعة الخيال ، والغوص إلى المعاني ، معتمداً في ذلك على فن الكاريكاتور حتى يثير الضحك والإشفاق في آن معاً .

أهمل ابنُ المعتز ابنَ الرومي ، في كتابه طبقات الشعراء ، قصداً ، فابن الرومي هجا المعتز حينما خلع من الخلافة في قصيدة مطلعها :

أمسَى الشّبابُ رِداءً عَنكَ مُستلِباً ... وَلَنْ يَدُومَ عَلى العَصْرَيْنِ مَا اعْتَقَبَا

وفيها يقول :

دعِ الخلافةِ يا معتزّ من كَثب ... فليس يكسوك منها الله ما سلبا
أترتجي لبسها من بعد خلعها ... هيهات هيهات فات الضرع ما حلبا
تاللّهِ ما كان يرضاك المليك لها ... قبل احتقابك ما أصبحت محتقبا
فكيف يرضاك بعد الموبقات لها ... لا كيف، لا كيف إلا المين والكذبا

وقال يهجو الأحدب :

قَصُرَتْ أخَادِعُهُ وَغَارَ قُذَالُهُ ... فكأنّهُ مُتَرَبِّصٌ أنْ يُصْفَعَا[1]
وَكأنّمَا صُفِعَتْ قَفَاهُ مَرَّةً ... وأحَسَّ ثانِيَةً لَها فَتَجَمَّعَا[2]

* * *

وقال يهجو أبا حَفْص الورّاق :

يا صَلْعَةً لأبي حَفْصٍ مُمَرَّدَةً ... كَأنَّ سَاحَتَها مِرْآةُ فُولاَذِ[3]

---

(١) الأخادع : ج. الأخدع ، وهو عرق في صفحة العنق . القذال : مؤخّر الرأس .
(٢) القفا : مؤخّر العنق .
(٣) الممرّدة : المصقولة .

تَـرِنُّ تَحْتَ الأَكُفِّ الـواقِعَـاتِ بـهـا حَتَّى تَـرِنَّ بـهـا أكْنَـافُ بَـغْـدَادِ[1]

* * *

وقال يهجو أنف عمرو النصراني :

يـا عَمْـرُو فخـراً فَقَـدْ أُعْـطِيتَ مَنْـزِلَـةً لَـيْـسَـتْ لِـقَسٍّ ولا كـانَـتْ لِـشَـمَّـاسِ
لِلنّـاسِ فِيـلٌ إمـامُ الناسِ مَـالِكُـهُ وَأَنْتَ يـا عَمْـرُو فِيـلُ اللَّهِ لا النَّـاسِ
عَلَيْكَ خُـرْطُـومُ صِـدْقٍ لا فُجِعْتَ بـهِ فـإنَّـهُ آلَـةٌ لِـلْجُـودِ وَالـبَـاسِ
لَـوْ شِئْتَ كَسْباً بـهِ صَـادَفْتَ مُكْتَسَبـاً أَوِ انْتِصَـاراً مَضَى كـالسَّيْفِ وَالفَـاسِ
مَنْ ذا يَقُـومُ لِـخُـرْطُـومٍ حُمِيتَ بـهِ إذا ضَـرَبْتَ بـهِ قَـرْنـاً على الـراسِ
أَوْ مَنْ يَـرَاهُ فَـلاَ يُعْـطِيـكَ خِلْعَتَـهُ؟ لا تَكْـذِبَنَّ فما بـالصّدقِ مِنْ بـاسِ
حَـمَـلْتَ أَنْـفـاً يَـرَاهُ النَّـاسُ كُـلُّهُـمُ مِنْ رَأْسِ ميـلٍ عيـانـاً لا بِمِقْيَـاسِ

وقال في آخر :

لَـكَ أَنْـفٌ يـا آبْـنَ حَـرْبٍ أَنِـفَـتْ مِـنْـهُ الأُنُـوفُ
أَنْـتَ فـي الـبـيـت تُـصَـلّي وَهْـوَ فـي الـسُّـوقِ يـطوفُ

* * *

وقال يهجو سليمان بن عبد الله بن طاهر ، وقد عاد مهزوماً في قتال عدوّ :

قِـرْنُ سُـلَيْـمَـانَ قَـدْ أَضَـرَّ بـهِ شَـوْقٌ إلـى وَجْـهِـهِ سَـيُـتْـلِفُـهُ
لَـمْ يَـعِـدُ الـقِـرْنَ بـالـلِّقَـاءِ وَكَـمْ يَـكْـذِبُ فـي وَعْـدِهِ وَيُـخْـلِفُـهُ
لا يَـعْـرِفُ الـقِـرْنَ وَجْـهَـهُ وَيَـرَى قَـفَـاهُ مِـنْ فَـرْسَـخٍ فَـيَـعْـرِفُـهُ

* * *

وقال يهجو رجلاً اسمه دبس :

قُـولا لِـدِبْسٍ شَـرٌّ مَـنْ يَـطَأ الـتُّـرابَ وَيُـرْمَسُ[2]

---

(١) الأكناف : النواحي .

(٢) يرمس : يدفن في التراب . والمقصود : أنّه شرّ المخلوقات الحيّة .

تَـبّـاً لِـدَهْـرٍ أنْـتَ فـيـهِ مُـقَـدَّمٌ وَمُـرَأَّسُ[1]
لَـوْ أنّ إبْـلِـيـسـاً رآك لَـكَـانَ ذُعْـراً يُـبْـلِسُ[2]
وَلَـرَاعَـهُ وَجْـهٌ مِـنَ الـتّـحْـسِـيـنِ قَـالَ أمْـلَسُ
وَكَـأَنَّ صَـوْتَـكَ حِـيـنَ تُصْدَحُ صَوْت رَعْـدٍ يَـرْجِسُ[3]
فـإذا صَـدَحْـتَ مُـؤَذِّنـاً كَـادَتْ تَـمُـوتُ الأنْـفُسُ
وإذا نَـهَـضْـتَ كـبـا بِـوَجْـهِـكَ لِـلْجَبِينِ الـمَـعْـطِسُ[4]
فـالأنْـفُ مِـنْـكَ لِـعَـظْمِـهِ أَبَـداً لِـرَأْسِـكَ يَـعْـكِسُ
حَـتّـى يَـظُنَّ الـنّـاسُ أنَّـ ـكَ فـي الـتـراب تَـفَـرَّسُ[5]
وَلأَنْـتَ أجْـدَرُ بـالّـذِي قَـالَ الـفَـتَـى الـمُـتَـنَـطِّسُ[6]
إنْ كَـانَ أنْـفُـكَ هـكـذا فـالـفِـيـلُ عِـنْـدَكَ أفْـطَسُ
وإذا جَلَسْتَ إلـى الـطريـقِ وَلَا أَرَىٰ لَـكَ تَـجْـلِسُ
قِـيـلَ الـسَّـلامُ عَـلَـيْـكُـمَـا فَـتُـجِـيـبُ أنْـتَ ويَـخْـرسُ

* * *

وقال يهجو جاحظ العينين :

تَـخَـالُـهُ أَبَـداً مِـنْ قُـبْـحِ مَـنْـظَرِهِ مُـجَـاذِبـاً وَتَـراً أوْ بـالِـعـاً حَـجَـرا
كـأنَّـهُ ضِـفْـدَعٌ فـي لُـجَّـةٍ هَـرِمٌ إذا شَـدَا نَـغَـمـاً أو كَـرَّرَ الـنَّـظَرا

* * *

---

(١) تباً له : دعاء بالشرّ ، أي أهلكه .
(٢) يبلس : يصاب بالحيرة ، يخاف .
(٣) يرجس : يرعد .
(٤) كبا : وقع . المعطس : الأنف .
(٥) تفرس : تتفرّس ، أي تنظر مثبتاً النظر ، تحدّق .
(٦) المتنطّس : الدقيق النظر ، والمتأنّق .

وقال يهجو بخيلاً يدعى عيسى :

يُقَتِّرُ عِيسَى على نَفْسِهِ وَلَيْسَ بِبَاقٍ وَلَا خَالِدِ[1]
فَلو يَسْتَطِيعُ لِتَقْتِيرِهِ تَنَفَّسَ مِنْ مِنْخَرٍ وَاحِدِ

* * *

وقال يهجو أبا فراس ، (وهو غير أبي فراس الحمداني) :

فَتًى ما زَالَ يَنْهَضُ لِلْمَخَازِي وَلَيْسَ بِهِ إلى العَلْيَاءِ نَهْضُ
سَجِيَّتُهُ طِوَالَ الدَّهْرِ قَبْضٌ وَكُلُّ سَجِيَّةٍ بَسْطٌ وَقَبْضُ
وَلُؤْمُ النَّاسِ طُولٌ دُونَ عَرْضٍ وَلٰكِنْ لُؤْمُهُ طُولٌ وَعَرْضُ

* * *

وقال يهجو كنيزة المغنّية :

شَاهَدْتُ في بَعْضِ ما شَاهَدْتُ مُسْمِعَةً كأنَّما يَوْمُها يَوْمَانِ في يَوْمِ[2]
تَظَلُّ تُلْقِي على مَنْ ضَمَّ مَجْلِسُها قَوْلاً ثَقِيلاً عَلَى الأَسْمَاعِ كَاللَّوْمِ
لَهَا غِنَاءٌ يُثِيبُ اللَّهُ سَامِعَهُ ضُعْفَي ثَوَابِ صَلاَةِ اللَّيْلِ والصَّوْمِ
ظَلِلْتُ أَشْرَبُ بالأَرْطَالِ لا طَرَباً عَلَيْهِ بل طَلَباً لِلسُّكْرِ والنَّوْمِ

وقال أيضاً :

قَيْنَةٌ مَلْعُونَةٌ مِنْ أَجْلِهَا رَفَضَ اللَّهْوَ مَعاً مَنْ رَفَضَهْ
فإذا غَنَّتْ تَرَى في حَلْقِهَا كُلَّ عِرْقٍ مِثلَ بَيْتِ الأَرَضَهْ[3]

* * *

---

(١) يقتّر : يبخل .
(٢) المسمعة : المغنّية .
(٣) الأرضة : حشرة صغيرة تنقر الخشب .

وقال يهجو صاحب اللحية الطويلة :

إنْ تَطُلْ لِحْيَةٌ عَلَيْكَ وَتَعْرُضْ ... فَالمَخَالي مَعْرُوفَةٌ لِلْحَمِيرِ

عَلَّقَ اللَّهُ في عِذارَيْكَ مِخْلاَ ... ةً وَلٰكِنَّها بِغَيْرِ شَعِيرِ[1]

لَوْ غَدَا حُكْمُهَا إلَيَّ لَطَارَتْ ... في مَهَبِّ الرِّيَاحِ كُلَّ مَطِيرِ

أَلْقِهَا عَنْكَ يا طَوِيلَةُ أوْ لا ... فَاحْتَبِسْهَا شَرَارَةً في السَّعِيرِ[2]

أرْعِ فيها المُوسَى فإنَّكَ مِنْهَا ... يَشْهَدُ اللَّهُ في إثَامٍ كَبِيرِ:

أيُّما كَوْسَجٍ يَرَاهَا فَيَلْقَى ... رَبَّهُ بَعْدَها صَحِيحَ الضَّمِيرِ[3]

هو أحْرَى بأنْ يَشُكَّ وَيُغْرَى ... بِاتِّهَامِ الحَكِيمِ في التَّقْدِيرِ[4]

ما تَلَقَّاكَ كَوْسَجٌ قَطُّ إلاَّ ... جَوَّرَ اللَّهَ أيَّما تَجْوِيرِ[5]

لِحْيَةٌ أُهْمِلَتْ فَسَالَتْ وَفَاضَتْ ... فإلَيْهَا تُشِيرُ كفُّ المُشِيرِ

مَا رَأَتْهَا عَيْنُ امْرِىءٍ ما رآها ... قَطُّ إلاّ أهَلَّ بالتَّكْبِيرِ[6]

رَوْعَةٌ تَسْتَخِفُّهُ لَمْ يُرَعْهَا ... مَنْ رَأى وَجْهَ مُنْكَرٍ وَنَكِيرِ[7]

فَاتَّقِ اللَّهَ ذا الجَلالِ وَغَيِّرْ ... مُنْكَراً فِيكَ مُمْكِنَ التَّغْيِيرِ

أو فَقَصِّرْ مِنْهَا فَحَسْبُكَ مِنْهَا ... نِصْفُ شِبْرٍ عَلاَمَةَ التَّذْكِيرِ

لَوْ رَأى مِثْلَهَا النَّبِيُّ لأَجْرَى ... في لِحَى النَّاسِ سُنَّةَ التَّقْصِيرِ

واسْتَحَبَّ الإحْفَاءَ فِيهِنَّ والحَلْقَ ... مَكَانَ الإعْفَاءِ والتَّوْفِيرِ[8]

* * *

---

(١) العذاران : جانبا اللحية .

(٢) احتبسها شرارة في السعير : أي اجعلها وقفاً للنار .

(٣) الكوسج : الخفيف اللحية .

(٤) أي : إنّه أحرى باتهام الله في حكمته وعدله وتقسيم الأرزاق على الناس .

(٥) جوّره : نسب إليه الجور ، أي الظلم .

(٦) أهلَّ بالتكبير : صاح الله أكبر .

(٧) منكر ونكير : ملاكا القبور . روعة تستخفه : فزع يسيطر عليه .

(٨) الإحفاء : قص الشارب . الإعفاء : ترك اللحى تطول .

وقال يهجو عمراً :

وَجْهُكَ يا عَمْرُو فِيهِ طُولُ ... وفي وجوهِ الكِلَابِ طُولُ
مَقَابِحُ الكَلْبِ فيكِ طُرّاً ... يَزُولُ عَنْها وَلَا تَزُولُ
وَفِيهِ أشْيَاءُ صَالِحَاتٌ ... حَمَاكَهَا اللَّهُ والرَّسُولُ
فَالكَلْبُ وَافٍ وَفِيكَ غَدْرٌ ... فَفِيكَ عَنْ قَدْرِهِ سُفُولُ
وَقَدْ يُحَامِي عَنِ المَوَاشِي ... وَمَا تُحَامِي ولا تَصُولُ[1]
وأنْتَ مِنْ أهْلِ بَيْتِ سُوءٍ ... قِصَّتُهُمْ قِصَّةٌ تَطُولُ
وُجُوهُهُمْ لِلْوَرَى عِظَاتٌ ... لَكِنَّ أقْفَاءَهُمْ طُبُولُ[2]
نَسْتَغْفِرُ اللَّهَ قَدْ فَعَلْنَا ... ما يَفْعَلُ المَائِقُ الجَهُولُ[3]
ما إنْ سَأَلْنَاكَ ما سَأَلْنَا ... إلَّا كَمَا تُسْأَلُ الطُّلُولُ
صَمَّتْ وَعَيَّتْ فَلَا خِطَابٌ ... وَلَا كِتَابٌ وَلَا رَسُولُ
مُسْتَفْعِلُنْ فاعِلُنْ فَعُولُ ... مُسْتَفْعِلُنْ فاعِلُنْ فَعُولُ
بَيْتٌ كَمَعْنَاكَ لَيْسَ فِيهِ ... مَعْنًى سِوَى أنَّهُ فُضُولُ[4]

وقال أيضاً يهجوه :

عشِقْنَا قَفَا عَمرٍو وَإنْ كانَ وجهُهُ ... يُذكِّرُنَا قبحَ الخيانَةِ والغَدْرِ
فتًى وجهُهُ كَالهَجْرِ لا وَصْلَ بَعْدَهُ ... وأمّا قَفاهُ فَهُو وَصلٌ بلا هجرِ

* * *

وقال يهجو المجتمع :

نَحْنُ أحْيَاءٌ على الأرْضِ وَقَدْ ... خَسَفَ الدَّهْرُ بِنَا ثُمَّ خَسَفْ

---

(١) يصول : يقاتل .
(٢) الأقفاء : ج. القفا ، وهو مؤخّر العنق . وقد شبّه أقفاءهم بالطبول لكثرة صفع الناس لها ، وهذا دليل على ذلّهم وهوانهم .
(٣) المائق : الأحمق .
(٤) الفضول : الزيادة التي لا قيمة لها .

أَصْبَحَ السَّافِلُ مِنَّا عَالِياً ... وَهَوَى أَهْلُ المَعَالي والشَّرَفْ
رَبِّ أَنْصِفْنِي مِنَ الدَّهْرِ فَمَا ... لي إلاَّ بِكَ مِنْهُ مُنْتَصَفْ
يَسْفُلُ النَّاسُ وَيَعْلُو مَعْشَرٌ ... قَارَفُوا الأَقْرَافِ مِنْ كُلِّ طَرَفْ[1]
وَلَعَمْرِي إِنْ تَأَمَّلْنَاهُمُ ... مَا عَلَوا لكِنْ طَفَوا مِثْلَ الجِيَفْ

* * *

وقال يهجو المجتمع أيضاً :

طَارَ قَوْمٌ بِخِفَّةِ الوَزْنِ حَتَّى ... لَحِقُوا خِفَّةً بِقَابِ العُقَابِ[2]
وَرَسَا الرَّاجِحُونَ مِنْ جِلَّةِ النَّا ... سِ رُسُوَّ الجِبَالِ ذاتِ الهِضَابِ
فَلْيَطِرْ مَعْشَرٌ وَيَعْلُو فإِنِّي ... لا أَرَاهُمْ إلاّ بِأَسْفَلِ قَابِ
لا أُعِدُّ العُلُوَّ مِنْهُمْ عُلُوّاً ... بَلْ طُغُوّاً يَمِينَ غَيْرِ كَذَابِ
جِيَفٌ أَنْتَنَتْ فأَضْحَتْ عَلَى ... اللَّجَّةِ والدُّرُّ تَحْتَها في حِجَابِ

* * *

وقال يهجو الشرطة والكتّاب والتجّار :

أَتُرَانِي دُونَ الأُلَى بَلَغُوا الآ ... مَالَ مِنْ شُرْطَةٍ وَمِنْ كُتَّابِ
وَتِجَارٍ مِثْلِ البَهَائِمِ فَازُوا ... بِالمُنَى في النُّفُوسِ وَالأَحْبَابِ
فِيهِمُ لُكْنَةُ النَّبِيطِ وَلَكِنْ ... تَحْتَهَا جاهِلِيَّةُ الأَعْرَابِ[3]
أَصْبَحُوا يَلْعَبُونَ في ظِلِّ دَهْرٍ ... ظَاهِرِ السَّخْفِ مِثْلِهِمْ لَعَّابِ[4]

---

(١) قارفوا : قاربوا . الأقراف : الأعمال الفاسدة ، الذنوب .
(٢) العقاب : طائر من الجوارح ، أي ارتفع قوم لخفة عقولهم إلى المستوى الذي يحلّق فيه العقاب .
(٣) اللكنة : اللهجة . النبيط : قوم كانوا يسكنون بين العراق العربي والعراق العجمي ، جاهليّة الأعراب : بداوة الأعراب .
(٤) يلعبون : يرتعون .

غَيْرَ مُغْنِينَ بالسُّيُوفِ وَلَا ... الأقْلَامِ في مَوْطِنٍ غَنَاءَ ذُبَابِ
لَيْسَ فِيهِمْ مُدَافِعٌ عَنْ حَرِيمٍ ... لا وَلَا قَائِمٌ بِصَدْرِ كِتَابِ
شَغَلَتْ مَوْضِعَ الكُنَى لا بَلِ ... الأَسْمَاءِ مِنْهُمْ قَبَائِحُ الألقَابِ
خَيْرُ ما فِيهِمْ وَلَا خَيْرَ فِيهِمْ ... أَنَّهُمْ غَيْرُ آثمي المُغْتَابِ[1]

* * *

وقال يهجو البحتري وشعره :

البُحْتُرِيُّ ذَنُوبُ الوَجْهِ نَعْرِفُهُ ... وَمَا عَرَفْنَا ذَنُوبَ الوَجْهِ ذا أدَبِ
الحَظُّ أعْمَى وَلَوْلَا ذَاكَ لَمْ نَرَهُ ... لِلبُحْتُرِيِّ بِلَا عَقْلٍ وَلَا حَسَبِ
وَغْدٌ يَعَافُ مَدِيحَ النَّاسِ كُلِّهِمُ ... وَيَطْلُبُ الشَّتْمَ مِنْهُمْ جاهِدَ الطَّلَبِ
قُبْحاً لأَشْيَاءَ يأتي البُحْتَرِيُّ بها ... مِنْ شِعْرِهِ الغَثِّ بَعْدَ الكَدِّ والتَّعَبِ
وَقَدْ يَجِيءُ بِخَلْطٍ فالنُّحَاسُ لَهُ ... وَلِلأَوَائِلِ ما فيهِ مِنَ الذَّهَبِ
عَبْدٌ يُغِيرُ عَلى المَوْتَى فَيَسْلبُهُمْ ... حُرَّ الكَلَامِ بِجَيْشٍ غَيْرِ ذي لَجِبِ[2]

* * *

(١) غير آثمي المغتاب : أي لا ذنب لمن يعيبهم ويذكرهم بما فيهم من سوء .
(٢) لجب : كثير العدد .

المتنبّـي

هو أبو الطيّب أحمد بن الحسين الجعفي الملقّب بالمتنبّي ؛ إمّا لادّعائه النبوّة ، وإمّا لأنّه شبّه نفسه بالأنبياء كما في قوله :

أَنَـا فـي أمَّـةٍ تـدارَكـهـا الـلّـ ـهُ غَـرِيـبٌ كَـصَـالِـحٍ فـي ثَـمُـودِ
مـا مُـقَـامِـي بـأرْضِ نَـخْـلَةَ إلاّ كَـمُقَـامِ الـمَسِيـحِ بَـيْـنَ الـيَـهُـودِ

ولد في كِندة من الكوفة سنة ٣٠٣ هـ/٩١٥ م ، في بيت فقر وبؤس ، من أب كان يعمل سقّاء في الكوفة ، ويعرف بعبدان السقاء . والمـرجّح أنّ أمّـه ماتت وهـو صغير ، فكفلته جدّته .

نشأ هذا الفتى محبّاً للعلم ، راغباً فيه ، فحمله أبوه إلى الشام ، فتخرّج على يد الأخفش وابن السرّاج وابن دريد ، والزجّاج .

وكـان عصر المتنبّي مسـرحاً للفتن والـدعوات ، فـالقرامـطة والإسمـاعيليّـون يبشّرون بظهور المهدي ، وبالدعوة لأبناء علي ، والخارجون على السلطة يشجّعـون العصيان ، ويدعون إلى شق عصا الـطاعة . وأبـو الطيّب النبيـه ، الفتى الطمـوح ، وصاحب القلب الجريء ، واللسان البارع ، استغلّ هذا الظـرف ، وقام بدعوة علويّة لاقت ارتياحاً عند بعض القبائل ، ولكنّ أمير حمص (لؤلؤاً) أوقع به ، وأسره ، ولم يطلق سراحه إلاّ بعد أن تأكّد من توبته .

طـاف المتنبّي الآفاق ، يمـدح الملوك والأمراء ، وخـاصة بعـد أن ذاق مرارة الحرمان والحاجة بعد وفاة والده ، فاتّصل ببدر بن عمار ، وسيف الدولـة ، وكافـور الإخشيدي . وكان أجمـل شعره مـا قالـه في سيف الدولـة ، حيث قضى عنده تسـع سنوات ، كان خلالها شاعره المفضّل ، ثم غادره متوجّهاً إلى كافور الإخشيدي وفي نفسه توق إلى الولاية . ولما فاتح كافوراً بالأمر وعده خيراً ، ولكن سرعـان ما نكث بوعده ؛ ولمّا همّ الشاعر بالرحيل سجنه كافور خوفاً من لسانه ؛ ولكنّه استطاع الهرب

في ليلة عيد الأضحى ، تاركاً وراءه قصيدة هجاء مؤلمة .

كان الإخفاق ملازماً للشاعر طوال حياته ، لأنّه كان شديد التذمّر ، كثير الحسّاد ، سيّىء الحظّ ، فحطّ عليه القدر ، فترصّده قرب بغداد ، فيما كان عائداً إلى الكوفة ليفاجأ بفاتك الأسدي الذي كان الشاعر قد هجا له أخته ، فقتله مع غلامه وابنه ، وذلك سنة ٣٥٤ هـ/٩٦٥ م .

كان هجاء المتنبي انتقاماً لكرامته ضدّ أناس كذبة ، يعِدون ولا يفون ، وضدّ الزمان الذي لا يعرف العدل والإنصاف « يخفض العالي ويعلي من سفل » ، فجاء هجاؤه لاذعاً جارحاً ، نازعاً عن مهجوّه كلّ مكرمة وفضيلة ، مفعماً بالغنائيّة والوجدانيّة ، صادراً من أعماق قلب متألّم حزين .

قال يهجو كافور الإخشيدي :

عِيدٌ بأيَّةِ حَالٍ عُدْتَ يا عِيدُ ... بِمَا مَضَى أمْ لأمْرٍ فِيكَ تَجْدِيدُ[1]

أمَّا الأحِبَّةُ فالبَيْدَاءُ دُونَهُمُ ... فَلَيْتَ دُونَكَ بيداً دُونَها بِيدُ[2]

لَوْلاَ العُلَى لم تَجُبْ بي ما أجُوبُ بها ... وَجْنَاءُ حَرْفٌ وَلاَ جَرْدَاءُ قيدودُ[3]

لم يَتْرُكِ الدَّهْرُ مِنْ قَلْبِي وَلاَ كَبِدِي ... شَيْئاً تُتَيِّمُهُ عَيْنٌ وَلاَ جِيدُ[4]

يا سَاقِيَيَّ أخَمْرٌ في كُؤُوسِكُمَا ... أمْ في كؤوسِكُما هَمٌّ وَتَسْهِيدُ[5]

أصَخْرَةٌ أنا؟ ما لي لا تُحَرِّكُنِي ... هٰذِي المُدَامُ ولا هٰذي الأغاريدُ[6]

إذا أرَدْتُ كُمَيْتَ اللَّوْنِ صَافِيَةً ... وَجَدْتُها وَحَبِيبُ القَلْبِ مَفْقُودُ[7]

---

(١) بما مضى : أي بما حدث في الماضي .

(٢) البيداء : الفلاة .

(٣) جاب : قطع . الوجناء : الناقة العظيمة . الحرف : الضامرة . الجرداء : القليلة الشعر . القيدود : الطويلة العنق .

(٤) تيّمه : ذلّله الحبّ . الجيد : العنق .

(٥) التسهيد : السهر . وهنا كناية عن أنّ قلبه مليء بالهموم لبعده عن أحبّته .

(٦) المدام : الخمر . الأغاريد : صوت الغناء .

(٧) الكميت : من أسماء الخمرة ، أو اللون الأحمر الضارب إلى السواد .

مـاذا لَـقِيتُ مِنَ الـدُّنْيَـا وَأعْجَبُـهُ ... أنّي بمـا أنـا شـاكٍ مِنْـهُ مَحْسُـودُ

أمْسَيْتُ أرْوَحَ مُثْـرٍ خَـازِنـاً وَيَـداً ... أنَـا الغَنِيُّ وَأَمْـوَالي الـمَـوَاعِيـدُ[1]

إنّي نَـزَلْتُ بِكَـذَّابِيـنَ ضَيْفُهُـمُ ... عَنِ القِرَى وَعَنِ التَّرْحَالِ مَحْدُودُ[2]

جُـودُ الـرِّجَـالِ مِنَ الأيْـدِي وَجُـودُهُمُ ... مِنَ اللِّسَـانِ فَـلاَ كَـانُـوا وَلاَ الجُـودُ[3]

مـا يَقْبِضُ المَـوْتُ نَفْسـاً مِنْ نفوسِهِمُ ... إلاّ وفـي يَـدِهِ مِـنْ نَـتْـنِـهَـا عُـودُ

مِنْ كُـلِّ رِخْـوٍ وِكَـاءِ البَـطْنِ مُـنْفَتِقٍ ... لا في الـرِّجَالِ ولاَ النِّسْـوَانِ مَعْـدود[4]

أكُلَّمَـا آغْتَـالَ عَبْـدُ السُّـوءِ سَيِّـدَهُ ... أو خَـانَـهُ فَلَهُ في مِـصْـرَ تَمْـهِيـدُ[5]

صَـارَ الـخِصِيُّ إمـام الآبقِينَ بِـهَـا ... فـالحُـرُّ مُسْتَعْبَـدٌ والعَبْـدُ مَعْبُـودُ[6]

نـامَتْ نَـوَاطِيـرُ مِصْـرٍ عَنْ ثَعَـالِبِهَـا ... فَقَدْ بَشِمْنَ ومـا تَفْنَى الـعَنَـاقِيـدُ[7]

الـعَبْـدُ لَـيْسَ لِحُـرٍّ صَـالِـحٍ بِـأَخٍ ... لَـوْ أنَّـهُ في ثِيَـابِ الحُـرِّ مَـوْلُـودُ[8]

لا تَشْتَـرِ الـعَبْـدَ إلاّ وَالـعَصَـا مَـعَـهُ ... إنَّ الـعَبِيـدَ لأَنْجَـاسٌ مَـنَـاكِيـدُ[9]

مـا كُـنْتُ أحْسَبُـنِي أَحْيَـا إلى زَمَـنٍ ... يُسِيءُ بي فِيـهِ عَبْـدٌ وَهْـوَ مَحْمُودُ[10]

وَلاَ تَـوَهَّمْتُ أنّ الـنَّـاسَ قَـدْ فُقِـدُوا ... وأنَّ مِثْـلَ أبي البَيْضَـاءِ مَـوْجُودُ[11]

---

(١) أروح : من الراحة ، المثري : الغنيّ .

(٢) القِرى : إطعام الضيف . محدود : ممنوع .

(٣) أي : إنّ الناس يجودون بالعطاء ، وهم يجودون بالكلام والمواعيد الكاذبة ، ثم دعا عليهم .

(٤) الوكاء : ما تشدّ به القربة . المنفتق : الموسّع لكثرة لحمه . أي : إنّه لا ذكر ولا أنثى .

(٥) اغتال : قتل غيلة .

(٦) الخصيّ : العبد المعطّل من رجولته . الآبقون : الهاربون من أسيادهم . المستعبد : المذلّل . المعبود : المطاع .

(٧) بشمن : شبعن وأتخمن . نواطير مصر : أي ساداتها . وثعالبها : أرذالها . العناقيد : الخيرات .

(٨) أي : إنّ العبد لا يؤاخي الحرّ ولو ادّعى المكرمات .

(٩) المناكيد : ج . المنكود ، وهو قليل الخير .

(١٠) أي : ما كنت أحسب نفسي أن أعيش في زمن أتحمّل فيه إساءة عبد ، وأنا مضطرّ إلى حمده ومدحه .

(١١) أبو البيضاء : أي كافور ، كنّاه بذلك للهزء به .

وأنَّ ذا الأسْـوَدَ الـمَثْـقُـوبَ مِـشْـفَـرُهُ تُـطِيعُـهُ ذِي العَضـارِيـطُ الـرَّعَـادِيـدُ[1]
جَـوْعَـانُ يـأكُـلُ مِنْ زَادِي وَيُمْسِكُنِي حَتَّى يُقَـالَ: عَـظِيمُ القَـدْرِ مَقْصُـودُ[2]
وَيْـلُمِّـهـا خُـطَّةً وَيْـلُمِّ قَـابِـلِهَـا لِـمِثْـلِهـا خُلِقَ الـمَهْـرِيَّـةُ الـقُـودُ[3]
وعِنْـدَهـا لَـذَّ طَعْمَ المَـوْتِ شَـارِبُـهُ إنَّ المَنِيَّـةَ عِنْـدَ الـذُّلِّ قِـنْـدِيـدُ[4]
مَنْ عَلَّمَ الأسْـوَدَ المَخْصِيَّ مَكْـرُمَـةً أقَـوْمُـهُ البِيضُ أمْ آبـاؤهُ الـصِّيـدُ[5]
أمْ أُذنُـهُ فـي يَـدِ النَّخَّـاسِ دامِيَـةً أمْ قَـدْرُه وَهْـوَ بـالفَلْسَيْن مَـرْدُودُ[6]
أوْلَـى اللِّئَـامِ كُـوَيْفِيـرٌ بِـمَـعْـذِرَةٍ: فـي كُـلِّ لُؤْمٍ وَبَعْضُ العُـذْرِ تَفْنِيـدُ[7]
وَذَاكَ أنّ الـفُحُـولَ الـبِـيضَ عَـاجِـزَةٌ عَنِ الجَمِيـلِ فَكَيْفَ الخِصْيَةُ السُّودُ[8]

* * *

وقال يهجو كافوراً ، وقد نظر إلى رجليه وقبّحهما :

وتُعْجِبُنِي رِجْـلاَكَ في الـنَّعْـلِ إنَّنِي رَأَيْـتُـكَ ذَا نَعْـلٍ إذا كُـنْتَ حَـافِيَـا
وأنَّـكَ لا تَـدْرِي ألَـوْنُـكَ أسْـوَدٌ مِنَ الجَهْلِ أمْ قَدْ صَارَ أبْيَضَ صَافِيَا[9]

---

(١) المشفر : شفة البعير . العضاريط : ج. العضروط ، وهو الخادم بطعام بطنه . الرعاديد : ج الرعديد ، وهو الجبان .

(٢) أي : إنّه بخيل شديد اللؤم يمسكني عنده ليقول الناس : إنّه رجل كريم .

(٣) ويلمّها : أي : ويل لأمّها . الخطة : الطريقة . المهريّة : النوق المنسوبة إلى مهرة بن حيدان . القود : ج. الأقود ، وهو الطويل العنق . والمعنى : أنّ النوق المهريّة خُلقت لمثل هذه الحالة .

(٤) القنديد : عسل قصب السكّر .

(٥) البيض : الكرام . الصيد : ج. الأصيد ، وهو الملك الكريم .

(٦) النخّاس : تاجر العبيد . القدر : القيمة .

(٧) كويفير : تصغير كافور ، للتحقير . التفنيد : الملامة .

(٨) أي : إنّ الأحرار الكرام يعجزون عن فعل الخير ، فكيف بالخصية السود الذين لا قدر لهم ؟ .

(٩) أي : إنّه لجهله لا يعرف لونه أأسود هو أم أبيض .

فـإنْ كُنْتَ لا خَيْـراً أفَـدْتَ فـإنَّنِي أفَـدْتُ بِلَحْظِي مِشْفَـرَيْكَ المَـلاهِيَـا[1]
ومِـثْـلُكَ يُـؤْتَـى مِـنْ بِـلَادٍ بَـعِـيـدَةٍ لِيُضْحِـكَ رَبَّـاتِ الحِـدَادِ البَـوَاكِيَـا[2]

وقـال أيـضـاً :

وَمَـا طَـرَبِي لَمّـا رَأيْتُـكَ بِـدْعَـةً لَقَـدْ كُنْتُ أرْجُـو أنْ أرَاكَ فَـأَطْـرَبُ

* * *

وقال يهجو كافـوراً :

أنْـوَكُ مِـنْ عَـبْـدٍ وَمِـنْ عِـرْسِـهِ مَـنْ حَكَّـمَ الـعَـبْـدَ عـلى نَـفْـسِـهِ[3]
وإنَّـمـا يُـظْـهِـرُ تَـحْـكِـيـمَـهُ تَـحَـكُّـمَ الإفْـسَـادِ فـي جِسِّـهِ[4]
مـا مَـنْ يَـرَى أنَّـكَ فـي وَعْـدِهِ كَـمَـنْ يَـرَى أنَّـكَ فـي حَـبْـسِـهِ
الـعَـبْـدُ لا تَـفْـضُـلُ أخْـلَاقُـهُ عَـنْ فَـرْجِـهِ الـمُـنْـتِـنِ أوْ ضِـرْسِـهِ
لا يُـنْـجِـزُ الـمِـيـعَـادَ فـي يَـوْمِـهِ وَلَا يَـعِـي مـا قـالَ فـي أمْـسِـهِ
وإنَّـمـا تَـحْـتَـالُ فـي جَـذْبِـهِ كـأنَّـكَ الـمَـلَّاحُ فـي قَـلْـسِـهِ[5]
فَـلا تُـرَجِّ الـخَـيْـرَ عِـنْـدَ امْـرِىءٍ مَـرَّتْ يَـدُ الـنَّـخَّـاسِ فـي رَأْسِـهِ[6]
وَإنْ عَـرَاكَ الـشَّـكُّ فـي نَـفْـسِـهِ بِـحَـالِـهِ فَـانْـظُرْ إلى جِـنْـسِـهِ[7]

---

(١) أفدتَ : أعطيتَ . أفدتُ : استفدتُ . المشفر : شفة الجمل . الملاهي : من اللهو . أي : إن لم تفدني في مقامي خيراً فإنّني استفدت برؤيتي لقبح منظرك ومشفريك .
(٢) ربّات الحدّاد : اللّابسات السواد .
(٣) أنوك : أحمق . عرسه : امرأته . فإذا كانت الهاء عائدة إلى العبد فالعرس تكون بمعنى الأمة . والمعنى : من حكّم العبد على نفسه كان أحمق منه ومن زوجه .
(٤) أي من حكّمه فهو قليل العقل ، فاسد الحسّ .
(٥) الملّاح : قائد السفينة . القلس : الحبل الذي تجذب به السفينة . أي : إنّه لا ينهض إلى فعل الخير إلّا عن طريق الاحتيال والجذب كما تجذب السفينة بالحبل ، أي : ليس فعل الخير من طبعه .
(٦) النخاس : تاجر العبيد والدواب .
(٧) عراك : غشيك .

فَقَلَّ مَا يَلْؤُمُ فِي ثَوْبِهِ ... إلاّ الذي يَلْؤُمُ فِي غِرْسِهِ[1]
مَنْ وَجَدَ المَذْهَبَ عَنْ قَدْرِهِ ... لَمْ يَجِدِ المَذْهَبَ عَنْ قِنْسِهِ[2]

* * *

وقال في ذمّ أهل الزمان :

أذُمُّ إلى هذا الزَّمَانِ أُهَيْلَهُ ... فأعْلَمُهُمْ فَدْمٌ وَأَحْزَمُهُمْ وَغْدُ[3]
وأكْرَمُهُمْ كَلْبٌ وأبْصَرُهُمْ عَمٍ ... وَأَسْهَدُهُمْ فَهْدٌ وأشْجَعُهُمْ قِرْدُ
وَمِنْ نَكَدِ الدُّنْيَا على الحُرِّ أنْ يَرَى ... عَدُوّاً لَهُ ما مِنْ صَدَاقَتِهِ بُدُّ

وقال أيضاً :

وَدَهْرٌ نَاسُهُ نَاسٌ صِغَارٌ ... وإنْ كانَتْ لَهُمْ جُثَثٌ ضِخَامُ
أرانِبُ غَيْرَ أنَّهُمُ مُلُوكٌ ... مُفَتَّحَةٌ عُيُونُهُمُ نِيَامُ

* * *

وقال يهجو السامريّ :

أسَامِرِيُّ ضُحْكَةَ كُلِّ رَاءِ ... فَطِنْتُ وَأَنْتَ أغْبَى الأغبياءِ
صَغُرْتَ عَنِ المَدِيحِ فَقُلْتَ أُهْجَىٰ ... كَأَنَّكَ ما صَغُرْتَ عَنِ الهجاءِ
وَمَا فَكَّرْتُ قَبْلَكَ فِي مُحَالٍ ... وَلَا جَرَّبْتُ سَيْفِي فِي هَبَاءِ

* * *

وقال يهجو إسحاق بن كَيْغَلَغ ، وقد بلغه أنّ غلمانه قَتَلُوه :

قَالُوا لَنَا : مَاتَ إسْحَاقُ فَقُلْتُ لَهُمْ ... هذا الدَّوَاءُ الذي يَشْفِي مِنَ الحُمُقِ[4]

---

(١) الغِرس : الجلدة الرقيقة التي تخرج على رأس الطفل عند الولاة . أي : إنّه مطبوع على اللؤم .
(٢) القنس : الأصل . أي كل شيء يعود إلى أصله ، فمن أوتي جاهاً أو مالاً وهو لا يستحقه ، فإنّه ينزع إلى أصله لا محالة .
(٣) الفدم : الغبيّ . الوغد : اللئيم .
(٤) أي : إنّ الموت هو الدواء الوحيد للحمقى .

إنْ مَـاتَ مَـاتَ بـلا فَـقْـدٍ وَلاَ أسَـفٍ ... أَوْ عَـاشَ عَـاشَ بـلا خَـلْقٍ وَلاَ خُـلُقِ

مِـنْـهُ تَـعَـلَّمَ عَـبْـدٌ شَـقَّ هَـامَـتَـهُ ... خَـوْنَ الصَّدِيقِ وَدَسَّ الغَـدْرِ في المَلَقِ[1]

وَحَـلْفَ أَلْـفِ يَـمِـيـنٍ غَـيْـرِ صَـادِقَـةٍ ... مَـطْرُودَةٍ كَكُعُـوبِ الـرُّمْـحِ في نَسَقِ[2]

مـا زِلْـتُ أعْـرِفُـهُ قِـرْداً بـلا ذَنَـبٍ ... خِلواً مِنَ البَـأْسِ مَمْلُوءاً مِنَ الـنَّـزَقِ[3]

كَـرِيـشَـةٍ بِمَـهَـبِّ الـرِّيـحِ سَـاقِـطَةٍ ... لا تَـسْـتَـقِـرُّ عـلى حَـالٍ مِـنَ الـقَـلَقِ

تَـسْـتَـغْـرِقُ الكَـفُّ فَـوْدَيْـهِ وَمَنْـكِـبَـهُ ... فَتَكْتَسِي مِنْـهُ رِيـحُ الجَـوْرَبِ العَـرِقِ[4]

فَـسَـائِلُوا قَـاتِـلِيـهِ كَيْـفَ مَـاتَ لَـهُـمْ ... مَـوْتاً مِنَ الضَّـرْبِ أوْ مَـوْتـاً مِنَ الفَـرَقِ[5]

وأيْنَ مَـوْقِـعُ حَـدِّ السَّيْفِ مِـنْ شَبَـحٍ ... بِـغَـيْـرِ رَأْسٍ وَلاَ جِسْـمٍ وَلاَ عُـنُـقِ[6]

لَـوْلاَ الـلِّـثَـامُ وَشَـيْءٌ مِـنْ مُـشَـابَـهَـةٍ ... لَـكَـانَ ألأَمَ طِـفْـلٍ لُـفَّ فـي خَـرَقِ

كَـلاَمُ أكْـثَـرِ مَـنْ تَـلْـقَـى وَمَـنْـظَرُهُ ... مِـمَّـا يَشُـقُّ عـلى الآذَانِ والـحَـدَقِ[7]

* * *

وقال يهجو قوماً كانوا قد تَوَعَّدُوه :

أَمَـاتَكُمُ مِـنْ قَبْـلِ مَـوْتِـكُمُ الـجَهْـلُ ... وَجَـرَّكُـمُ مِنْ خِـفَّـةٍ بِكُـمُ الـنَّـمْـلُ[8]

---

(١) الخون : الخيانة . الملق : إظهار المحبّة . أي : إنّ العبد الذي قتله قد تعلّم منه الغدر والخيانة والتملّق .

(٢) كعوب الرمح : أنابيبه .

(٣) النزق : الطيش والحماقة .

(٤) الفودان : جانبا الرأس . الجورب : لباس من قماش للرِّجل . والمعنى : أنّه صغير القدر ذليل ، تستغرق أكفّ الصافعين فوديه ومنكبه ، وإنّه كريه الرائحة التي تنبعث من جوربيه العرِقين .

(٥) الفرق : الخوف .

(٦) أي : إنّه لصغره ودمامته يبدو وكأنه بغير رأس ، أو جسم ، أو عنق .

(٧) أي : إنّه يقول كلاماً فاحشاً منكراً فيشقّ على الناس سمعه ، كما يشقّ على أعينهم النظر إليه لقبح منظره .

(٨) يقول : إنكم موتى بجهلكم قبل فراقكم الدّنيا ، وإنّكم لخفة عقولكم يجرّكم النمل .

وُلَيْدَ أبيِّ الطيِّبِ الكَلْبِ ما لَكُمْ ... فَطِنْتُمْ إلى الدَّعْوَى وما لَكُمْ عَقْلُ[1]
وَلَوْ ضَرَبَتْكُمْ مَنْجَنِيقِي وَأَصْلُكُمْ ... قَوِيٌّ لَهَدَّتْكُمْ فَكَيْفَ ولا أَصْلُ[2]
وَلَوْ كُنْتُمُ مِمَّنْ يُدَبِّرُ أمْرَهُ ... لَمَا صِرْتُم نَسْلَ الذي ما لَهُ نَسْلُ

* * *

وقال يهجو وردان :

إنْ تَكُ طَيِّىءٌ كانَتْ لِئَاماً ... فألْأَمُهَا رَبِيعَةُ أو بَنُوهُ[3]
وإنْ تَكُ طَيِّىءٌ كانَتْ كِرَاماً ... فَوَرْدانٌ لِغَيْرِهِم أَبُوهُ[4]
مَرَرْنا مِنْهُ في حِسْمَى بِعَبْدٍ ... يَمُجُّ اللُّؤْمَ مِنْخَرُهُ وَفُوهُ[5]
أشَذَّ بِعِرْسِهِ عَنِّي عَبِيدي ... فَأَتْلَفَهُمْ وَمَالي أتْلَفُوهُ[6]
فإنْ شَقِيَتْ بِأَيْدِيهِمْ جِيَادِي ... لَقَدْ شقِيَتْ بِمُنْصُلِيَ الوُجُوهُ[7]

وقال أيضاً :

لَحَا اللَّهُ وَرْداناً وأُمّاً أتَتْ بِهِ ... لَهُ كَسْبُ خِنْزِيرٍ وَخُرْطومُ ثَعْلَبِ[8]
فَمَا كانَ فِيهِ الغَدْرُ إلّا دَلَالَةً ... على أنَّهُ فيه مِنَ الأمِّ والأبِ[9]

---

(١) الدعوى : الادّعاء في النسب . يخاطب وليد أبيّ الطيّب الكلب ، وهو صفة له ، ويقول : كيف فطنتم إلى الادعاء في نسب لستم منه ، وأنتم ممن لا عقل لهم تفطنون به .

(٢) منجنيقي : قصائد هجائي .

(٣) طيّىء : قبيلة عربيّة . ربيعة : هو ابن نزار بن معدّ بن عدنان . المعنى : يقول: إن كانت طيّىء لئاماً فألأمهم ربيعة أو بنوه .

(٤) أي : وإن كانت طيىء كراماً فوردان لم يكن منهم .

(٥) حسمى : أرض بالبادية . يمجّ : يلفظ .

(٦) أشذّ : هرّب . العرس : الزوجة .

(٧) الجياد : الخيل . المنصل : السيف . وهنا إشارة إلى العبد الذي أخذ فرسه تحت جنح الليل ، فانتبه أبو الطيّب ، وضربه بالسيف ، وأمر غلمانه فقتلوه .

(٨) لحا : لعن . أي : جعل من وردان كبنات وردان ، أي دوابّ حقيرة ، تأكل العذرة ، وشبهه بالخنزير الذي يأكل العذرة ، وشبّه أنفه بخرطوم الثعلب .

(٩) يقول : إن غدره بي دلالة على أنّه قد ورث الغدْر من أمه وأبيه .

إذا كَسَبَ الإنْسانُ من هَنِ عِرْسِهِ فَيَا لُؤْمَ إنْسانٍ وَيَا لُؤْمَ مَكْسَبِ[1]
أهذا اللُّذَيّا بِنْتُ وَرْدَانَ بِنْتُهُ هُمَا الطَّالِبَانِ الرِّزْق مِنْ شَرِّ مَطْلَبِ[2]
لَقَدْ كُنْتُ أنْفِي الغَدْرَ عَنْ تُوسِ طَيِّىءٍ فلا تَعْذُلانِي رُبَّ صِدْقٍ مُكَذَّبِ[3]

* * *

وقال يهجو الذهبيّ :

لَمّا نُسِبْتَ فَكُنْتَ آبْناً لِغَيْرِ أبٍ ثُمَّ امْتُحِنْتَ فَلَمْ تَرْجِعْ إلى أدَبِ[4]
سُمِّيتَ بالذَّهَبِيِّ اليَوْمَ تَسْمِيَةً مُشْتَقَّةً مِنْ ذَهَابِ العَقْلِ لا الذَّهَبِ[5]
مُلَقَّبٌ بِكَ ما لُقِّبْتَ وَيْكَ بِهِ يا أيُّها اللَّقَبُ المُلْقَى على اللَّقَبِ[6]

* * *

(١) الهن : الفرج .
(٢) اللّذيّا : تصغير الذي . بنات وردان : دابّة صغيرة كالخنفساء حمراء اللون كريهة الرائحة ، تعيش في الأماكن القذرة .
(٣) التوس : الأصل .
(٤ ، ٥) أي : لما لم يكن لك أب أو أدب تعرف بهما نُسبت إلى الذهبيّ ، وهي تسمية مشتقّة من ذهاب العقل ، وليست منسوبة إلى الذهب .
(٦) ويك : مخفّفة من ويلك .

أبـو نـواس

هو الحسن بن هانىء بن الصبَّاح ، وكنيته أبـو نواس[1] ، ولد في الأهـواز ، إحدى قرى خوزستان في فارس سنة ١٤٥ هـ/٧٦٢ م ، من أب عربيّ وأمّ فارسيّة . انتقل مع أسرته إلى البصرة ، حيث عهد به والده إلى من يقرئه القرآن ، ولكن ما لبث أن مات أبوه ، فأسلمته أمّه إلى عطار ، وانصرفت إلى حياة رخيصة ، قبل أن تتزوّج للمرّة الثانية .

كانت البصرة في ذلك العهد مـركزاً ينـافس بغداد في العلم والثقـافة ، وكـان الصبي يختلف إلى مجـالس العلم والأدب ، فحصّـل ثقــافـة واسعــة ، وقـد روى ابن خلّكان في تاريخه أنّ إسماعيل بن نَوْبخت قال : « ما رأيت قطّ أوسـع علماً من أبي نواس ، ولا أحفظ منه ، مع قلّة كتبه » .

ولم تكن البصرة مركز علم فحسب ، بل كانت منتجعاً للّهو والمجون ، وكان أبو نواس ، وهو تلميذ خلف الأَحْمر ، وصديق الشـاعر الخليـع والبة بن الحبـاب ، ميّالاً إليها ، فأخذ منها بنصيب وافر ، وهو لا يزال فتيّاً .

خرج إلى البادية ، وأقام فيها سنة ليقوّم لسانه على العربيّة الصحيحة ، ثم قصد بغداد ، واتّصل بالبرامكة وآل الربيع ، ومدحهم ومدح هارون الـرشيد ، فنـال منهم جميعاً الجوائز السنيّة ، ولكن ما لبث أن سجنه الخليفة ، لهجائه قريشاً ، مدّة أربعة أشهر تقريباً ، ثم أطلقه ، فتوجّه إلى مصر مادحاً واليها الخصيب ، فأغدق عليه ، غير أنّ عطاياه لم تفِ بغرض الشاعر ورغائبه في تتبّع اللذائذ ، فعاد إلى بغداد .

ولمّا وصل الأمين إلى الخلافة ، انقطع إليه أبو نواس ، وأصبح شاعره الخاصّ ونديمه المقرّب لما كان بينهما من ألفة ومعرفة أيام الدراسة .

---

(١) قيل : إنّه كنّي بذلك لذؤابتين كانتا تنوسـان (تتحرّكـان على عاتقيـه) ، وقيل : كني بـذلك تشبيهاً بذي نواس ، أحد ملوك اليمن .

طاب عيش النواسي في هذه المرحلة ، إذ تهيّأ له أن يعبّ من السَّعة واللذّة ما يشتهي ، ولكن هذه النعمة لم تدم أكثر من سنتين ، فقد سجنه الأمين عندما احتدم الخلاف بينه وبين أخيه المأمون ، وقد بلغه أن الحسن بن سهل قال : « كيف لا يحلّ قتال الأمين وشاعره ونديمه يقول :

ألا فاسْقِنِي خمراً، وَقُلْ لِي هِيَ الخَمْرُ وَلَا تَسْقِنِي سِرّاً إذا أمْكَنَ الجَهْرُ

وفي أواخر أيّامه ، انصرف الشاعر عن اللهو ، وتاب إلى ربّه ، وجنح إلى الزهد ، إلى أن مات سنة ١٩٩ هـ/٨١٣ م .

مميزات هجاء النواسي :

لم يكن النواسي مطبوعاً على الهجاء ، وإنّما كان يعمد إليه أحياناً للدفاع عن نزعته السياسيّة ، أو عقيدته الأدبيّة ، وهو كثيراً ما يوجّه ذلك الهجاء إلى العرب عموماً ، وإلى طريقتهم في قرض الشعر ، داعياً إيّاهم إلى التوغّل في الحياة الجديدة ، كقوله :

قُلْ لِمَنْ يَبْكِي على رَسْمٍ دَرَسْ واقِفاً ما ضرّ لَوْ كَانَ جَلَسْ

أمّا هجاؤه الفردي ، فغالباً ما يكون إمّا انتقاماً لنفسه من الذين لا يقدّرون منزلته الشعريّة ، أو انتقاماً من الممدوحين الذين لا يثيبون شعره بما يستحقّ ، وإمّا مداعبة لندمائه ، أو معارضة لمنافسيه .

قال أبو نواس يهجو عشيقتَه :

أكثري أو فأقلّي قد مللناك فمِلّي
ما إلى حبّك عبورٌ ما دعا اللّهَ مصلّي
أيها السائل عنها اسمع اللفظ المحلي
شخصها شخص قبيحٌ ولها وجه مولي
نصف النكهة منها جيفةٌ في يوم طلّ
رد فيها طستٌ ولكنْ بطنها ركوة خلّ
اشهدوا أني بريءٌ من هواها متخلّي

وقال أبو نواس :

أبـو نـوح أتـيـت إلـيـه يـومـاً ... فـغـدّانـي بـرائـحـة الـطعـامِ
وقـدّم بـيـنـنـا لـحـمـاً سـمـيـنـاً ... ألـكـنـاه عـلى طـبـق الـكـلامِ
فـكـان كـمـن سـقـى الـظـمـآن آلاً ... وكـنـت كـمـن تـغـدى فـي الـمـنـامِ

وقال أبو نواس في فضل الرقاشي :

رأيت قـدور النـاس سـوداً من الصلي ... وقَـدَرُ الـرقـاشين زهـراءُ كـالبـدرِ
يضيق بحيـزوم البعـوضـة صـدرُهـا ... ويخـرج مـا فيهـا على طـرف الـظّفْـرِ

* * *

قال يهجو تميماً :

إذا مـا تَـمِـيـمِـيٌّ أتَـاكَ مُـفَـاخِـراً ... فَقُـلْ عَـدِّ عَنْ ذا كَيْفَ أكْلُكَ للضَّبِّ[1]
تُـفَـاخِـرُ أبْـنَـاءَ الـمُـلُوكِ سَـفَـاهَـةً ... وَبَـوْلُكَ يَجْـرِي فَـوْقَ سَـاقِـكَ والكَعْبِ
إذا ٱبْتَـدَرَ النَّـاسُ الفِعَـالَ فَخُـذْ عَصـاً ... وَدَعْدِعْ بِمِعْزى يَـا بْنَ طالِقَـةِ الذَّرْبِ[2]

* * *

وقال يهجو إسماعيل بن نيبخت :

لَقَـدْ نَسَلَتْ رزّينُ نَسْـلاً مَنِ آسْـتِهـا ... عَلَيْهِـنَّ سِيمَـا في الـعُيُـونُ تَـلُوحُ[3]
فَـعَشْـوَاءُ مِـضْلِيـلٌ وَأعْـشَى مُـضَـلَّلٌ ... وَأَعْـوَرُ دَجّـالٌ عَـلَيْـهُ قُـبُـوحُ[4]
سَيَبْقَى بَقَـاءَ الـدَّهْـرِ مـا قُلْتُ فِيكُمُ ... وأمّـا الـذي قـد قُـلْتُـمُـوهُ فَـرِيـحُ

* * *

---

(١) عَدّ عن ذا : كفَّ . الضبّ : حيوان صغير ، كثير عقد الذنب خشنه .
(٢) دعدع : أزجر . طالقة الذرب : فساد المعدة .
(٣) رزّين : أمّ إسماعيل بن نيبخت . سيما : سيماء ، أي علامة . تلوح : تظهر .
(٤) العشواء : الناقة التي لا تبصر ليلاً . مضليل : كثير الضلالة . قبوح : قبح .

وقال يهجو أخا إسماعيل لمّا ولي الزاب :

سِيرُوا إلى أبْعَدِ مُنْتَابِ ... قَدْ ظَهَرَ الدَّجَّالُ بالزَّابِ[1]

هذا آبْنُ نَيْبَخْتٍ لَهُ إمْرَةٌ ... صَاحِبُ كُتَّابٍ وَحُجَّابِ

وقال يهجو العبّاس بن الفضل :

لَعَمْرُكَ ما العَبَّاسُ مِنْ وَلَدِ الفَضْلِ ... فَيُرْجَى لِفَضْلٍ أو يُعِينُ عَلَى بَذْلِ

فَتًى كُلَّما نَادَيْتُهُ لِمُلِمَّةٍ ... دَعَوْتُ مِثالاً لا يُمِرُّ وَلا يُحْلِي[2]

وَكَيْفَ يُرَجَّى الفَضْلُ مِمَّنْ خِلاَفُهُ ... تُرَاثٌ لِفَضْلٍ والرَّبِيعُ أبُو الفَضْلِ

وقال أيضاً :

رَأَيتُ الفَضْلَ مُكْتَئِباً ... يُنَاغِي الخُبْزَ والسَّمَكا

فَقَطَّبَ حِينَ أبْصَرَني ... وَنَكَّسَ رَأْسَهُ وَبَكَى

فَلَمَّا أنْ حَلَفْتُ لَهُ ... بِأنِّي صَائِمٌ ضَحِكا

* * *

وقال يهجو العبّاس بن جعفر بن محمّد بن الأشعث الخزاعي :

قُلْ لِبَنِي الأشْعَثِ لَنْ تُصْلِحُوا ... بِاللَّوْمِ عِنْدِي أمْرَ عَبَّاسِ

حَتَّى تَرُدُّوهُ إلَى رَبِّهِ ... يَطْبَعُهُ خَلْقاً مِنَ الرَّاسِ

أَلُومُ عَبَّاساً عَلَى بُخْلِهِ ... كَأَنَّ عَبَّاساً مِنَ النَّاسِ

وإنَّما العَبَّاسُ في قَوْمِهِ ... كَالثُّومِ بَيْنَ الوَرْدِ والآسِ[3]

وقال أيضاً :

لَقَدْ غَرَّني مِنْ جَعْفَرٍ حُسْنُ بَابِهِ ... وَلَمْ أدْرِ أنَّ اللُّؤْمَ حَشْوُ إهَابِهِ[4]

---

(١) أبعد منتاب : أبعد مكان . الزاب : نهر بالموصل ومكان في العراق .

(٢) الملمّة : النائبة والخطب .

(٣) الآس : نبات ذو ثمر ، ورقه عطر ، ويسمّى أيضاً « الريحان » أو « الحنبلاس » .

(٤) الإهاب : الجلد .

فَلَسْتُ وَإِنْ أَخْطَأْتُ في مَدْحِ جَعْفَرٍ بِأَوَّلِ إِنْسَانٍ خَرَى في ثِيابِهِ

وقال أيضاً :

أَرَى جَعْفَراً يَزْدَادُ بُخْلاً وَدِقَّةً إذا زَادَهُ الرَّحْمٰنُ في سَعَةِ الرِّزْقِ
وَلَوْ جَاءَ غَيْرُ البُخْلِ مِنْ عِنْدِ جَعْفَرٍ لَمَا حَسِبَتْهُ النَّاسُ إلاَّ مِنَ الحُمْقِ

* * *

وقال يهجو الرقاشيّين :

أَمَاتَ اللَّهُ مِنْ جُوعٍ رِقَاشاً فَلَوْلاَ الجُوعُ ما ماتت رِقَاشُ
ولو أَشْمَمْتَ مَوْتَاهُمْ رَغِيفاً وَقَدْ سَكَنُوا القُبُورَ إذاً لَعَاشُوا

وقال فيهم أيضاً :

قِدْرُ الرِّقَاشِيِّ مَضْرُوبٌ بها المَثَلُ في كُلِّ شَيْءٍ خَلاَ النِّيرَانِ تُبتَذَلُ
تَشْكُو إلى قِدْرِ جاراتٍ إذا الْتَقَيَا اليَوْمَ لي سَنَةٌ مَا مَسَّنِي بَلَلُ

* * *

وقال يهجو بخيلاً :

إذا فَقَدَ الرَّغِيفَ بَكَى عَلَيْهِ بُكَا الخَنْسَاءِ إذْ فُجِعَتْ بِصَخْرِ[1]
وَدُونَ رَغِيفِهِ قَلْعُ الثَّنَايا وَحَرْبٌ مِثْلَ وَقْعَةِ يَوْمِ بَدْرِ[2]

وقال يهجو آخر :

خُبْزُ الخَصِيبِ مُعَلَّقٌ بالكَوْكَبِ يُحْمَى بِكُلِّ مُثَقَّفٍ وَمُشَطَّبِ[3]
جَعَلَ الطَّعَامَ على السَّغابِ مُحَرَّماً قُوتاً وَحَلَّلَهُ لِمَنْ لَمْ يَسْغَبِ[4]

---

(١) الخنساء : هي تماضر بنت عمرو بن الشريد، شاعرة جاهليّة ، أجود ما قالته في رثاء أخويها صخر ومعاوية .

(٢) الثنايا : ج. الثنيّة ، وهي إحدى الأسنان الأربعة التي في مقدّم الفم .

(٣) المثقّف : الرمح . المشطب : السيف .

(٤) السغاب : الجياع .

فـإذا هُـمْ رَأَوْا الـرَّغِـيـفَ تَـطَرَّبُـوا طَـرَبَ الصِّيـامِ إلى أذانِ المَـغْـرِبِ

* * *

وقال في هجاء سعيد بن مسلم أحد بخلاء عَصره :

رَغِيفُ سَعْـدٍ عِنْـدَهُ عِـدْلُ نَـفْسِـهِ يُـقَـلِّبُـهُ طـوراً وطـوراً يُـلاعِـبُـهْ
ويُـخْـرِجُـهُ مِـنْ كُـمِّـهِ فَـيَشُـمُّـهُ وَيُجْلِسُـهُ في حُجْـرِهِ وَيُـخَـاطِبُـهْ[1]
وإنْ جَـاءَهُ المِسْكِينُ يَـطْلُبُ فَضْلَهُ فَـقَـدْ ثَـكَـلَتْـهُ أُمُّـهُ وَأَقَـارِبُـهْ
يَكُـرُّ عَلَيْـهِ السَّـوْطَ مِن كُـلِّ جَـانِبٍ وتُكْسَـرُ رِجْـلاَهُ وَيُـنْتَـفُ شَـارِبُـهْ

وقال في الخصيب أيضاً :

نَـفَسُ الخَـصِيـبِ جَـمِيـعُـهُ كِـذْبُ وَحَـدِيـثُـهُ لِـجَـلِيـسِـهِ كَـرْبُ
تَـبْكِي الثِّـيَـابُ عَـلَيْـهِ مُـعْـوِلَـةً أنْ قَـدْ يَـجُـرُّ ذُيُـولَـهـا كَـلْبُ

* * *

وقال يهجو حمدان :

قُـولاَ لِـحَـمْـدَانَ وَمَـا شِـيـمَـتِـي أنْ أُهْـدِيَ النُّـصْـحَ لَـهُ مُـخْـلِصَـا
مـا أنْـتَ بـالـحُـرِّ فَـتُـلْحَـى وَلاَ بـالـعَـبْـدِ أسْـتَـعْـتِـبُـهُ بـالـعَـصَـا[2]
فَـرَحْـمَـةُ الـلَّهِ عـلى آدَم رَحْـمَـةَ مَـنْ عَـمَّ وَمَـنْ خَـصَّـصَـا
لَـوْ كَـانَ يَـدْرِي أنَّـهُ خـارِجٌ مِـثْـلُكَ فـي أبْـنَـائِـهِ لاخْـتَـصَـى

وقال يهجو الجرجاني :

بِـمَ أهْـجُـوكَ؟ لا أدْرِي لِـسَـانِي فِـيـكَ لا يَـجْـرِي
إذا فَـكَّـرْتُ فـي عِـرْضِـكَ أشْـفَـقْـتُ عَـلَى شِـعْـرِي

* * *

---

(١) الحجر : الحضن .
(٢) تُلحى ؛ تُلام .

وقال يهجو غالباً :

مَنْ كانَ لَوْ لَمْ أهْجُهُ غالباً ... قَامَ به شِعْرِي مَقَامَ الشَّرَفْ
يَقُولُ: قَدْ أسْرَفْتَ في شَتْمِنَا ... وإنّما صَالَ بذاك السَّرَفْ
غَالِبُ لا تَسْعَ لِنَيْلِ العُلَى ... بَلَغْتَ مَجْداً بِهِجَائِي فَقِفْ
وَكَانَ مَجْهُولاً وَلَكِنَّنِي ... نَوَّهْتُ بالمَجْهُولِ حَتَّى عُرِفْ
وَلَسْتُ أحْتَاجُ إلى حَمْدِهِ ... في ذا، ولكن في أخِينَا صَلَفْ[1]

* * *

وقال يهجو الهيثم الدعيّ :

مَرَرْتُ بِهَيْثَمَ بْنَ عَدِيٍّ يَوْماً ... وَقِدْماً كُنْتُ أَمْنَحُهُ الصَّفَاءَ
فأعْرَضَ هَيْثَمٌ لَمَّا رَآنِي ... كأنّي قَدْ هَجَوْتُ الأدْعِيَاءَ
وَقَدْ آلَيْتُ أنْ أهْجُو دَعِيّاً ... وَلَوْ بَلغَتْ مُرُوءَتُهُ السَّمَاءَ

* * *

(١) الصلف : الكبرياء .

بشّار بن برد

ولد بشّار في البصرة حوالي ٩٦ هـ/٧١٤ م من أبوين فارسيين كانا مُلكاً لامرأة عقيليّة . امتاز منذ حداثته بذكاء وقّاد ، فراح ينظم الشعر ، متهتّكاً شأن الأولاد الأشرار والخبثاء الذين لا رادع لديهم ولا رقيب ، بالرغم من اتّصاله المستمرّ بالشيوخ ، وكبار رجال البصرة ، ولا سيّما واصل بن عطاء شيخ المعتزلة ، واختلافه إلى حلقات العلم والأدب في البصرة التي كانت تعتبر في ذلك العهد إحدى حواضر العلم والأدب ، والمنافسة لمدينة بغداد .

حاول بشار الاتصال بالخلفاء الأمويّين فلم يفلح ، وحاول أن يتعرّض لجرير ، فلم يردَّ عليه ، ولم يلتفت إليه .

ونتيجة لتهتّكه وزندقته ابتنى بيتاً جعله دار لهو ومجون ، ممّا أثار حفيظة الشيوخ والفقهاء ، فطُرد من البصرة ، فتوجّه إلى حرّان ، قاصداً سليمان بن هشام ، إلّا أنّ سليمان لم يحفل به ، فتركه متوجّهاً إلى العراق ، وأقام عند يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري . ولمّا قتل يزيد ، وسقطت الدولة الأمويّة ، عاد بشار إلى البصرة ، ولكنّ مناوئيه كانوا لا يزالون أحياءً ، فألّبُوا الناس عليه ، فنفي ثانية ، متنقّلاً من مدينة إلى أخرى ، ولم يعد إلى البصرة إلّا بعد أن توفّي جميع معارضيه .

ولمّا تولّى المهدي الخلافة ، مدحه بشار ، ونال منه عطاءً وفيراً ؛ إلّا أنّ سيرته السَّيِّئة ، وتصرّفه الأرعن أفضيا به إلى هجاء وزراء المهدي ، والمقرّبين منه ، فحنق عليه الخليفة وأهمله ، وخاصة بعد أن وشى به أحد أعدائه بأنّ له أشعاراً غزليّة فاسقة . ولكنّ بشّاراً سرعان ما هجا المهدي ، فأمر بقتله ، فتوفي سنة ١٦٨ هـ/ ٧٨٤ م .

من بواعث هجائه أنّه كان دميم الخلقة ، كفيفاً ، سيّىء الخلق ، منقاداً للشهوات البغيضة ، فتميّز هجاؤه بالإباحيّة ، ينهش أعراض مهجوّه ، صاباً عليه من نفسه الثائرة النقمة والحقد والسخرية .

قال بشار يهجو حمّاد عجرد :

نِعْمَ الفَتَى لَوْ كَانَ يَعْبُدُ رَبَّهُ وَيُقِيمُ وَقْتَ صَلاَتِهِ حَمَّادُ
وَآبْيَضَّ مِنْ شُرْبِ المُدَامَةِ وَجْهُهُ وَبَيَاضُهُ يَوْمَ الحِسَابِ سَوَادُ

* * *

وقال يهجوه أيضاً :

أُشْدُدْ يَدَيْكَ لِحَمَّادٍ أبي عُمَرٍ في أَنَّهُ نَبَطِيٌّ مِنْ دَنَانِيرِ

* * *

كان حمّاد عجرد يهجو بشاراً ولا يلتفت إليه حتى قال فيه :

ويا أقبح من قردٍ إذا ما عميَ القِرْدُ

* * *

وقال يهجو يعقوب بن داود :

بني أمَيَّةَ هُبُّوا طَالَ نَوْمُكُمُ إنَّ الخَلِيفَةَ يَعْقُوبُ بْنُ داوُدِ
ضاعَتْ خِلاَفَتُكُمْ يا قَوْمُ فآلْتَمِسُوا خَلِيفَةَ اللَّهِ بين النايِ والعُودِ

* * *

وقال يهجو أمّ حمّاد مخاطباً جاراً له :

أبَا حَامِدٍ إنْ كُنْتَ تَزْني فَأَبْعِدِ وابْكِ جِراً وَلَّتْ بِهِ أمُّ عَجْرِدِ
جِراً كان لِلْعُزَّابِ سَهْلاً ولم يَكُنْ أبِيّاً عَلَى ذِي الزَّوْجَةِ المُتَوَدِّدِ
أصِيبَ زُنَاةُ القَوْمِ لَمّا تَوَجَّهَتْ بِهِ أمُّ حمّادٍ إلَى مَضْجَعِ الرَّدِي
لَقَدْ كان لِلأَدْنَى وَلِلْجَارِ والعِدا وَلِلْقَاصِدِ المُعْتَلِّ والمُتَرَدِّدِ

* * *

وقال يهجو الباهليّين :

إذا أعْيَتْكَ نِسْبَةُ بَاهِلِيٍّ فَرَفِّعْ عَنْهُ حَاشِيَةَ الإزارِ

عَـلَى اسْتَـاهِ سَـادَتِـهِـمْ كِـتَـابٌ مَـوَالِـي عَـامِـرٍ وسْـمـاً بِـنَـارِ

* * *

وقال يهجو عمرو بن العلاء :

ارفقْ بِنِسْبَـةِ عَـمْـرٍو حِينَ تَنْسُبُـهُ فـإنَّـهُ عَـرَبـيٌّ مِـنْ قَـوَارِيـرِ
مـا زَالَ فـي كـيـر حَـدّادٍ يُـرَدِّدُهُ حتّى بَـدَا عَـرَبِـيّـاً مُـظْلِمَ الـنـورِ
إن جـاز آبَـاؤُهُ الأنْـذَالُ مِـنْ مُـضَـرٍ جَـازَتْ فُلُوسُ بخَارَى في الـدَّنَـانِيـرِ

* * *

وقال يهجو من افتخر من الأعراب :

سَـأُخْـبِـرُ فـاخِـرَ الأعْـرَابِ عَـنِّـي وَعَـنْـهُ حِـيـنَ تـأذَنُ بـالـفَـخَـارِ
أحِينَ كُسِيتَ بَعْـدَ الـعُـرْي خـزّاً وَنَـادَمْـتَ الـكِـرَامَ عـلى الـعُـقَـارِ
تُـفَـاخِـرُ يَـا بْـنَ رَاعِـيَـةٍ وَرَاعٍ بَنِي الأحْـرَارِ حَسْبُـكَ مِنْ خَسَـارِ
وَكُـنْـتَ إذَا ظَـمِـئْـتَ إلـى قَـرَاحٍ شَـرِكْـتَ الـكَـلْبَ في وَلَـغِ الإطَـارِ
تُـرِيـغ بِـخُـطْبَـةٍ كَسْـرَ الـمَـوَالـي وَيُـنْـسِـيـكَ الـمَـكَـارِمَ صَيْـدُ فَـارِ
مُـقَـامُـكَ بَـيْـنَـنَـا دَنَسٌ عَـلَيْـنَـا فَـلَيْـتَـكَ غـائِـبٌ فـي حَـرِّ نـارِ

* * *

وقال يهجو عبد الله بن قزعة :

خَـلِيلَيَّ مِـنْ كَعْـبٍ أعِـيـنَـا أخَـاكُـمـا عَـلَى دَهْـرِهِ إنَّ الـكَـرِيـمَ مُـعِـيـنُ
فَـلاَ تَبْخَـلاَ بُخْـلَ ٱبْنِ قَـزْعَـةَ إنَّـهُ مَـخَـافَـةَ أنْ يُـرْجَى نَـدَاهُ حَـزِيـنُ
إذا جِئْـتَـهُ فـي الـخَـلْقِ أغْـلَقَ بَـابَـهُ فَـلَمْ تَـلْقَـهُ إلاّ وأنْـتَ كَـمِـيـنُ
إذا سَـلَّمَ الـمِـسْـكِـيـنُ طَـارَ فـؤادُهُ مَـخَـافَـةَ سُـؤْلٍ وَٱعْـتَـرَاهُ جُـنُـونُ
كـأنّ عُـبَـيْـدَ الـلَّهِ لَـمْ يَـرَ مَـاجِـداً وَلَـمْ يَـدْرِ أنَّ الـمَـكْـرُمَـاتِ تَـكُـونُ
فَـقُـلْ لأَبِي يَـحْيَـى مَـتَـى تُـدْرِكِ الـعُـلَى وفـي كُـلِّ مَـعْـرُوفٍ عَـلَيْـكَ يَـمِـيـنُ

دعبل بن علي الخزاعي

هو أبو علي محمّد بن علي بن رزين الخزاعي ، الملقَّب بـ «دعبل»[1] ، ينتهي نسبه إلى قحطان . ولد سنة ١٤٨ هـ/ ٧٦٥ م ونشأ بالكوفة ، معاشراً الشطّار والصعاليك ، ثم انتقل إلى بغداد ، واتّصل بمسلم بن الوليد الذي خرّجه في الشعر على يده . ولمّا شبّ اتّصل بالرشيد الذي أكرمه وخلع عليه لإعجابه بشعره ، وتشجيعاً له . ثم ولي على مدينة سِمنجان ، وهو دون الثلاثين من عمره ؛ ثم هرب إلى مصر طالباً حماية أميرها المطّلب بن عبد الله بن مالك الخزاعي ، فأكرم وفادته ، وولاّه على مدينة أسوان ، ولكنه ما لبث أن هجاه ، فطُرد ، لأنّه كان بفطرته ناقماً ، جافّ الطبع ، لا يرضى عن شيء ؛ ما أن يمدح شخصاً حتّى يعود ويهجوه . وهكذا قضى أيّامه مشرّداً ، معاشراً للصعاليك ، خوفاً من الذين تعرّض لهم بالهجاء ، وخاصة الخلفاء وبعض أقاربه . وقد أجاب من أنذره بسوء العاقبة ، وما يجرّه عليه هذا الهجاء ، بقوله : « أنا أحمل خشبتي على كتفي منذ خمسين سنة ، ولست أجد أحداً يصلبني عليها » .

ولتعصّبه الشديد لآل البيت ، كانت نقمته على بني العبّاس ، ومن هنا كان هجاؤهم ، وتمزيق أعراضهم ، ممّا أدى به إلى القتل في خلافة المتوكل سنة ٢٤٦ هـ/ ٨٦٠ م .

من عوامل هجائه أنّه اتّخذه وسيلة للتكسّب ، وقد أفحش في هجائه ليُرغم الناس على العطاء اتّقاءً لشرّه ، أو لتعصّبه الشديد لآل البيت ، ممّا حمله على كره العبّاسيّين وهجائهم الذي أفضى به إلى أن يكون هجاءً سياسيّاً يتناول الخلفاء والوزراء والملوك والسياسيّين عامة ، أو كان إرضاءً لنفسه الناقمة على الناس جميعاً ، والمطبوعة على الجفاء والخبث والتمرّد . لهذا السبب جاء هجاؤه مقذعاً ، يجرّد

---

(١) الدعبل : الناقة القويّة .

مهجوّه من جميع الفضائل التي يفخر بها العربي كالشجاعة والأنفة والكرم وإغاثة الملهوف .

قال دعبل يهجو الخليفة المعتصم ، وهو ثامن الخلفاء العباسيّين :

مُلُوكُ بني العبّاس في الكُتْبِ سَبْعَةٌ ... وَلَمْ تَأتِنَا عَنْ ثامِنٍ لَهُمُ كُتْبُ
كَذٰلِكَ أهْلُ الكَهْفِ في الكَهْفِ سَبْعَةٌ ... خِيَارٌ إذا عُدُّوا وَثَامِنُهُمْ كَلْبُ
وإنّي لأُعْلِي كَلْبَهُمْ عَنْكَ رُتْبَةً ... لأنَّكَ ذو ذَنْبٍ وَلَيْسَ لَهُ ذَنْبُ[1]

* * *

وقال يهجو المتوكّل العباسي :

وَلَسْتَ بِقَائِلٍ قَذْعاً ولٰكِنْ ... لأَمْرٍ ما تَعَبَّدَكَ العَبِيدُ[2]

* * *

قال دعبل بعد موت المعتصم وتولّي الواثق :

الحَمْدُ لِلَّهِ لا صَبْرٌ وَلَا جَلَدُ ... وَلَا عَزَاءٌ إذا أهْلُ البَلَا رَقَدُوا
خَلِيفَةٌ مَاتَ لم يَحْزَنْ لَهُ أحَدٌ ... وَآخَرٌ قَامَ لم يَفْرَحْ بِهِ أحَدُ
فَمَرَّ هٰذَا وَمَرَّ الشُّؤْمُ يَتْبَعُهُ ... وَقَامَ هذا فَقَامَ الوَيْلُ والنَّكَدُ

* * *

وقال يهجو أحمد بن أبي دواد ، وقد تزوّج اثنتين من بني عجل في سنة واحدة :

أيا لِلنّاسِ مِنْ خَبَرٍ طَرِيفٍ ... يُغَرِّدُ ذِكْرُهُ في الخَافِقَيْنِ
أعِجْلٌ أنْكَحُوا ٱبْنَ أبي دُوادٍ ... وَلَمْ يَتَأَمَّلُوا فِيهِ ٱثْنَتَيْنِ

---

(١) وفي رواية أخرى :
وَمَا أنْتَ عِنْدِي بالوَفَاءِ كَكَلْبِهِمْ ... لأنَّكَ ذو ذَنْبٍ وما أذْنَبَ الكَلْبُ
(٢) القذع : الفحش . تعبّده : صيّره عبداً .

أرَادُوا بَـعْضَ عَـاجِـلَةٍ فَـبَـاعُـوا ... رَخِـيـصـاً عَـاجِـلاً نَـقْـداً بِـدَيْـنِ
بِـضَـاعَـةُ خَـاسِـرٍ بَـارَتْ عَـلَيْـهِ ... فَـبَـاعَـكَ بـالـنَّـوَاةِ الـتَّـمْـرَتَـيْـنِ
وَلَـوْ غَـلَطُوا بِـوَاحِـدَةٍ لَـقُـلْـنَـا ... يَـكُـونُ الـوَهْـمُ بَـيْـن الـعَـاقِـلَيْـنِ
لَـحَـا اللَّهُ الـمَـعَـاشَ بِـفَـرْجِ أُنْـثَـى ... وَلَـوْ زَوَّجْـتَـهَـا مِـن ذِي رُعَـيْـنِ
وَلَـمَّـا أن أفَـادَ طَـرِيـفُ مَـالٍ ... وَأَصْـبَـحَ رَافِـلاً فـي الـحُـلَّـتَـيْـنِ
تَـكَـنَّـى وَآنْـتَـمَـى لأَبِـي دُوَادٍ ... وَقَـدْ كـان آسْـمُـهُ آبْنَ الـفـاعِـلَيْـنِ
فَـرُدُّوهُ إلـى فَـرْجِ أبِـيـهِ ... وَزِرْيَـابٍ فَـأَلأَمُ والـدَّيْـنِ

وقال فيه أيضاً :

تَـوَغَّـلَ فِـيـهِـمُ سِـفَـلٌ وَخُـوزٌ ... وَأَوْبَـاشٌ فَـهُـمْ لَـهُـمُ مِـدَادُ[1]
وأنْـبَـاطُ الـسَّـوَادِ قَـدِ آسْـتَـحَـالُـوا ... بـهـا عَـرَبـاً فَقَدْ خَـرِبَ الـسَّـوَادُ
وَلَـوْ شَـاءَ الإمـام أقَـامَ سُـوقـاً ... فَـبَـاعَـهُـمُ كـمـا بِـيـعَ الـسَّـمَـادُ

وقال يهجوه أيضاً :

غَصَبْتَ عِجْـلاً على فَـرْجَيْنِ في سَنَـةٍ ... أفْسَـدْتَهُمْ ثُمَّ أَصْـلَحْتَ مِـنْ نَسَبِـكْ
وَلَـوْ خَـطَبْـت إلى طَـوْقٍ وَأُسْـرَتِـهِ ... وَزَوَّجُـوكَ لَـمَـا زَادُوكَ في حَـسَبِـكْ
إنْ كـانَ قَـوْمٌ أرَادَ الـلَّهُ خِـزْيَـهُـمُ ... فَـزَوَّجـوكَ آرْتِغَـابـاً مِنْـكَ في ذَهَبِـكْ
فـذاك يُـوجِـبُ أنَّ الـنَّـبْـعَ تَجْـمَعُـهُ ... إلى خِـلاَفِكَ في العِيدانِ أو غَرَبِـكْ[2]
وَلَـوْ سَكَتَّ وَلَمْ تَخْـطُبْ إلـى عَـرَبٍ ... لَـمَـا نَبَشْتَ الـذي تَـطْـوِيـهِ مِنْ سَبَبِـكْ
عُـدَّ الـبُيُـوتَ التي تَـرْضَى بِخُـطْبَتِهَـا ... تَـجِـدْ فَـزَارَةَ العُـكْلِيَّ مِـنْ عَـرَبِـكْ

* * *

(١) الحَوز : جيل من العجم . الأوباش : سفلة الناس .
(٢) الغَرَب : نبات هشّ ضعيف . وخلافه النبع ، ومنه تتّخذ القسيّ .

وقال يهجو مالك بن طوق :

صَدِّقْهُ إنْ قَالَ وَهْوَ مُحْتَفِلٌ ... إنّي مِنْ تَغْلِبٍ فَمَا كَذَبَا
مَنْ ذا يُنَاوِيهِ في مَنَاسِبِهِ ... فَمَا آسْتُ كَلْبٍ يَرْضَى بِذَا نَسَبَا

* * *

وقال فيه أيضاً :

سَأَلْتُ عَنْكُمْ يا بَنِي مَالِكٍ ... في نَازِحِ الأرضِينَ والدَّانِيَهْ
طُرّاً فَلَمْ تُعْرَفْ لَكُمْ نِسْبَةٌ ... حتّى إذا قُلْتُ: بنِي الزانِيَهْ
قالُوا: فَدَعْ دَاراً على يَمْنَةٍ ... وَتِلْكَهَا دَارُهُمُ ثانِيَهْ

وقال فيه أيضاً :

لا حَدَّ أخْشَاهُ على ... مَنْ قَالَ: أُمُّكَ زانِيَهْ
يا زَانيَ آبْنَ الزَّانِيَ آبْنَ ... الزاني آبْنَ الزانِيَهْ
أنْتَ المُرَدَّدُ في الزِّنَا ... ءِ على السِّنِينَ الخَالِيَهْ
وَمُرَدَّدٌ فيه على ... كَرِّ السِّنِينَ البَاقِيَهْ

وقال فيه أيضاً :

النَّاسُ كُلُّهُمُ يَسْعَى لِحَاجَتِهِ ... ما بَيْنَ ذي فَرَحٍ مِنْهُمْ وَمَهْمُومِ
وَمَالِكٌ ظَلَّ مَشْغُولاً بِنِسْبَتِهِ ... يَرُمُّ مِنْهَا خَرَاباً غَيْرَ مَرْمُومِ[1]
يَبْني بُيُوتاً خَرَاباً لا أنِيسَ بها ... ما بَيْنَ طَوْقٍ إلى عَمْرِو بْنِ كُلْثُومِ

وقال يهجوه أيضاً :

إنَّ بَنِي طَوْقٍ لأُعْجُوبَةٌ ... تَحَارُ في وَصْفِهِمُ الفِكْرَهْ
أبُوهُمْ أسْمَرُ في لَوْنِهِ ... وَالقَوْمُ في ألْوَانِهِمْ شُقْرَهْ
أظُنُّهُ حِينَ أتَى أمَّهُمْ ... صَيَّرَ في نُطْفَتِهِ مَغْرَهْ[2]

---

(١) مرم : مصلّح .

(٢) المغر : طين أحمر يصبغ به .

وقال فيه أيضاً :

إنَّ آبْـنَ طَـوْقٍ وبـنـي تَـغْـلِبٍ ... لَـوْ قُـتِّلُوا أوْ جُـرِّحُـوا قَـصْـرَهْ[1]
لَـمْ يَـأْخُـذُوا مِـنْ دِيَـةٍ دِرْهَـمـاً ... يَـوْمـاً وَلَا مِـنْ أرْشِـهِـمْ بَـعْـرَهْ[2]
دِمَـاؤُهُـمْ لَـيْسَ لَـهَـا طَـالِـبٌ ... مَـطْلُولَـةٌ مِـثْـلُ دَمِ الـعُـذْرَهْ[3]
وُجُـوهُـهُـمْ بِـيضٌ وَأَحْـسَـابُـهُـمْ ... سُـودٌ وفـي آذَانِـهِـمْ صُـفْـرَهْ

وقال فيه أيضاً :

لا خَـيْـرَ فِـيـكَ سِـوَى كَـلَامٍ طَـيِّبٍ ... وَمَـوَاعِـدٍ تُـدْنـي وَفِـعْـلٍ يُـبْـعِـدُ
وَأُبُـوَّةٍ فـي تَـغْـلِبٍ لَـوْ أنَّـهـا ... لِـلْكَلْبِ كـانَ الـكَلْبُ فـيهـا يـزهَـدُ

* * *

وقال يهجو آل بسّام :

يـا آلَ بَـسَّـامٍ فـي الـمَـخَـازِي ... وَعَـابِـسِـي الـوَجْـهِ فـي السُّـؤَالِ
حَـوَاجِـبٌ كـالـحِـبَـالِ سُـودٌ ... إلَـى عَـثَـانِـيـنَ كَـالـمَـخَـالـي
وَأَوْجُـهٌ جَـهْـمَـةٌ غِـلَاظٌ ... عُـطْلٌ مِـنَ الـحُـسْـنِ وَالـجَـمَـالِ

* * *

وقال يهجو أبا عبّاد الكاتب[4] :

أوْلَـى الأمُـورِ بِـضَـيْـعَـةٍ وَفَـسَـادِ ... أمْـرٌ يُـدَبِّـرُهُ أبُـو عَـبَّـادِ
خَـرِقٌ عـلى جُـلَسَـائِـهِ فـكَـأنَّـهُـمْ ... حَضَـرُوا لِمَـلْحَمَـةٍ وَيَـوْمِ جِـلَادِ[5]

---

(١) قصره : أي دون غيرهم ، عاجزون .
(٢) الأرش : الدية .
(٣) العذرة : فلقة الذكر ، أي : إنّهم لا قيمة لهم مثل فلقة الذكر ، ولأنّ دماءهم مطلولة لا يطالب بها .
(٤) هو ثابت بن يحيى بن يسار وزير المأمون .
(٥) الخرق : الأحمق . الملحمة : القتال الشديد .

يَسْطُو على كُتَّابِهِ بِدَوَاتِهِ فَمُضَمَّخٌ بِدَمٍ وَنُضْحِ مِدَادِ[1]
وكأَنَّهُ مِنْ دَيْرِ هِزْقِلَ مُفْلِتٌ حَرِدٌ يَجُرُّ سَلاَسِلَ الأَقْيَادِ[2]
فَاشْدُدْ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ وِثَاقَهُ فأَصَحُّ مِنْهُ بَقِيَّةُ الحَدَّادِ[3]

* * *

حلّ دعبل ضيفاً على رجل ، فقام لحاجته فوجد باب الكنيف مُغْلقاً ، ولم يستطع فتحه حتى أعجله الأمر ، فقال :

إنَّ مَنْ ضَنَّ بالكَنِيفِ على الضَّيْـ ـفِ بِغَيْرِ الكَنِيفِ كَيْفَ يَجُودُ؟[4]
ما سَمِعْنَا ولا رَأَيْنَا بِحُشٍّ قَبْلَ هذا لِبَابِهِ إقْلِيدُ[5]
إنْ يَكُنْ بالكَنِيفِ شيءٌ تَخَبَّاهُ فَعِنْدي إنْ شِئْتَ فيه مَزِيدُ

* * *

وقال يهجو قينة محمّد بن عبد الملك الزيات :

إنّ ابنَ زَيَّاتٍ له قَيْنَةٌ أَرْبَتْ على الشَّيْطَانِ في القُبْحِ
سَوْدَاءُ شَوْهاءُ لها شِعْرَةٌ كأنّها نَمْلٌ عَلَى مِسْحِ[6]
فَلَوْ بَدَتْ حاسِرَةً في الضُّحَى لاسْوَدَّ مِنْهَا فَلَقُ الصُّبْحِ

* * *

وقال يهجو المطّلب بن عبد الله الخزاعي ، وهو يتولّى مصر :

إذا الحَرْبُ كُنْتَ أَمِيراً لها فَحَظُّهُمْ مِنْكَ أنْ يُقْتَلُوا

---

(١) المضمّخ : المطلّخ .
(٢) دير هزقل : دير مشهور بين البصرة وعسكر مكرم ، يضرب به المثل لمجمع المجانين .
(٣) الوثاق : القيد . بقية : هو مجنون كان في المارستان .
(٤) الكنيف : المرحاض .
(٥) الحش : البستان ، ويكنى به عن المرحاض . الإقليد : المفتاح .
(٦) المسح : ثوب نسج من الشعر يلبس على البدن تقشّفاً .

فَمِنْكَ الرُّؤُوسُ غَدَاةَ اللِّقا وَمِمَّنْ يُحَارِبُكَ المِنصَلُ[1]
شِعَارُكَ في الحَرْبِ يَوْمَ الوَغَى إذا آنْهَزَمُوا عَجِّلُوا عَجِّلُوا
هَزَائِمُكَ الغُرُّ مَشْهُورَةٌ يُقَرْطِسُ فِيهِنَّ مَنْ يَنْضُلُ[2]
فَأَنْتَ لأَوَّلِهِمْ آخِرٌ وَأَنْتَ لآخِرِهِمْ أَوَّلْ

* * *

وقال يهجو رَجُلاً :

كَأَنَّهُ كَبْشٌ إذا ما بَدَا لَكِنَّهُ في طَبْعِهِ نَعْجَهْ
فأَنْتَ إنْ تَقْعُدْ إلى جَنْبِهِ تَخَالُ في خِصْيَتَيْهِ قَنْجَهْ

* * *

وقال يهجو بني وهب :

إذا رَأَيْتَ بَنِي وَهْبٍ بِمَنْزِلَةٍ لَمْ تَدْرِ أَيُّهُمُ الأُنْثَى مِنَ الذَّكَرِ
قَمِيصُ أُنْثَاهُمْ يَنْقَدُّ مِنْ قُبُلٍ وَقُمْصُ ذُكْرَانِهِمْ تَنْقَدُّ مِنْ دُبُرِ[3]
مُحَنَّكُونَ عَنِ الفَحْشاءِ في صِغَرٍ مُحَنَّكُونَ عَنِ الفَحْشاءِ في كِبَرِ[4]
مُحَنَّكُونَ وَلَمْ تُقْطَعْ تَمَائِمُهُمْ مَعَ الفَوَاطِمِ والدّاياتِ بالكِبَرِ[5]

* * *

وقال يهجو أبا نصير بن حُمَيد الطوسي :

أبا نُصَيْرٍ تَحَلْحَلْ عَنْ مَجَالِسِنَا فَإنّ فِيكَ لِمَنْ جَارَاكَ مُنْتَقَصَا

---

(١) المنصل : السيف .
(٢) يقرطس : يصيب الهدف . ينضل : يناضل .
(٣) انقدّ : انشقّ .
(٤) المحنّك : المجرّب .
(٥) التمائم : ج. التميمة ، وهي الحرز .

أنْتَ الحِمَـارُ حَـرُونـاً إذْ رَفَقْتَ بـهِ وَإنْ قَصَـدْتَ إلى مَعْـرُوفِـهِ قَمَصَـا[1]
إنّـي هَـزَزْتُـكَ لا آلـوت مُجْتَـهِـداً لـو كُنْتَ سَيْفـاً وَلٰكِنّي هَـزَزْتُ عَصَـا

* * *

وقال يهجو أبـا سعد المخـزومي لمّا نفـاه قومـه عن نسبهم ، خوفـاً من هجاء دعبل :

غَـيْـرَ أنَّ الـصِّـيـدَ مِـنْـهُـمْ قَـدْ نَـفَـوهُ بِـخِـزَايَـهْ
كَـتَـبُـوا الـصَّـكَّ عَـلَيْـهِ فَـهْـوَ بَـيْـنَ الـنَّـاسِ آيَـهْ
فَـإذَا أقْـبَـلَ يَـوْمـاً قِـيـلَ: قَـدْ جَـاءَ الـنُّـفَـايَـهْ

وقال يهجوه أيضاً :

إنَّ أبـا سَـعْـدٍ فَـتًـى شـاعِـرٌ يُـعْـرَفُ بـالـكُـنْـيَـةِ لا الـوَالِـدِ
يَـنْـشُـدُ فـي حَـيٍّ مَـعـدٍّ أبـاً ضَـلَّ عَـنِ الـمَـنْـشُـودِ وَالـنَّـاشِـدِ
فَـرَحْـمَـةُ الـلَّهِ عـلى مُـسْـلِمٍ أرْشَـدَ مَـفْـقُـوداً إلـى فـاقِـدِ

* * *

وقال يهجو عمراً بن عاصم الكلابي :

وَنُـبِّـئْـتُ كَـلْـبـاً مِـنْ كِـلابٍ يَـسُـبُّـنِـي وَمَـحْضُ كِـلابٍ يَقْـطَعُ الـصَّلَوَاتِ[2]
فـإنْ أنـا لَـمْ أُعْلِمْ كِـلابـاً بـأنَّـهـا كِـلَابٌ وإنّـي بَـاسِـلُ الـنَّـقَـمَـاتِ
فـكـانَ إذَنْ مِـنْ قَـيْسِ عَـيْـلَانَ وَالِـدِي وكـانَـتْ إذَنْ أمِّـي مِـنَ الـحَـبِـطَات[3]

* * *

(١) قمص : رَفع يدَيه معاً وطرحهما معاً .
(٢) المحض : الخالص من كلّ شيء .
(٣) الحبطات : بنات الحارث بن عمرو بن تميم ، لقب بذلك لأنّه أكل صمغاً كثيراً فحبط بطنه أي ورم .

وقال يهجو الفضل بن العباس بن جعفر الخزاعي الذي أدَّبه دعبل وخرّجه :

يا بُؤْسَ لِلْفَضْلِ لَوْلَمْ يأتِ مَا عَابَهْ ... يَسْتَفْرِغُ السُّمَّ مِنْ صَمَّاءَ قِرضابَهْ[1]

مَا إنْ يَزَالُ وفيه العَيْبُ يَجْمَعُهُ ... جَهْلاً لأعْرَاضِ أهْلِ المَجْدِ عَيَّابَهْ

إنْ عَابَنِي لم يَعِبْ إلاّ مُؤَدِّبَهُ ... وَنَفْسَهُ عَابَ لَمَّا عَابَ آدَابَهْ

فَكَانَ كالكَلْبِ ضَرَّاهُ مُكَلِّبُهُ ... لِصَيْدِهِ فَعَدَا فاصْطَادَ كَلاَّبَهْ[2]

إنْ يَغْدُرَنَّ فإنَّ الغَدْرَ ألْبَسَهُ ... مِنَ الأُبُوَّةِ وَالأجْدَادِ جِلْبَابَهْ

تِلْكَ المَسَاعِي إذا مَا أخَّرَتْ رَجُلاً ... أحَبَّ للناسِ عَيْباً كالَّذِي عَابَهْ

كذاك من كان هَدْمُ المَجْدِ غَايَتَهُ ... فإنَّهُ لِبُنَاةِ المَجْدِ سَبَّابَهْ

* * *

وقال يهجو صاحب وجه قبيح :

تَمَّتْ مَقَابِحُ وَجْهِهِ فكأنَّهُ ... طَلَلٌ تَحَمَّلَ سَاكِنُوهُ فَأَوْحَشَا

لَوْ كَانَ لاسْتِكَ ضِيقُ صَدْرِكَ أو لِصَدْرِكَ رُحْبُ دُبْرِكَ كُنْتَ أكْحَلَ مَنْ مَشَى

وقال أيضاً :

مَا لي رَأيتُكَ لَسْتَ تُثْمِرُ طَيِّباً ... عَذْباً وَأصْلُكَ هَاشِمِيّ المَغْرَسِ

حَتَّى كأنَّكَ نِقْمَةٌ في نِعْمَةٍ ... أو غُصْنُ شَوْكٍ في حَدِيقَةِ نَرْجِسِ

* * *

وقال يهجو بخيلاً :

مَا كُنْتُ إذْ طَلَبَتْ يَدَايَ بِكَ الغِنى ... إلاّ كَطَالِبِ خُطْبَةٍ مِنْ أخْرَسِ

والمَجْدُ يُفْسِدُهُ اللَّئِيمُ بِلُؤْمِهِ ... كَالمِسْكِ يَفْسُدُ رِيحُهُ بالكُنْدُسِ[3]

---

(١) الصماء : الحيّة التي لا تقبل الرقى . القرضاب : التي تنهش كل شيء .

(٢) ضرّاه : عوّده الصيد .

(٣) الكندس : عروق نبات داخله أصفر وخارجه أسود ، وهو مُقيّىء معطّس .

يـا رَبِّ إنَّ غِـنَـى الـلَّئِـيـم يَـسُـوؤُنـي فَـآصْـرِفْ غِنَـاهُ إلى الجَـوَادِ المُفْلِسِ

* * *

وقال يهجو امرأة :

يـا رُكْـبَـتَـيْ خُـزَرٍ وَسَـاقَ نَـعَـامَـةٍ وَزَبِـيـلَ كَـنَّـاسٍ وَرَأْسَ بَـعِـيـرِ[1]

يـا مَـنْ أُشَـبِّـهُـهَـا بـحُـمَّـى نَـافِضٍ قَـطَّاعَـةٍ لـلظَّهْـرِ ذاتِ زَئِـيـرِ[2]

صُـدْغَـاكِ قَـدْ شَـمِـطَا وَنَحْـرُكِ يـابِسٌ والـصَّـدْرُ مِنْـكِ كَـجُؤْجُـؤِ الـطُّنْبُـورِ[3]

يـا مَـنْ مُـعَـانِـقُـهـا يَـبِـيـتُ كـأنَّـهُ في مَحْبِسٍ قَمِـلٍ وفـي سَـاجُـورِ[4]

قَـبَّلْتُـهَـا فـوَجَـدْتُ لَـذْغَـةَ رِيقِـهـا فَـوْقَ الـلِّسَـانِ كَـلَسْـعَـةِ الـزُّنْبُـورِ

* * *

وقال في صاحب لحية :

يُـلَوِّثُ لِـحْـيَـةً عَـرُضَـتْ وَطَـالَـتْ وَيُـمْـرِثُـهـا كَـتَـمْـرِيـثِ الـخَـمِـيـرَهْ

فَـيَـا لَـكِ لِـحْـيَـةً وَضْـرَى وَشَـيْـبـاً كـأنَّـكَ قَـدْ أكَـلْتَ بهـا مَـضِـيـرَهْ[5]

* * *

نـزل دعبل ورزين العـروضي بقوم من بني مخـزوم ، فلم يكرمـوهما ، فقـال دعبل :

عِـصَـابَـةٌ مِن بـنـي مـخـزوم بِـتُّ بِـهِـمْ بِحَيْثُ لا تَـطْمَـعُ المِسْحَـاةُ فـي الـطِّينِ

---

(١) الخزر : ولد الأرنب أو الذكر من الأرانب .

(٢) حمّى نافض : حمّى الرعدة والارتعاش .

(٣) الصدغ : ما بين العين والأذن من جانب الوجـه . شمط : خالط سواده بيـاض . الجؤجؤ : الصدر .

(٤) المحبس القمل : الغلّ ، ويكنّى به عن المرأة السيّئة الخلق . الساجـور : خشبة تـوضع في عنق الكلب .

(٥) الوضر : الدهن . المضيرة : طعام يتخذ من اللبن الحامض واللحم .

ثم قال لرزين : أكمل ، فقال رزين :

في مَضْغِ أعْرَاضِهِمْ مِنْ خُبْزِهِم عِوَضٌ بَنُو النِّفَاقِ وأبْنَاءُ المَلاَعِينِ

* * *

وقال في هجاء قوم :

أسُودٌ إذا ما كانَ يَوْمٌ وَلِيمَةٍ وَلٰكِنَّهُمْ يَوْمَ اللِّقاءِ ثَعَالِبُ

وقال أيضاً :

وَوَجْهُ كَوَجْهِ الغُولِ فيهِ سَمَاجَةٌ مُفَوَّهَةٌ شَوْهَاءُ ذاتُ مَشافِر

* * *

وقال يهجو ذات بنان مخضّب :

كأنّما كَفُّها إذا اخْتُضِبتْ مَخَالِبُ البَازِ خُرِّجَتْ بِدَمِ

* * *

وقال في هجاء مُغَنٍّ :

وَمُغَنٍّ إنْ تَغَنَّى أوْرَثَ النَّدْمَانَ هَمَّا
أحْسَنُ الأقْوَامِ حَالاً فيهِ مَنْ كانَ أصَمَّا

* * *

وقال في هجاء امرأة :

فَوْهَاءُ شَوْهَاءُ يُبْدِي الكَيْدَ مَضْحَكُها قَنْوَاءُ بالعَرْضِ والعَيْنَانِ بالطُّولِ (١)
لها فَمٌ مُلْتَقَى شِدْقَيْهِ نُقْرَتُها كأنّ مِشْفَرَها قَدْ طُرَّ مِنْ فِيلِ (٢)
أسْنَانُها أُضْعِفَتْ في حَلْقِها عَدَداً مُظَهَّرَاتٌ جَمِيعاً بالرَّواوِيلِ (٣)

---

(١) فوهاء : واسعة الفم . قنواء : مرتفعة الأنف .
(٢) المشفر : شفة البعير . طرّ : قطع .
(٣) مظهّرات : متراكمة بعضها فوق بعض . الرواويل : ج . الراوول ، وهو السنّ الزائدة خلف الأسنان .

وقال يهجو بخيلاً :

أُتُقْفِلُ مَطْبَخاً لا شَيْءَ فيه ... مِنَ الدُّنْيَا يُخَافُ عَلَيْهِ أكْلُ؟
فَهٰذا المَطْبَخُ اسْتَوْثَقْتَ مِنْهُ ... فَمَا بَالُ الكَنِيفِ عَلَيْهِ قُفْلُ
وَلٰكِنْ قَدْ بَخِلْتَ بِكُلِّ شَيْءٍ ... فَحَتَّى السِّلْحُ مِنْكَ عَلَيْهِ بُخْلُ

* * *

الهجاء في العصر الأندلسي

اتّصف الأدب الأندلسيّ بأنّه كان متقيّداً بالأساليب والفنون التقليديّة الشّائعة في الشرق ، وبأنَّ أغلى الأمنيات لدى أدبائه كانت في التوصّل إلى محاكاة الأدباء المشارقة في ذلك العهد .

وعالج أغلب الشّعر الأندلسيّ الفنون التي كانت مألوفة عند عرب المشرق ، حتّى إنّ عدداً كبيراً من القصائد إذا قُرئت لم يتبيَّن القارىء من خلالها مسحةً محلّيّة ، بل تجابهه فيها الصّور ، والتشابيه ، والاستعارات ، والمحسّنات اللّفظيَّة والمعنويّة الرّائجة في كلّ مكان من المشرق .

واللافت للانتباه في الأدب الأندلسيّ ظاهرة التطرّف التي وسمت مجمل الحياة الأندلسيَّة سواءً أكان ذلك في الحياة الاجتماعيَّة أم في فنون الأدب ، ولعلّ مردَّ ذلك إلى الحرّيّة التي تنعَّم بها الأندلسيّون ، وإلى الرفاهية ونعيم العيش اللذين توافرا في البيئة الأندلسيَّة .

وبرزت ظاهرة التطرّف هذه في الهجاء ، فكان شعراء الأندلس إذا هجَوْا أفحشوا ، وشاعراتُهم أفحش من شعرائهم هَجْواً ، وكانوا مفحشين سواء استعملوا الألفاظ البذيئة أم استغنوا عنها ، وفيما يلي نماذج من هذا الهجاء .

نزهون الغرناطيّة وأبو بكر المخزوميّ

في أحد مجالس الوزير أبي بكر بن سعيد في غرناطة دخل الشاعر أبو بكر المخزوميّ الأعمى يقوده غلام صغير ، وكان المخزوميّ أعمى شديدَ الشّرّ معروفاً بالهجاء ، غير أنّه حين استقرّ به المجلس في ندوة الوزير وأفعمته روائح النّدّ والعود والأزهار ، وهزّتْ عطفه الأوتاد ، أنشد هذه الأبيات الجميلة :

دارُ السَّعِيدِيِّ ذِي أَمْ دارُ رِضْوانِ ... ما تَشْتَهِي النَّفْسُ فيها حاضِرٌ داني

سَقَتْ أَبارِيقَها لِلنَّدِّ سُحْبُ نَدًى ... تُحْدَى بِرَعْدٍ لِأَوْتارٍ وَعِيدانِ

والبَرْقُ مِنْ كُلِّ دَنٍّ ساكِبٌ مَطَراً ... يُحْيَا بِهِ مَيْتُ أَفْكارٍ وَأَشْجانِ

هٰذا النَّعيمُ الذي كُنّا نُحَدَّثُهُ ... ولا سَبيلَ لَهُ إلّا بِآذانِ

فعلّق الوزير على مصراع البيت الأخير بقوله : « وإلى الآن لا سبيل له إلّا بالآذان » ، وفي ذلك تعريض بالشاعر لكونه أعمى . وهنا تغلب المخزوميّ طبيعته الحادّة ، فيلجم الوزير قائلاً : حتّى يبعث الله ولد زنى كلّما أنشدت هذه الأبيات قال : إنّها لأعمى . ويشعر الوزير بالحرج ، فيقول في تراجع : أمّا أنا فلا أنطق بحرف ، فيعلّق الشاعر الأعمى ، ولا تزال في مزاجه بقيّة من حدّة واحتجاج ، قائلاً : من صَمَتَ نجا . ولكن الشّاعرة نزهون الغرناطيّة صاحبة الروح العدوانيّة لم تأخذ عبرة من ذلك الحوار الخشن الذي جرى بين الوزير الأديب المضيف والشاعر الضيف العنيف ، فتتلقّف الحديث من طرفه الذي لان بعض الشّيء ، وتلقي بوجه الشاعر الضرير السّليط اللسان بهذا القول : وتراك ، يا أستاذ ، قديم النعمة بمجمر ندّ وغناء وشراب ، فتعجب من تأتّيه وتشبّهه بنعيم الجنّة ، وتقول : ما كان يُعلم إلّا بالسّماع ، ولا يُبلغ إليه إلّا بالعيان ، ولكن ، من يجيء ، من حصن المدوّر (أي : بلد المخزوميّ) ، وينشأ بين تيوس وبقر ، من أين له معرفة بمجالس النعيم ؟ فيطرق هذا الهجوم الشّديد أسماع الشاعر الضرير فيتنحنح ، فتجعل نزهون من نحنحته سبيلاً آخر لاستمرار التهجّم عليه والسّخرية به ، فتقول له : ذبحة ! فيسأل الشاعر عن هذه

السليطة في مجالس الأدب ، قائلاً بسخرية : من هذه الفاضلة ؟ فتقول : عجوز في مقام أمّك . وهنا يفيض الكيل بالشاعر الهجّاء بعد أن اتهمته بالجلفيَّة ونشأته بين التيوس والبقر ، وسخرت من آفة العمى عنده ، زاعمةً أنّها عجوز ، قائلة له : « مثل أمّك » ، وهو لون من الخطاب غير كريم ، وفيه مسحة من تعريض بالشاعر وبأمّه ، فقال : كذبتِ ، ما هذا صوت عجوز ، وإنّما هذه نغمة فاجرة محترفة . . وهنا تدخّل الوزير الأديب صاحب المنتدى ليُنقذ شاعرته من براثن الشيخ الهجّاء المعتَدَى عليه قائلاً : هذه نزهون بنت القلاعي الشاعرة الأديبة ، فيجيبه المخزومي والغضب ملء عطفيه : سمعت بها لا أسمعها الله خيراً ولا أراها إلاّ . . .[1] . فقالت له نزهون : يا شيخ سوء تناقضت ، وأيّ خير للمرأة مثل ما ذكرت ! ففكّر المخزوميّ قليلاً ثمّ قال بيتين مستوحياً معناهما من بيت لذي الرّمّة في هجاء ميّ ، وبيت للمتنبّي معرِّضاً بسيف الدولة ، ولكن فيهما تصرّف بارع :

على وَجْهِ نَزْهونٍ مِنَ الحُسْنِ مَسْحَةٌ ... وإنْ كانَ قَدْ أَمْسَى مِنَ الضَّوْءِ عارِيا
قواصِدُ نَزْهُونٍ تَوارِكُ غيرِها ... ومَنْ قَصَدَ البَحْرَ اسْتَقَلَّ السَّواقيا

فأجابت نزهون بشعر أكثر بذاءةً وقالت :

قُلْ للوضيعِ مَقالاً ... يُتْلَى إلى حينِ يُحْشَرْ
مِنَ المُدَوَّرِ أَنْشِدْ ... تَ والخرا مِنْهُ أَعْطَرْ
حَيْثُ البَداوَةُ أَمْسَتْ ... في مَشْيِها تَتَبَخْتَرْ
لِذَاكَ أَمْسَيْتَ صَبّاً ... بِكُلِّ شَيْءٍ مُدَوَّرْ
خُلِقْتَ أعْمَى ولكِنْ ... تَهيمُ في كُلِّ أَعْوَرْ
جاوبْتُ هَجْواً بِهَجْوٍ ... فَقُلْ، لُعِنْتَ: مَنْ آشْعَرْ؟
إنْ كُنتُ في الخَلْقِ أنْثى ... فَإنّ شِعْري مُذكَّرْ

وقيل : قالت أبياتٍ أخرى ، منها :

إنْ كانَ ما قُلْتَ حَقّاً ... مِنْ بَعْضِ عَهْدٍ كريمِ

---

(١) كلمة بذيئة تصنع سجعة مع الجملة السابقة .

فَصار ذِكْرِي ذَمِيماً يُعْزَى إلى كُلِّ لُومِ
وصرتُ أَقْبَحَ شَيْءٍ مِنْ صورَةِ المَخْزومي

وهنا قال المخزومي لنزهون : اسمعي ، وصبَّ في أذنيها بيتين من أفحش ما يمكن لامرأة أن تسمع من حديث فضلاً عن شعر :

ألا قُلْ لِنَزْهُونةٍ: ما لها تَجُرُّ مِنَ التِّيهِ أذْيَالَها
ولو أبصرتْ فَيْشَةً شَمَّرَتْ ـ كما عَوَّدَتْني ـ سِرْبالَها

حينئذٍ تدخّل الوزير وحلف ألاّ يزيد أحدهما على الآخر في كلمة هجاء ، ولكنّ المخزومي أجابه قائلاً : أكون هجّاء الأندلس وأكفّ عنها دون شيء ؟! فقال الوزير : أنا أشتري منك عِرضها ، فاطلبْ ، فطلب المخزومي ثمناً : الغلام الذي قاده إلى منتدى الوزير .

* * *

نزهون وابن قزمان

كان ابن قزمان ينشد للوزير أبي بكر بن سعيد ولجماعة من الأدباء بينهم نزهون بعض شعره الجميل ارتجالاً ، وكان ، حينذاك ، يلبس غفارةً صفراء على زيّ الفقهاء ، وإذ بنزهون بدلاً من أن تلقي إليه بكلمة إعجاب ومجاملة ، تقول له ساخرة : أحسنتَ يا بقرة بني إسرائيل ، إلاّ أنّك لا تُسِرّ الناظرين ، فيأخذ الغضب من ابن قزمان كلّ مأخذ ، وهو آنذاك شاعر ذو مكانة مرموقة ، ويقول لها : إن لم أسرَّ الناظرين ، فأنا أسرُّ السامعين ، وإنّما يُطلب سرور الناظرين منكِ يا فاعلة يا صانعة . . . وتمكّن السّكر من ابن قزمان ، وأراد أن يوقع بها نوعاً من الأذى ، ولكنّ القوم تدافعوا عليه حتّى رمَوه في البركة ، ولم يخرج منها إلاّ وقد شرب ماءً كثيراً ، وثيابه تهطل من البلل ، ولم يجد ما يفرّج به عن ذات نفسه إلاّ قوله : اسمعْ يا وزير ، وأنشد الأبيات الثلاثة التالية :

إيهِ، أبا بَكْرٍ، ولا حَولَ لي ... بِدَفْعِ أعْيانٍ وَأَنْذالِ
وذاتِ فَ. . . . واسعٍ دافقٍ ... بالماءِ يَحْكي حالَ أَذْيالي
غَرَّقْتَني في الماءِ يا سَيِّدي ... كَفِّرْهُ بالتَّغْرِيقِ في المالِ

وكما حمى أبو بكر عِرضها من المخزوميّ في الحادثة السابقة بالمال ، فقد فعل نفس الشّيء هذه المرّة مع ابن قزمان ، ودفع ضَرّه عن نزهون بالعطاء والإحسان .

* * *

هجاء ولّادة لابن زيدون

هَجَتْ ولّادةُ ابنةُ المستكفي من كان حبيبها فقال فيها من الشعر ما خلب ألباب المتأدّبين لمئات السّنين ، قالت :

وَلُقِّبْتَ الْمُسَدَّسَ وَهْوَ نَعْتٌ تُفِارِقُكَ الحياةُ ولا يُفارِقْ
فَلُوطِيٌّ وَمَأْبُونٌ وزانٍ وَدَيُّوثٌ وَقَرْنانٌ وسارِقْ

* * *

هجاء مهجة بنت التياني القرطبيّة لولّادة

كانت مهجة ، على جودة شعرها ، من الخلاعة في القول والفحش في الشعر ما جعلها تذهب في تعبيراتها مذاهب تنال من عفّة قائلتها ، وبخاصّة وَلَعها بذكْر عورات الرّجال في شعرها ، وهي لا تتورّع عن النيل من ولّادة مستغلّة طبيعة الاسم ، فمعنى لفظ « ولّادة » الكثيرة الإنجاب ، ولكنّ الأميرة ولّادة لم تتزوّج في حياتها ، وماتت بعد الثمانين من عمرها عذراء ، غير أنّ مهجة ، السليطة الشعر البذيئة اللسان ، تهجو ولّادة مستوحية معاني الهجاء من معنى الاسم ، فتقول :

ولّادَةُ، قَدْ صِرْتِ ولّادَةً ... مِنْ غَيْرِ بَعْلٍ فُضِحَ الكاتِمُ
حَكَتْ لَنا مَرْيَمَ لكنَّهُ ... نَخْلَةُ هٰذِي أ.... قائِمُ

* * *

قال أبو بكر اليكّيّ في فقيه :

أَعِدِ الوُضُوءَ إذا نَطَقْتَ بِهِ ... مُتَذَكِّراً مِنْ قَبْلِ أنْ تَنْسَى
واحْفَظْ ثِيابَكَ إنْ مَرَرْتَ بِهِ ... فَالظِّلُّ مِنْهُ يُنَجِّسُ الشَّمْسا

* * *

وقال فيه :

ثماني خِصَالٍ في الفقِيهِ وَعُرْسِهِ ... وَثِنْتَانِ والتَّحْقِيقُ في الأمْرِ شَيِّقُ
. . . وَيَكْذِبُ أحْيَاناً وَيَحْلِفُ حَانثاً ... وَيَكْفُرُ تَقْلِيداً وَيُرْشَى وَيَحْمُقُ
وَعَاشِرَةُ الذَّنْبِ فيهِ لأمِّهِ ... إذا ذُكِرَتْ لم يَبْقَ للشّتْمِ مَنْطِقُ

* * *

وقال ابن حزمون في هجاء نفسه :

تأمَّلْتُ في المرآةِ وَجْهِي فَخِلْتُهُ ... كَوَجْهِ عَجُوزٍ قَدْ أشَارَتْ إلى اللَّهْوِ

إذَا شِئْتَ أنْ تَهْجُو تَأَمَّلْ خَلِيقَتِي فإنّ بها ما قَدْ أرَدْتَ مِنَ الهَجْوِ
فَلَوْ كُنْتُ مِمَّا تُنْبِتُ الأرْضُ لَمْ أكُنْ مِنَ الرائِقِ البَاهِي وَلاَ الطيِّبِ الحُلْوِ

الهجاء في العصر الحديث

خَفَتَ صوتُ الهجاء كثيراً في العصر الحديث ، وذلك نظراً لما فيه من هتك للحرمات ، وتشويه للأعراض ، وتشنيع بالناس ، وإسراف في السخرية والهزء والتهكُّم . وما عدنا نرى في هذا العصر أثراً للهجاء الشَّخصيّ أو السياسيّ أو الدينيّ . وتوجّه الشعراء شطر الغزل ، والرّثاء ، والوصف ، والوطنيّات ، وغير ذلك من ألوان الأدب الغنائيّ .

لكنَّ الهجاء لم تنطفء جذوته ، وإن خَبَتْ ، واتّجه ناحية الهجاء الاجتماعيّ ، وأصبح موجَّهاً نحو العادات البالية ، والتقاليد العفنة ، والحكّام الجائرين ، وأعمال الحكومة الفاسِدة ، وأصبح ، في غالبه ، نوعاً من الدّعابة ، والفكاهة ، والتظرّف : يسخر ولا يجرح ، يُضحِك ولا يُؤلِم ، ينتقد ولا يُشوِّه . وفيما يلي بعض النماذج التي اخترناها .

أسعد رستم

هو أسعد بن ميخائيل رستم ، شاعر لبناني فكاهي ؛ ولد في بعلبك سنة ١٢٨٧ هـ/ ١٨٧٠ م ؛ تلقّن دروسه الابتدائية فيها ، ثم هاجر إلى الولايات المتّحدة ، واستقرّ بمدينة نيويورك . وكان إلى جانب تجارته بالسجّاد ، يلقي الخطب في كنائسها ؛ وكان مولعاً بحفظ الشعر ، فنمت عنده قدرة على قرضه بأسلوب فكاهي ظريف ، فنشرت الصحف معظم قصائده . وإبّان زيارته لبنان سنة ١٩٠٤ م مرّ بمصر حيث التقى بسليم سركيس ، الصحافي النابغ ، وصاحب النكتة الظريفة ، فقدّمه إلى إسماعيل صبري ، وأحمد شوقي ، وخليل مطران ، وحافظ إبراهيم ، ولقبه السيّد رشيد رضا بـ « شاعر الشعب » . توفي سنة ١٣٨٩ هـ/ ١٩٦٩ م .

يمتاز شعره برقّة أسلوبه وبلاغته وقربه من اللغة العاميّة مع المحافظة على اللغة الفصحى كما جاء في مجلّة « الهلال » .

قال أسعد رستم في رجل اعتذر عن ردّ الزيارة :

لَقَدْ زُرْتُ عَمْراً فَمَا زارني ... وَلَا عَجَبٌ إنْ قَبِلْتُ آعْتِذَارَهْ
فإنّ الحِمَارَ بإسْطَبْلِهِ ... يُزَارُ وَلَيْس يَرُدُّ الزِّيَارَهْ

* * *

وقال في صاحبٍ كتب يستشير في كيف يدير مراس صديقٍ له متعجرف :

يا مَنْ بُلِيتَ بِصَاحِبٍ مُتَعَجْرِفٍ ... وَوَجَدْتَ صَعْباً أن تُدِيرَ مِرَاسَهُ[1]
إنْ كَانَ أقْوَى مِنْكَ فآحْذَرْ بَطْشَهُ ... أو كُنْتَ أقْوَى مِنْهُ فَآكْسِرْ رَأْسَهُ

* * *

(١) المراس : القوّة والشدّة .

وقال في محامٍ تصوّر واضعاً يده في جيبه :

أخَـذَ الـمحـامي رَسْمَـهُ وَبِـجَيْبِـهِ يَـدُهُ وَذٰلِـكَ لَـيْسَ مِـنْ مَـبْـداهُ
وَلَكَـانَ ذاك الـرسم أصْـدَقَ مَـنْـظَراً لَـوْ صُـوِّرَتْ يَـدُهُ بِـجَيْـبِ سِـوَاهُ

* * *

وقال يهجو مدّعيّاً :

وَمُـفْـتَـخِـرٍ قَـالَ : إنّ الـصَّـحَـافـي الـفـلاني بِـنَـشْـرِيَ لـم يَـلْقَ غَـلْطَهْ
فـأعْـطَى رِيَـالاً عـلى كُـلِّ وَجْـهٍ لِـشَيْءٍ مِـنَ النَّـشْـرِ أحْكَـمْتُ ضَـبْـطَهْ
فَـقُلْتُ: وَلَـوْ كُـنْتُ ذَاكَ الـصَّحـافـي دَفَـعْتُ عـلى الـوجـه كَـفّـاً وَلَـبْـطَهْ

* * *

وقال يهجو ثقيلاً :

سَـأَلْـتُ الإلٰـه تـعـالَـى أرَبِّـي أرَاكَ حَـزِيـنَ الـفُـؤَادِ لِـمَـاذا؟
أجَـابَ مـشيـراً إلـى آبْـنِ فُـلانٍ لأنّـي خَـلَقْـتُ عـلى الأرْضِ هٰـذا!!

* * *

وقال يهجو رجلاً دنيئاً :

أُرَانِـي بـالـتَّـقَـمُّصِ ذا آعْـتِـقَـادٍ أُصَـدِّقُ مـا بِـهِ مِـنْ كُـلِّ قَـلْبِـي
وأعْـلَمُ عـن يَـقِـيـنٍ أنّ هٰـذا قَـدِ آنْـتَـقَـلَتْ إلـيـهِ رُوحُ كَـلْبِ

* * *

وقال يهجو رجلاً يدعى سليمان :

سَمُّـوكَ بِـآسْمِ سُلَيْمَـانٍ وقـد صَـدَقـوا فَـلَيْسَ بَيْـنَكُـمـا فَـرْقٌ بِـذَا الصَّـدَدِ
فَـذَاكَ وَدَّ نِـسَـاءً مـا لـهـا عَـدَدٌ وأنْـتَ وَدَّكَ شُـبَّـانٌ بـلا عَـدَدِ

* * *

وقال يهجو بوس اللّحى :

إلَـيْكُـمْ مَـعْـشَـرَ الـقُـرَّاءِ مِـنْ قِـبَـلِي مَـنْظُومَـةٌ تَحْتَـوِي شَـرْحـاً عن القُبَـلِ

وَرُبَّمَا كُنْتُ فيما قُلْتُ مُنْتَقِداً ... عَادَاتِكُمْ فَاسْمَعُوا قَوْلي بلا زَعَلِ
إنْ كُنْتُ أقْصِدُ فيهِ غَيْرَ خيرِكُمْ ... سُبُّوا لِيَ الدِّيكَ أزْوَاجاً بِلاَ مَلَلِ
بَوْسُ اللِّحَى عَادَةٌ في الشَّرْقِ دَارِجَةٌ ... وَقَدْ وَرِثْنَاهُ عَنْ أسْلاَفِنَا الأُوَلِ
عَادَاتُنَا بَعْضُهَا في الشَّرْقِ مُحْتَمَلٌ ... وَالبَعْضُ مِنْهَا ثَقِيلٌ غَيْرُ مُحْتَمَلِ
بَوْسُ اللِّحَى يا رِجَالَ الشَّرْقِ يُخْفِضُكُمْ ... قَدْراً وَيُضْحِكُ مِنْكُمْ أكْثَرَ المِلَلِ
وَمَا اكْتَفَيْتُمْ بِهِ حتّى بِدُونِ حَيا ... أنْشَأْتُمُ مَعْرِضاً مِنهُ عَلَى السُّبُلِ
ما أثْقَلَ اثْنَيْنِ في تَقْبِيلِ بَعْضِهِمَا ... كَأَنَّما جَبَلٌ يَهْوِي عَلَى جَبَلِ!!
حَتَّى الزُّنُوجُ إذا ما حَدَّقُوا بِهِمَا ... تَحْمَرُّ أوْجُهُهُمْ مِنْ شِدَّةِ الخَجَلِ
بَوْسُ اللِّحَى عَادَةٌ لَيْسَتْ بِلاَئِقَةٍ ... نَاهيكَ ما نَشَرَتْ فِينَا مِنَ العِلَلِ
لا سِيَّما إنْ يَكُنْ مَنْ بُسْتَ مُفْتَرِساً ... حُصّاً مِنَ الثُّومِ أوْ رَأْساً مِنَ البَصَلِ
تَفُوحُ رَائِحَةٌ مِنْ فَرْطِ قُوَّتِهَا ... يَشُمُّهَا النَّاسُ في المرّيخِ أو زُحَلِ
بَوْسُ اللِّحَى يا رِجَالَ الشَّرْقِ بَيْنَكُمُ ... أمْرٌ ثَقِيلٌ عَلَى الأسْمَاعِ وَالمُقَلِ
أضَعْتُمُ بَيْنَكُمْ مِنْهُ الكَثِيرَ فَمَا ... أبْقَيْتُمُ لِذَوَاتِ الأعْيُنِ النُّجُلِ
وَحَبَّذَا قُبْلَةٌ مِنْ ثَغْرِ غَانِيَةٍ ... عَلَى القُلُوبِ نَظِيرَ السَّمْنِ والعَسَلِ
قَدْ أهْمَلَ الرَّجُلُ الأنْثَى لِذَاكَ فَلا ... تُلاَمُ إنْ رَفَعَتْ دَعْوَى عَلَى الرَّجُلِ

* * *

وقال في صاحب أنف طويل :

نَوَى بَعْضُ الأجَانِبِ مَدَّ جِسْرٍ ... يُقِلُّ العَالَمِينَ إلى بَعِيدِ
فَيَبْلُغُ طُولُهُ مِيلاً وَنِصْفاً ... وَتَدْعَمُهُ قَوَائِمُ مِنْ حَدِيدِ
بِنَاهُ يَقْتَضِي وَقْتاً طَوِيلاً ... وَمَالاً مَا عَلَيْهِ مِنْ مَزِيدِ
وهٰذا الجِسْرُ لَمْ أرَ مِنْ لُزُومٍ ... لَه مَا دَامَ أنْفُكَ في الوُجُودِ

* * *

وقال في رسم قبيح :

قَدْ قالَ مِنْ بَعْدِ طُولِ البَحْثِ دَرْوِينُ ... بأنَّ أجْدَادَنَا قِدْماً سَعَادِينُ

وَلَوْ رَأَى وَجْهَ هذا الرَّسْمِ كَانَ لَهُ مِنْهُ لِتَأْيِيدِ دَعْوَاهُ بَرَاهِينُ

* * *

وقال في صلعة « مبصبصة » :

لِصَدِيقِنَا في رَأْسِهِ صَحْرَاءُ جَفَّتْ فَلاَ عُشْبٌ بِها أَوْ مَاءُ
وَكَأَنَّهَا المَيْدَانُ مِنْ بَعْدِ الوَغَى فَنِي الجَمِيعُ فَما بِهِ أَحْيَاءُ
كَصَحِيفَةِ البِلَّوْرِ يَلْمَعُ سَطْحُهَا وَلَهَا بَيَاضٌ نَاصِعٌ وَضِيَاءُ
في اللَّيْلِ لا يَحْتَاجُ قِنديلاً فَمِنْ إِشْرَاقِها تَتَبَدَّدُ الظَّلْمَاءُ
وَلَقَدْ سَمِعْنَاهُ يَقُولُ وَدَمْعُهُ يَجْرِي فَيَعْمِي مُقْلَتَيْهِ بُكَاءُ:
«كَمْ مِنْ دَوَا لِلشَّعْرِ قَدْ جَرَّبْتُهُ يَوْماً فَرَاحَ سُدًى وَظَلَّ الدَّاءُ
يا حَسْرَتي ذَهَبَ الشَّبَابُ وَكَانَ لي فِيهِ مآثِرُ جَمَّةٌ غَرَّاءُ
أَسَفَاهُ ما لي في الحَيَاةِ مَطَامِعٌ فَأَنَا وَسُكَّانُ القُبُورِ سَوَاءُ»
قُلْنَا لَهُ: «مَهْلاً لِمَ هذا البُكَا فَاسْمَعْ ففي هذا الكَلامِ عَزَاءُ
إِنْ زَالَ شَعْرُكَ وَابْتُلِيتَ بِصَلْعَةٍ فَلأَنَّ فيك نَبَاهَةٌ وَذَكَاءُ»
فَأَجَابَ: لا شَرَفاً أُرِيدُ وَلاَ عُلا هَلاَّ لَدَيْكُمْ لِلشُّعُورِ دَوَاءُ؟
قُلْنَا: نَعَمْ، زِبلٌ يُرَشُّ فإِنَّمَا بالزِّبْلِ تَحْيَا الرَّوْضَةُ الغَنَّاءُ!

* * *

وقال يهجو نحوياً يتباهى بمعرفته :

يا أَيُّها الرَّجُلُ المُبَاهِي غَيْرَهُ عِلْماً وَبَعْضُ العِلْمِ لَيْسَ يَجُوزُ
في النَّحْوِ أَشْيَاءُ تَجُوزُ وإِنَّما «أَكَلُ الهَوا» في النَّحْوِ لَيْسَ يَجُوزُ

* * *

وقال في قسّ نهى أولاداً عن تعذيب كلب :

مَشَى أَحَدُ القُسُوسِ عَلَى طَرِيقٍ فَصَادَفَ بَعْضَ صِبْيَانِ الأَزِقَّهْ
وَأَبْصَرَ بَيْنَهُمْ كَلْباً نَحِيلاً صَغِيراً لَيْسَ يَبْلُغُ نِصْفَ أَقَّهْ

وَكَانَ الكَلْبُ يَنْبَحُ بِاضْطِرَابٍ ... يُقَاسِي مِن قَسَاوَتِهِمْ مَشَقَّهْ
فَجاءَ القِسُّ يَسْأَلُهُمْ بِلُطْفٍ ... لِمَ حَجَزُوه لا يَبْغُونَ عُتْقَهْ
أَجَابُوا إنّ هذا الكَلْبَ يُعْطَى ... لِمَنْ يُبْدِي بِفَنِّ الكِذْبِ حِذْقَهْ
فَقَالَ القِسُّ لَمَّا كُنْتُ يَوْماً ... غُلَاماً كُنْتُ مَوْصُوفاً بِرِقَّهْ
وَلَمْ أَكُ مِثْلَكُمْ قَذِراً وَثَوْبي ... نَظِيفٌ فاقَ إتْقَاناً وَدِقَّهْ
وَلَمْ أَنْطِقْ بِكِذْبٍ في حَيَاتي ... وَحَتَّى الآنَ لَسْتُ أُطِيقُ نُطْقَهْ
فَصَاحَ الكُلُّ مِنْهُمْ عِنْدَ هٰذا ... هَبُوهُ الكَلْبَ فالقِسُّ اسْتَحَقَّهْ

وقال أيضاً :

طعامي كَانَ قَبْلاً لَحْمَ عِجْلٍ ... فَصَارَ اليَوْمَ مِنْ خُبْزٍ وَفِجْلِ
فَقَالُوا لي : لماذا؟ قُلْتُ : إنّي ... على قَدْرِ البِسَاطِ أمُدُّ رِجلي

وقال أيضاً :

تَحْتَ نَهْرِ المَدِينَتَيْنِ أقَامُوا ... نَفَقاً لِلْمَسِيرِ فَاعْجَبْ لِذَاكا
بَعْضُنا يَخْرُجُونَ مِنْهُ وَلٰكِنْ ... يَسْتَحِقُّونَ أنْ يَظَلُّوا هُنَاكا

وقال أيضاً :

وَجَاهِلٍ إذا دُعِي مَرَّةً ... إلَى طَعَامٍ عِنْدَ أصْحَابِه
لَحَدَّثَتْهُ النَّفْسُ جَهْلاً بِأنْ ... يُخَبِّىء الكُوسَا بِأثْوَابِه

* * *

كان عند الأرمني بُدران آغا كلبة ولها جروان ، فطلب من الشاعر أسعد رستم تقريظاً ارتجالياً للكلبة مشترطاً النكتة ولو جرحت ، فقال :

عِنْدَ الصَّدِيقِ رَأَيْتُ يَوْماً كَلْبَةً ... حَسْنَاءَ فِي أحْضَانِهَا جَرْوانِ
قَالَ الصَّدِيقُ إذا قَدِرْتَ فَصِفْهُمَا ... شِعْراً، فَقُلْتُ لَه: هُمَا بدران!

* * *

جورج جرداق والأخوان رحباني

جورج جرداق ، أديب وشاعر ورسام ، ولد في جديدة مرجعيون (لبنان الجنوبي) سنة ١٩٣١ . يكتب في صحف كبرى لبنانيّة، وسوريّة، ومصريّة؛ وله مؤلفات عدّة منها : الموسوعة العلوية وتتألف من ستة مجلّدات من القطع الكبير . صلاح الدين وريكادوس قلب الأسد ؛ قصور وألواح ؛ شاعر وجارية في قصور بغداد ؛ نجوم الظهر ؛ حديث الغواني ؛ حديث الملاهي الخ . . .

ويمتاز هجاؤه بسخريّة نادرة ، وقدرة على خلق الصُّور الكاريكاتوريّة قلّ نظيرها ، لا تكاد أنظاره تقع على الشيء حتى تتدفّق عليه ألوان من الصور الفكهة والأخيلة الساخرة التي تسعفه بها البديهة . اعتُبر بحقّ « جاحظ القرن العشرين » . و « أبا نواسه » كانت له « مهاجاة » طريفة مع عاصي الرحباني، أو الأخوين رحباني ، جاءت على سبيل المداعبة والتندّر والمفاكهة ، فهم زملاء متحابّون .

والأخوان رحباني هما الشاعران والموسيقيّان المبرّزان ، عاصي (١٩٢٣ - ١٩٨٦) ، ومنصور (١٩٢٥) ، وهما اللذان أغنيا الموسيقى والفنّ بما وضعا من ألحان أخّاذة ومسرحيّات رائعة منها : « جبال الصوان » ، و « موسم العزّ » .

قال جرداق يهجو لجنة المهرجان ، ومسرحية « جبال الصوان » للأخوين رحباني ، والأخوين رحباني والعاملين معهما في هذه المسرحية ، مستثنياً إحدى فتيات الفرقة مستنجداً بعزّ الدين صبح ، مخاطباً نجيب حنكش وأنفه الطويل :

أيا نجيبَ الزمانِ وفارسَ الميدانِ
خرطومكَ الشّهمُ رمحٌ مجهّزة للطِّعانِ
فاضربْ به حَيْزَبُوناً مِن لَجْنةِ المِهْرَجانِ
في وَجْهِها تأديبٌ لعاشقِ النسوانِ
كأنّها قرقدانٌ يجرُّ ذيلَ حصانِ
أو قريةٌ ساكِنُوها قد هَاجروا من زمانِ

أو موسمٌ أَكَلَتْهُ النمالُ في نيسانِ
أو سهرةٌ للمعالي في رَبْوةِ الصَّوَّانِ[1]
في حفلةٍ مَن رآها استعاذَ بالشيطانِ
فشخّصُوها رجالٌ من عينةِ الصيصانِ
وتحتَ أنفِ الصّبايا شواربُ الفرسانِ
ينامُ منصورٌ فيها كنَوْمة الفدّانِ
على شتائمِ عاصي أَرومةُ السّنديانِ
فيا خسارةَ صبري وكاملِ التلْمساني[2]
بالدبّ يغفُو ويصحُو بجانبِ السعدانِ
بالحوت ينظّم شعراً لِثعلبِ الألحانِ
فحيثُ كانا تراءتْ حديقةُ الحيوانِ
يا لعنةَ اللّه صُبّي عليهِما بلساني
على المنافِق نصري أفّاكِ هذا الزمانِ[3]
على بطولات طوني الكرباج ، والحسواني[4]
ضيعان فيروز فيهم حتماً ويا ضيعاني
ويا لَخسفةِ سبعِ الد يار شيخ الأغاني[5]
من عاشَ سبعاً بغابِ وبات جحشاً بخانِ
ويا خسارةَ رقصٍ كرقصِ حُوْرِ الجنانِ

---

(١) جبال الصوان : أشهر مغنّاة للأخوين رحباني ، وقد سمّاها الشاعر هنا « ربوة الصوان » انسجاماً مع جوّ الهجاء الدعابي .
(٢) صبري الشريف : مدير فرقة الرحباني . والتلمساني : المستشار المسرحي فيها .
(٣) نصري : المطرب الكبير نصري شمس الدين .
(٤) طوني كرباج والحسواني : ممثلان رئيسيان في مسرحية « جبال الصوان » .
(٥) سبع الديار وشيخ الأغاني : الملحن الكبير والكوميدي المعروف فيلمون وهبي ، وكان من أبطال « جبال الصوان » .

ولـزنيـةٍ كـلُّ لـحـنٍ فـي سـاقِـهـا لـحـنـانِ
يـا عـزُّ يـا صـبـح أدْرِكْ وجـاهـةَ الـنـسـوانِ[1]
بـطلعـةٍ مَـن رآهـا بـكـى لـحـالِ الـزمـانِ

بعد ذلك نشر عاصي الرحباني قصيدة يهدّد فيها جرداق بالهجاء، فَرَدّ عليه جرداق بقصيدة يقول في بعض مقاطعها التي يروي فيها سيرة جدّه آمرىء القيس، يوم سبى جدّات عاصي في دارة جلجل :

أتُـهَـدِّدُونِي بـالـهِـجَـاءِ وإنَّـكُـمْ بـالـشِّـعْـرِ تَـنْـحَـدِرُونَ مِـنْ قَـحْـطَانِ
إنْ كُـنْـتُـمُ مِـنْ آلِ غَـسَّـانَ فَـقَـدْ سَـلَـحَـتْ دَجـاجـاتـي عَـلَى غَـسَّـانِ
جَـدِّي العَـظِيمُ هـو آمْـرُؤُ القَيْسِ الـذي شَـرِبَ الـرَّحِيقَ على هَـوَى النِّسْـوَانِ
جَـدِّي سَبَى جَـدَّاتِكُمْ فـي جُلْجُـلٍ وَغَـزا بِـهِـنَّ مَـزَارِعَ الـرُّمَّـانِ
وَأَجَـالَ بَـيْنَ صُـفُـوفِهِـنَّ حِـصَـانَـهُ يَـخْـتَـالُ بَـيْـنَ فَـواتِـنٍ وَغَـوانِـي
وَعَـلَى جَـوَانِبِـهِ وفـي أحْـضَـانِـهِ مِـنْهُـنَّ ـ يَـا يَـوْمَ الـهَـوَى ـ أكْـفَـانِ
زَقْـزَقْـنَ ثُـمَّ سَـبَحْـنَ تَحْتَ عُـيُـونِـهِ في البِـرْكَـةِ الكُبْـرَى بـلا سُـوتِيَـانِ
سَلْها... فجدّتُكم على جـدّي ارتمتْ عـريـانـةً تـصبُـو إلـى عـريـانِ
سكـرانـةً أعـطافُـهـا، مـشـتـاقـةً لـعـنـاقِ مـفـتـونٍ بـهـا سكـرانِ
غـيـداءُ قَـوْلَـبَـهـا الـهـوى وأبـى ولـهَ الـغـرام لـشـاعـرٍ ولـهـانِ
وعـلى مـشـيـقِ قـوامِـهـا فـي كـفّـهِ يـتـكـوّرُ الـنـهـدانِ والـرَّدفـانِ
ولـهـا شـقـيـقـاتٌ يَـدُرْنَ عـواريـاً مِـن حـولـهِ ويَـمِـلْـنَ كـالـغـزلانِ
وتُـطلُّ مـن نـظراتـهـنّ إلـيـه أشـ ـواقُ الـغـوانـي لـلـحـبـيـبِ الـغـانـي
يَـجـريـنَ ثـم يَـسِـلْـنَ بـيـن يـديـهِ أمـواجـاً مـن الأضـواءِ والألـوانِ
والشـاعـرُ العِشّيقُ يفـتـكُ مـاجـنـاً فَتْـكَ المغيـرِ على بني الـرحبـانـي
إنْ كنتَ يـا عـاصِي أخـا المنصـورِ في هجوي أنا... فـاثبتْ لهـجـوٍ بـانِ

(١) عز الدين صبح : مدير البرامج في التلفزيون . والنسوان : لجنة المهرجانات التي داعبها الشاعر مراراً .

إنْ كنتَ صُـوّاناً فكم شَهِـدَ الـورى تـحت الـحـديـد تَـفَـتُّـتَ الـصـوّانِ
مـا حيلةُ الفـدّانِ بـالصخـرِ الـذي بَـرِيَـتْ عـليـهِ مـشـافـرُ الـفـدّانُ

وردّ عاصي الرحباني على جورج جرداق ، فقال :

أدَجـاجَـةَ الأحْـلَامِ قـاقـي قـاقـي بِيضِي عَلَى جِـرْجِي بَـني جِـرْدَاقِ
بيضي ، آنْقِدِيهِ، جَرْجِرِي جِرْجِي إلَى قُـنّ الـغَـرَامِ ومَـسْـرحِ الـعُـشّـاقِ
قَـدْ قَـامَ يَهْجُـونَـا بِبَعْضِ قَـصِيـدَةٍ مِـنْ نَـظْمِ زرْزُورٍ وَنَـغْـمَـةِ قَـاقِ
شَـرْشُـوحَـةِ الأبْيَـاتِ لَمَّ كَـلَامَهَـا مِـنْ ألْـفِ زَارُوبٍ وَألْـفِ زِقـاقِ
يـا جُورجُ كَيْفَ هَجَوْتَ فُرْسَانَ السِّكَا أهْـلَ الـغِـنَـاءِ وقـبـلة الأذْوَاقِ[1]
يـا عـودُ دنـدلْـه على وتَـر النّـوى وادفـعْـه لـلطبّـال والـرقّـاقِ
كـي يضـربُـوهُ عـلى الغُـمـوم ثقيلةً ضـربـاً سماعيّـاً عـلى أقصـاقِ[2]
واسفقْـه يا كـربـاج[3] بـاسمـك سَفقةً حـتـى يـغـنّـي: لـيـت لـلـبـرّاقِ
وَجَـعَلْتَ عَـاصِي ثَعْلَبـاً يـا طِيبَـهُ مِـنْ ثَـعْـلَبٍ يَـمْـشِي عـلى الأحْـدَاقِ
يـا أهْـلَ مِـصْـرٍ إنْ أتـاكُـمْ زَائـراً يَـحْكِي على الأشْـعَـارِ في الأسْـوَاقِ
دُورُوا بِجِـرجِي فَـوْقَ جَحْشٍ أعْـرَجٍ مِنْ شَـارعِ المُـوسْكِي إلَـى بُـولاَقِ

وردّ جرداق على ردّ عاصي الرحباني ، فقال :

إنّـي حَلَفْـتُ بِـمُـهْـرَتِي وَحِـصَـانِي وَمُـهَـنَّـدِي وَشَـوَارِب الـنِّـسْـوَانِ
بـإذاعـةٍ تـلفـانـةٍ خـرفـانـةٍ وبـكـلِّ مـا فـيـهـا مـن الألـحـانِ
بـوزارةِ الأنـبـاء لـيـلةَ عـرسِـهـا وبـرأس ذيـلِ حـكـومـةِ الـوزّانِ
وبـطلعـةِ الـنـوّاب وهـي بـهـيّـةٌ شـعـبـيـةٌ مـحـبـوبـةُ الأذقـانِ
وبـكـلِّ دكّـانٍ يـبـيـعُ سـيـاسـةً وطـنـيّـةً وبـصـاحـبِ الـدكّـانِ
بـزعـامـةٍ طـنّـانـةٍ يـسـعـى لـهـا حـامي الحـمى ومـهـرّبُ الـدخّـانِ

---

(١) السكا والنوى في البيت التالي ، من الأنغام .
(٢) الضموم ، جمع ضمّ ، وهو نقرة الطلبة القوية . أقصاق : إيقاع معروف .
(٣) كرباج : الممثل أنطوان كرباج .

وبكلِّ ردّاحٍ وكلِّ مهرّجٍ ... يحكي عن الأمجاد في لبنانِ
وبمسرح «الرفض» الأبيّ وما حَوَى ... من نخوةِ الغلمان والخصيانِ
إنْ حاوروا أو داوروا ورآهُمُ ... ملكُ الخنافسِ قال: يا سبحاني
بمشخّصين إذا رأيتَ شخوصَهم ... أدركتَ بؤسَ مصاير الإنسانِ
بدكاترِ الأدبِ الذين تمنطقوا ... بشهادةٍ نُسِختْ عن الكوشانِ[1]
فكأنّ واحدَهم بمملكةِ النُّهى ... آغا الحريمِ بموكبِ السلطانِ
بالمعلنينَ على جلالةِ قدرِهم ... بالشاشة الصغرى، وبالإعلانِ
بالمطربينَ الصاعدينَ وليلُنا ... بزعيقِهم ونهيقِهم ليلانِ
إني سأبطحُ بالفلاةِ عصابةً ... مشهورةً بعصابة الرحباني
في رأسها عاصي الذي في رأسِه ... قبّوعةٌ كمداس بنت الجانِ
منسوجةٌ كانت على خصرٍ على ... ساقٍ على ردفٍ عزيز الشانِ
أغراه شيطانُ الهجاءِ بوقعةٍ ... ملعونةٍ لما انبرى وهجاني
بقصيدةٍ مخلوعةٍ لا وحيُها ... وحيي ولا ميزانُها ميزاني
لغةٍ بلا معنى ولا مبنى ولا ... بيتٍ ولا أهلٍ ولا جيرانِ
أمَةٍ سَبَاها ثم جنّدَها لكي ... يغزو بها كسرى أنوشروانِ
نقناقةٍ وقواقةٍ سرّاقةٍ ... هيَ والذي أدلى بها سيّانِ
هي نظرةُ الغافي ورعشةُ صوتهِ ... ولها أمامي وِقفةُ الدوخانِ
وكأنّها، واللّهِ، عطسةُ عنزةٍ ... تصطكُّ من جوعٍ ومن حِرمانِ
وكأنّها من بؤسِها تشكو له ... جربانةٌ تشكو إلى جربانِ
لو كان في ديوانِ شعري مِثلُها ... لَحَرَقْتُ، إسقاطاً لها، ديواني
وَجَعَلْتَني في القومِ قوماً كاملاً ... وأنا كذاك وأنتما ثورانِ[2]

---

(١) الكوشان ، في لبنان : جواز مرور من قرية إلى قرية للدوابّ .

(٢) إشارة إلى قول عاصي في قصيدة سابقة « جرجي بني جرداق » ، وكلمة « بني » تقال للقوم لا للفرد .

إنْ كنتَ ترجو بالهجاءِ وسيفهِ نصراً عليّ مفضّضَ الأردانِ
فاطلبْ إليّ معونةً في ساعةٍ أهجو بها نفسي أنا بلساني

وردّاً على قول عاصي مخاطباً أهل مصر :

يا أهلَ مصرٍ إنْ أتاكم زائراً يحكي عن الأشعارِ في الأسواقِ
دورُوا بجرجِي فوقَ جحشٍ أعرجٍ من شارعِ الموسكِي إلى بولاقِ

أجاب جرداق :

وأَنَا إذَا ما جِئتُ مِصراً زائِراً أحكِي عن الأَشعَارِ والألحانِ
فِي البيتِ أو فِي السُّوقِ أو فِي الحانِ للرّاجلِ الصَّاحِي أو السّكرانِ
رَشُّوا عليَّ مِنَ العُطورِ قنانِي وعليْكَ صَبُّوا لعنةَ الشَّيطانِ

* * *

وقال عاصي يهجوه متعرّضاً لفيلمون وهبي الذي أعلن ولاءه لجرداق :

يا قاصداً أرضَ النهيقِ مُيَمِّماً شطرَ المضاربِ مِن رُبى البدوانِ
بلّغْ بنِي الجرداق أنَّ خِيامَهُم طارتْ وراءَ جوانِح العِقْبانِ
تعبتْ قصيدتُكم بهمِّ بيوتِها فبيوتُها غُرَفٌ بلا جدرانِ
مَن ساحبٌ ذيْلَ الثعالبِ خِلْسَةً مُتلصّصاً يمشي معَ الحيطانِ
يَرْنُو إلى سِيقانهنّ ، ومِنْ هوًى أُذناهُ طالعتانِ نازلتانِ
يا كُشْكُشَ الأدبِ الرَّفِيعِ وكَشْكَشاً شكّوه بين كشاكشِ الفستانِ
في نثرِهِ اللاهِي وفي أشعارِهِ ما رقّص السعدانَ للسعدانِ
يا ألعبانَ الشعر يا نسناسَهُ يومَ المجالُ يضجُّ بالفرسانِ
أفرحتَ أنْ فيلمون جاءك هاتفاً: سَأَكُونُ جاسُوساً على الإخوان؟
باللَّهِ مَنْ فيلمون ؟ مَن أمثالُه من هُبْلِ «باشبُزْقيةِ» الألحانِ؟
إننا شَككناهُم بِذيلِ حصانِنا ولقد كَشَشْناهُم مَعَ الذِّبانِ
أبطالُ عُصْبتنا إذا دَارَتْ وَغىً أهلُ النِّزالِ وصَفْوةُ الجدعانِ

نصري، وما أدْراكَ، غولُ شوارِبٍ ... منصوبةٍ كبيارِق القرصانِ
والتّلمساني رابضٌ وبقربهِ ... شاويشُ مجدٍ من بني الحسواني
والراقصاتُ إذا الفساتين التقتْ ... لَفَّتْكَ بين مفاتِنَ السيقانِ
أفهمتَ يا جرجي الذي مِن جهلهِ ... لِهَوى الغوانِي أجَّرَ الفوقاني
يا طلطميسَ الفكرِ سلّمْ قبلَما ... تَهوي عليك شباشبُ النّسوانِ
فتعالَ «قَوْقِزْ» واطلبِ الصفحَ الذي ... تهْفُو إليهِ مشاعرُ الصبيانِ
أوْ لا، فأنتَ وكلّ شعرٍ قلتَهُ ... في فتنةِ النسوان فركوحانِ

* * *

فَرَدَّ عليه جرداق بقصيدة منها :

قَصِّرْ لِسَانَكَ حَيْثُ طَالَ لِسَانِي ... وَٱلْجُمْ بَيَانَكَ حَيْثُ طَافَ بَيَانِي
وَٱتْرُكْ سِلاَحَكَ إنَّهُ غَدَّارَةٌ ... تَلْفَانَةٌ في مَقْبَضٍ تَلْفَانِ
وَٱلْعَبْ بِشِعْرِكَ مِثلَ غَيْرِكَ عِنْدَمَا ... يَلْهُو بِهِ في غَيْبَةِ النِّسْوَانِ
شِعْرِي بَسَاتِينُ الرَّبِيعِ وَشِعْرُكُمْ ... شَجَرٌ بِلا وَرَقٍ وَلاَ أغْصَانِ
وَخَيَالُكُمْ حَقْلٌ غَزَتْهُ جَرَادَةٌ ... وَأَنَا خَيَالي الحَقْلُ في نِيسانِ
لَمَّا هَجَوْتُكُمُ فَكَشْتُ رِقابَكُمْ ... وَهِجَاؤُكُمْ لي زَادَ مِنْ سُلْطَاني
وهِنتْ قِواكم عِندَما قابلتُكم ... وَنَزا عَلى شيطانِكم شيطاني
أأنا وَشِعْرِي يا حَرَامي الشِّعْرِ يا ... قَوَّالُ يا زَجَّالُ فَرْكُوحَانِ
يا حَامِلَ الطُّنْبُورِ والزَّمُّورِ يا ... بُزْقَ العَوَالِمِ يا قَلِيلَ الشَّانِ
يا ضَجَّةَ الطَّاحُونِ وَالطَّحَّانِ ... يا بَطَّةً تَمْشِي بلا سِيقَانِ
يا آبْنَ التي أوْصَتْ عَلَيْكَ وَفِكْرُهَا ... مُتَوجِّمٌ سَلَفاً على السَّعْدَانِ
يا شامطَ الأشعارِ والألحان مِن ... زَجَلِ الرُّعاةِ ومسرحِ القطعانِ
فجديدُ شِعرِكَ من قديمِ فلانةٍ ... وجديدُ لحنِكَ مِن قديم فُلانِ
أتعيبُني بالليلِ أسهرُ طولَهُ ... متوجِّعاً مَعْ نجمِهِ السهرانِ؟
إني عشقتُ الليلَ أرحلُ عِبْرَهُ ... لجزائرِ الأحلامِ والنّسيانِ

أَحيا به وحدي وأَهجُر موطني ... يا غربتي في هذه الأوطانِ
وأتوبُ بين ودادهِ وحناني ... وأذوبُ بين رمادِهِ ودُخاني
فاهنأْ بنومِك كالبعير مبطَّحاً ... ومشطَّحاً يا فردةَ الفدّانِ
أوْ لا، فخذْ من أضلعي نار الهوى ... إن شئتَ، والأفراحَ من أشجاني
ولجأتَ للكذّاب نصري تبتغي ... نصراً بشاربٍ هاربٍ وجبانِ
ترجو به التعويضَ عن سَبْعٍ، فيا ... لخسارة الموزونِ والوزّانِ
فيلمون علَّقَهُ بذيل حصانهِ ... وأنا أُعلّقُكم بذيل حصاني
إنْ يلقَهُ فيلمون وَهْوَ مكشّرٌ ... فاقرأْ عليه سورة الرحمانِ
حَمَلَ الشواربَ كالفهود، وفي الوغى ... نتفتْ شواربَهُ يدُ الصبيانِ
حَلِّسْ ومَلِّسْ شاربيهِ وسَلْهما: ... هل أنتما شَنَبانِ أم ذَنَبانِ؟
هو صورةٌ عن وليمَ الحسواني ... فكِلاهما واوي بلا أسنانِ
فإذا جمعتَ التلمسانَ إليهما ... كانوا كصفرٍ جنبَهُ صِفرانِ
تلك الشباشبُ والقباقيبُ التي ... كوَّمتَها لتردَّ عنك طِعاني
ضعْها على الميزانِ لا تقبلْ بها ... إلّا إذا وزنَتْك في الميزانِ
واحملْ على كتفيكَ منها قُفّةً ... وادفعْ بها عن جانِبيكَ سِناني
وَلَكَمْ رأيْنا قبلَ عاصي هارباً ... يلطُو وراءَ شباشبَ النّسوانِ
أمّا الفساتينُ التي هيّجتَها ... ضدّي، فَتَحْتَ حريرِها عنواني
فأنا الّذي، وَبَهاك، حين رأيتُها ... أغرقتُ في جَنَباتِها أجفاني
وعشقتُ كلَّ مُهَفْهَفٍ ومُلَفْلَفٍ ... بِمزارعِ التّفاحِ والرمّانِ
وسهرتُ في همساتهِ وسكرتُ مِن ... لمساتهِ، وكفيتُه وكفاني
وتركتُ للحسفاءِ بحري هادئاً ... تجري به في زورقٍ سكرانِ
إني بطحتُك بالفلاةِ مُجَنْدَلاً ... رُحْ يا كذا . . وابعثْ أخاكَ الثاني

* * *

فردّ عليه عاصي ، دون أن يهمل التعرّض لفيلمون ، بقصيدة طويلة إليك بعضها :

يا شاتمَ البُزُقِ الرهيفِ أذاكرٌ ... أنّاتِهِ في سهرة النيسانِ
ليلَ انتشى الطنبور مِن وترٍ له ... واهتزَّ عودٌ طيّعُ الدوزانِ
وقفزتَ أنت ورحتَ ترقصُ مثلما ... يَترَقْوَصُ السعدانُ للنسوانِ
وأخذتَ ذاك الدُّفَّ ثم أدرتَهُ ... فلممتَ كلَّ دراهمِ الإخوانِ
فيلمون لا سبعٌ ولا ضبعٌ ولا ... مَن يحزنُونَ فوجهُهُ وجهانِ
فِيلمون «عامودٌ» له رِجْلانِ ... فيلمون كذّابٌ وكذّابانِ
فيلمون جارُ المقلبِ التحتاني ... فيلمون واوي الشِّعرِ والألحانِ
أتظنُّهُ يحمِيكَ مِن غضبٍ لنا ... وهُوَ الجبانُ يفوقُ كلَّ جبانِ
كل الذين يُساعدونَك أصبحوا ... نَهْبَ الصوارمِ في يدِ الرّحباني

* * *

وردّ جرداق عليه بقصيدة منها :

قُلْ للثَّعَالِبِ، تَحْتُ، في الوُدْيَانِ ... إنِّي هُنَا فَوْقَ الجِبَالِ مَكَانِي
وآنْزِلْ لِعَاصِي، قُلْ لَهُ بلساني: ... هَيِّىء قَفَاكَ لِحُزْمَةِ القُضْبَانِ
لأُرَقِّصَنَّكَ رَقْصَةَ السَّعْدانِ ... في عُرْسِ «وَضْحَا» جَوْزَةِ السُّلْطانِ
تَلْوِي وتَعْوِي ثُمّ تُقْعِي طَائِعاً ... وَيُصَفِّرُ الصِّبْيَانُ لِلصِّبْيانِ
وَيَصِيرُ ذَيْلُكَ نِصْفَكَ الفُوقَانِي ... وَيَصيرُ رَأْسُكَ نِصْفَكَ التَّحْتَانِي
وَيَراكِ مَن يَلقاكِ تخلعُ رادحاً ... فيقولُ: حقّاً إنّك الرحباني
فَآلْطِمْ على خَدَّيْكَ وَآنْتِفْ شَعْرَةَ ... في أمّ رَأسِك جَنْبها أختانِ
وَقَفتْ كَزَانِيةٍ بِفُسْحَةِ شَارِعٍ ... وَبِقُرْبِها في اللَّيْلِ بَعْضُ زَوَانِي
يا بَعْضَ رَأْسٍ فَوْقَ بَعْضِ شُوَيْعِرٍ ... في بَعْضِ عَصْرٍ في بُعَيضِ مَكَانِ
مَنْ شَامَ طَلْعَتَكَ البِهِيَّةَ مَرَّةً ... في عُمْرِهِ صَلَّى على الشَّيْطَانِ
فَآعْجَبْ لأمِّكَ بَعْدَ أن وَلَدَتْكَ ... ثُمَّ رَأَتْكَ عَيْنَاهَا وَعَيْنُ فُلاَنِ

كَيْفَ آسْتَطَاعَتْ أنْ تُوَصِّي بَعْلَهَا ... لَكَ يا عُوَيصِ على شَقِيقٍ ثانِ
هذا أخُوك زَرَبْتَهُ فَآلْحَقْ بِهِ ... لِتَرَاهُ مَرْبُوطاً بِبابِ الخانِ
وانبحْ عليهِ بنغمةِ الـ «سيكا» ... يُجِبْكَ بنهْقَةٍ مِن نغمة الـ «كردان»
أتظلُّ أرسانُ الأباعرِ فِي يدي ... وهناك بُعرانٌ بلا أرسان!

ثم يقول :

من يبتغي نصراً عليّ بشعرِهِ ... فكأنَّه يمشي بلا سيقانِ
وكأنَّهُ يرْوِي حكايةَ نملةٍ ... أكلتْ جبالَ النارِ والصوّانِ
وكأنّه يرجو صلاحَ بلادِهِ ... من زمرةِ الوجهاءِ والأعيانِ
أو يلتقِي بموظّفٍ لا يقتني ... قصراً من البلّورِ والمرجانِ
أو يهتدي لممرّلٍ قد عفّ عن ... خبزِ اليتيمِ ولُقمةِ الجوعانِ
أو يدّعي أنّ الأوائلَ حدّثوا ... حدّوثةً عن تاجِرٍ إنسانِ
أو يَحْتَمِي بزعامةٍ لم تختلسْ ... أوطانَها في خدمة الأوطانِ
أو يرتجي الإخلاصَ من نوّابِهِ ... أو يمنعُ البِرطيلُ في لبنانِ
هيغو حَبَاني جامحاتِ خيالِه ... تجْرِي فتحسبُها عزيفَ الجانِ
فزوابعٌ وزعازعٌ وعواصفٌ ... وقواصفٌ هدرتْ بكلّ مكانِ
وركبتُ منها ألفَ نسرٍ طائرٍ ... فوق الذُّرَى، وركبتُ ألفَ حصانِ
أجري بها صُعُداً وتسحبُ ذَيْلَها ... لمطارحٍ قاصٍ بهنّ الداني
فالريحُ إنْ تعصفْ فإني عاصفٌ ... فيها، وإن تسكنْ ففي أرداني
سيّانِ عند شِمالها وجنوبِها ... عزُّ الجبالِ وذلّةُ الوديانِ
أنا شعلةُ النارِ التي إنْ حاولُوا ... إخفاءَها ارتفعتْ بألفِ لِسانِ
أنا قصّةُ الأدبِ الرفيعِ تجمّعتْ ... من ألف نابغةٍ بألفِ زمانِ

* * *

من لطائف أخبار الهجاء للمداعبة ، الطرفة التالية :

دخل جورج جرداق في أحد الأيام من صيف ١٩٩٠ حفلاً أقيم لمناسبة تعليق وسام على صدر « وطنيّ غيور » حسب تعبيره ، وهناك التقى بامرأة أميركية تعمل في السياسة ولها منخر طويل ، فخلا إلى نفسه ساعة نظم فيها قصيدة وبعث بها إلى هذه المرأة بعد أن وقّعها باسم صديقه المؤلف الموسيقي توفيق الباشا إمعاناً منه في اللهو والعبث ، ومن هذه القصيدة الأبيات التالية :

أنفُكِ يا هذهِ أم خرطومُ ... أم مركبٌ في رأسِهِ حيزومُ
أم جبلٌ يشمخُ ، أم علجومُ ... أم طائرٌ على الرُّبىٰ يحومُ
أم مطربٌ مقنفشٌ مزكومُ ... يرومُ أنْ يَعْوي ولا يرومُ
أم أنه محاربٌ قديمُ ... يقعدُ مرتاحاً ولا يقومُ
أم نائبٌ يخطبُ ، أم زعيمُ ، ... سبحانَ مَن أبدعَهُ ، مهضومُ
أم زاهدٌ مستنكفٌ حكيمُ ... في قريةٍ مهجورةٍ يقيمُ
أم قلعةٌ يلزمُها ترميمُ ... يسكنُها كيسنجرٌ والبومُ
أم بيرقٌ مرفرِفٌ مرسومُ ... في فَلَكِ الناووْرك ، أم زمزومُ
قولي لماذا أنفُك المنظومُ ... زعلانُ من جيرانه مسمومُ
لا تغضبي يا هذه اللُّهمومُ ... مَجْدُكِ في دولتنا معصومُ
بعد قليلٍ أنفُكِ العظيمُ ... يصدرُ في تكريمهِ مرسومُ

* * *

شاكر يوسف الخوري

أديب وطبيب لبناني (١٢٦٣ هـ/١٨٤٧ م - ١٣٣١ هـ/١٩١٣ م) . تقلّد مناصب حكوميّة عدّة ، وكان ، في الوقت نفسه ، أستاذاً في كلّيّة الطبّ الفرنسيَّة في جامعة القدِّيس يوسف ببيروت . كان فَكِهاً سريع الخاطر ، حلو الحديث ، شاعراً أديباً تتسابق الطبقات الاجتماعيَّة الرفيعة للتمتّع بجلسة من جلساته . كتب سيرة حياته في كتاب سمّاه « مجمع المسرّات » ، كما وضع كتاب « مذكّرات » ، و « تحفة الراغب في صحّة المتزوّج وزواج العازب » ، وفي هذه الكتب الكثيرُ من الأخبار واللطائف والنكات والدّعابات وأشعارُ الهجاء الطريفة ، وفيما يلي بعضها :

قال في قَسٍّ مُفْسد حَبّاك دسائس :

وَقَسٍّ لِلْفَسادِ غدا إماماً ... وَلَمْ يَقْضِ الصَّلاةَ ولا الصِّياما
ولم يَحْفَظْ مِنَ الإنْجيلِ قولاً ... سِوى ما جِئْتُ كَيْ أُلقي سلاما

وقال في « محشيّ » الأمير سعيد عندما استضافه ، وقدَّم محشيّاً لا لحمَ فيه :

قَدْ قيلَ إنَّ المستحيلَ ثَلاثَةٌ ... والآن رابِعَة أَتَتْ بمزيدِ
الغولُ والعنقاءُ والخِلُّ الوفي ... واللَّحْمُ في محْشيِّ الأَميرِ سَعيدِ

وقال في بخيل أُشِيع أنَّه مات آخر السَّنة ، ثُمَّ وجد أنَّ الخبر عارٍ من الصِّحَّة :

تَمَنّى يوسفُ الموتَ اقتصاداً ... وقَبْلَ نهايةِ السَّنَةِ الجديده
لكيْ يَنْجُو بلا تِلكٍ لابن ... « صباحَ الخَيْرِ » في السَّنة الجديده[1]

وقال في موت بطريرك :

توفِّيَ بطرركُ الدُّنيا اغتيالاً ... وقَدْ تَرَكَ البِلادَ وَمَا وَرَاها

---

(١) في العبارة « صباح الخير » ، إشارة إلى « البسترينة » التي يأخذها الأولاد من أهلهم في رأس السنة .

وَسَلَّمَ نَفْسَهُ لِلَّهِ طَوْعاً أظنُّ اللّهُ لَنْ يَرْضَى يراها

كان أحد مهندسي الطرق يفتخر بصنعته ويُفضِّلها على كلّ صنعة، حتى الطب، وكان ذلك أمامه . فخطر له هذا المعنى ، فقالَهُ شِعْراً :

إذا صَعِدَ الحمارُ على جبالٍ يُهندسُ طرقَها وَهوَ يَسيرُ
فهذا مُهندسُ الطُّرقاتِ أصْلاً وَمَا زَالَتْ تُهَنْدِسها الحميرُ

فالحقيقة أنَّ الحمير هي التي هندستْ كلّ الطرقات الجبليّة ، لأنَّ الإنسان يمشي على القادوميّة . . .

وقال في رئيس محكمة مديون مفلس :

إعرابه :

ما فيه مِنْ رَفْعٍ سِوى رَفْعِ الشّوارِبِ وهوَ لاحس
مبنيّ على نَصْبٍ وقَدْ كَسَروه في كلِّ المجالس
وبِهِ علامَة جزمه لسكونِهِ بَيْنَ النَّواعِس
وإذا نَظَرْتَ جنابَهُ في دكَّةِ الأحكامِ جالس
فَتَرى الجموعَ بِضَجَّةٍ لدخولِهِمْ قَبْلَ الدّسائس
يَتَزاحمون بِبابِهِ لِدُيونِهم والشَّهم عابس
هذا يدفِّشُ جارَهُ ويقولُ دوري وهو داعِس
هذا يُطالِبُ ما لَهُ عندَ الرئيسِ عَنِ الملابِس
هذا في حَقِّ الطَّحينِ وغيرُه حَقّ المكانِس
لَوْ كانَ يَدْفَع دينَهُ قَفِلوا المحاكِم والمجالس

اشترك شاكر الخوري في مسابقة شعريّة ، فرفضت لجنة التحكيم شعره ، فقال :

قد كان في فَحْصِ شِعْرِي كِرٌّ وجَحْشٌ وعِيرُ
لو أنّ شعري شعيرٌ لاسْتَطْيَبَتْهُ الحميرُ

لـكـنَّ شِـعـري شُـعـورٌ هَـلْ لـلحـمـيـرِ شُـعـور؟

وهجا رهبان دير صير لأنهم عندما مر بديرهم لم يطلبوا إليه النزول والاستراحة عندهم ، فقال :

رهـبـان صـيـر قَـدْ عَـرَفْـنـا أنـهـم لا يُـرْتَـجَى منهم جَميـل لـلبَشَـر
لم يشبهـوا يسُـوعَ في تـاريـخِهِم إلّا بِـمـيـلادٍ لَـهُ بـيـنَ الـبَـقَـر

وكان شديد الوطأة على القُسُس والرهبان كما يُلاحظ . عرّفه مرة قسِّيس ، فنظم بعد الاعتراف :

من بعـد عَـدِّ ذنـوبِي والقَـرار بِـهـا قَـدْ حَلَّنِي كَـاهِنِي مِن كـلِّ تَقصيـر
نَـاديتـه : يَـا أبي أرجـوكَ مَـغْفِـرَةً نَسيتُ ذَنبـاً فـإنِّي شـاكـرُ الخـوري

وفي زيارته القدس عرّفوه بقسّ دَعيّ ، فنظم فيه :

وعِنـدَمـا زُرْتُ قـدسـاً زُرْتُ أديـرةً لـلقُـبْطِ والـرُّومِ سـريـان ولاتـين
قـد كـانَ مـا بينَهُم عـلج يـظنُّ بـهِ فـي سنٍّ خـمسينَ أو فـي سنٍّ ستين
قـد عَـرّفـوني بـه تعـريفَ مُشْتَهِـرٍ بـأنَّـهُ خـيـرُ قسّ في فِـلسـطيـن
من نَسْـل ذاك الـذي يسـوع شَـرَّفَـهُ إذْ قَـدْ عـلا ظَهْـرَهُ يـومَ الشَّعَـانين[1]

(١) الإشارة إلى الحمار الذي امتطاه السيِّد المسيح عندما زار أورشليم .

نـزار قبّانـي

شاعر فلسطينيّ الأصل ، سوريّ المولد والجنسيّة ، لبنانيّ الإقامة والهوى . ولد في دمشق في السنة ١٩٢٣ م/١٣٤٢ هـ ، وتخرَّج من الجامعة السّوريّة بإجازة في الحقوق . خدم بلاده في السِّلك الدبلوماسيّ ما بين سنة ١٩٤٥ م وسنة ١٩٦٦ م . آثر الشّعر على الوظيفة ، فاستقرّ في بيروت مؤسِّساً فيها داراً للنشر باسمه . يُعتبر من كبار المجدِّدين في الأدب العربيّ المعاصر . تغزّل بالمرأة ، وأمسك بيدها إلى عالم الانطلاق والتحرُّر ، حتّى لُقِّب بـ « شاعر المرأة » ، ولو لُقِّب « بشاعر الغزل » لكان أفضل ، لأنّه أحياناً يهاجم المرأة بعنف ، وله قصائد « هجائيَّة » في بعض من يسمِّيهنّ « الأجيرات » أو « اللّئيمات » ، أو « النساء اللائي من زجاج » وفيما يلي بعض منها :

مُهَرّجـة

أتـريـدينَ إذْ وجـدتِ العشيقـا
أتـريـدينَ أن أكـونَ صـديقـا؟
وتـقـولـيـنَـهـا بـكـلِّ غـبـاءٍ
بؤبؤاً جامداً . . . ووجهاً صفيقا
مـوقفي تعـرفينـهُ . . فَتَـوارَيْ
عن طـريقي ، يامَنْ أضعتِ الـطريقـا
مُضْحِكٌ ما اقترحتِ . . يا بهلواناً
يستحقُّ الـرثـاءَ . . لا التصفيقـا

* * *

إلى لَئِيمَة

مـاذا لـديـكِ؟ فعنـدي
من راحتيـكِ اعتـرافُ !
رسـائـلٌ... ورسـومٌ
تَتْرى... فماذا أخـافُ؟
أكـداسُ حُبٍّ... فهـذا
رَسْمٌ... وهـذا غـلافُ
خـزائني منـكِ مـلأى
بِـيضٌ.. وزُرْقٌ لـطافُ
لا تحـرجيني.. فثـأري
ثـأرٌ.. وسُـمِّي زُعـافُ
وذاكَ رسـمٌ قـديـمٌ
إطـارُهُ رفَّـافُ
رسمٌ لنـا.. يـومَ كُـنَّـا
بـنـا تضـيءُ الضـفـافُ
هُنـا.. بإحـدى الـزوايـا
إمـضـاؤكِ الـشـفَّـافُ
لا تهتفي: لـيس خـطِّي
فـللسـطورِ هُـتَـافُ
الحـرفُ حـرفُـكِ.. فيـه
تـأنُّـقٌ والـتـفـافُ
هـذي وثـائـقُ حِقْـدي

وكـلُّهـا أهـدافُ
وتـصـرخيـنَ: جبـانٌ !
زورٌ.. وقـولٌ جُـزَافُ
أنـا جبـانٌ ! سـوادي
ثلجٌ.. وعُهْـري عَفَـافُ
لا.. لن ينـولَـكِ غيـري
وفـي يـديَّ اعـتـرافُ

* * *

إلـى سَاذجَـة...

لا شكَّ .. أنتِ طيِّبَـهْ
بسيطةٌ وطيِّبَهْ ...
بساطةَ الأطفال حين يلعبونْ
وأن عينيكِ هما بُحَيْرتا سكونْ
لكنـني...
أبحثُ يا كبيرةَ العيونْ
أبحثُ يا فارغةَ العيونْ
عن الصلاتِ المُتْعِبَهْ
عن الشفاه المخطئَهْ
وأنتِ يا صديقتي
نقيَّةٌ كاللؤلؤهْ
باردةٌ كاللؤلؤهْ

وأنتِ يا سيِّدتي
من بعد هذا كلِّه، لستِ امرأهْ
هل تسمعين يا سيِّدتي
لستِ امرأهْ
وذاك ما يحزنني
لأنني
أبحثُ يا عاديَّةَ الشفاهْ
أبحثُ يا ميِّتةَ الشفاهْ
عن شفَةٍ تأكلُني
من قبل أن تلمسَني
عن أعينٍ . . .
أمطارُها السوداءُ . . لا تتركُني
أرتاحُ ، لا تتركني
وأنتِ يا ذاتَ العيون المطفأهْ
طيِّبَةٌ كاللؤلؤهْ . . .
طَيِّبَةٌ كالأَرْنَبِ الوَدِيعْ
كَالشَّمْعِ ، كالأَلْعابِ ، كَالرَّبيعْ
هامِدَةٌ كالموتِ . . كالصَّقيعْ
وذاكَ ما يُؤْسِفُني . . .
لأَنَّنِـي . . .
يا أَرْنَبي الوَديعْ . . .
أَضيقُ بالرَّبيعْ

وأَكْرَهُ السَّيرَ على الصَّقيعْ
لأَنَّهُ يُتْعِبُني . . .
لأَنَّهُ يُرْهِقُني . . .

* * *

ودَدْتُ يا سيِّدتي
لو كُنْتَ أستطيعْ
حُبَّكِ يا سيِّدتي
لو كُنتُ أَسْتطيعْ

* * *

إِلــى أَجِيــرَة . .

بدراهمي . .
لا بالحديث الناعمِ
حطَّمتُ عزَّتَكِ المنيعةَ كلَّها بدراهمي
وبما حملتُ من النفائس والحرير الحالِمِ
فأطعتِنــي
وتبعتِنــي
كالقطَّةِ العمياء ، مؤمنةً بكلِّ مزاعمي
فإذا بصدرك ، ذلك المغرورِ ، ضمنَ غنائمي

* * *

أين اعتدادُكِ ؟
أنتِ أطوعُ في يدي من خاتمي
قد كان ثغرُكِ مرةً

ربّي ، فأصبح خادمي
آمنتُ بالحسن الأجير وطأتُهُ بدراهمي
وركلتُهُ ، وذللتُهُ
بدُمًى ، بأطواقٍ كوهم الواهِمِ
ذَهَبٌ وديباجٌ
وأحجارٌ تشعُّ . . فقاومي
أيُّ المواضع منكِ
لم تهطُلْ عليه غمائمي
خيراتُ صدرك كلُّها
من بعضِ بعضِ مواسمي . .

* * *

بدراهمي !
بإناء طيبٍ فاغمِ
ومشيتِ كالفأر الجبان إلى المصير الحاسمِ
ولهَوْتُ فيكِ فما انتختْ
شفتاكِ تحت جرائمي
والأرنبانِ الأبيضانِ
على الرخام الهاجِمِ
جَبُنـا . .
فما شعرا بظلم الظالمِ . .
وأنا أصبُّ عليهما
ناري ، ونارَ شتائمي
رُدِّي . . فلست أطيقُ حُسناً
لا يردّ شتائمي !!

* * *

مسكينةٌ . .
لم يبقَ شيءٌ منكِ
منذُ استَعْبَدَتْكِ دراهمي . . .

* * *

يجُـوز أن تكُونـي

يجوزُ أن تكوني
واحدةً من أجمل النساءِ . .
دافئةً . . كالفحم في مواقد الشتاءِ . .
وَحْشيَّةً . . كقطةٍ تموءُ في العَراءِ . .
آمرةً . . ناهيةً كالربِّ في السماءِ . .

* * *

يجوزُ أن تكوني . .
سمراءَ . . إفريقيَّةَ العيونِ . .
عنيدةً . . كالفَرَسِ الحَرُونِ . .
عنيفةً . . كالنارِ ، كالزلزالِ ، كالجنونِ . .

* * *

يجوزُ أن تكوني . .
جميلةً ، ساحقةَ الجمالِ . .
مثيرةً للجلدِ ، للأعصابِ ، للخيالِ . .
وتُتقنينَ اللهوَ في مصائر الرجالِ . .

* * *

يجوزُ أن تضطجعي أمامي . .
عاريةً . . كالسيف في الظلامِ . .
مليسةً كريشةِ النعامِ . .
نهدُكِ مُهْرٌ أبيضٌ
يجري . . بلا سرجٍ ولا لجامِ . .
يجوزُ أن تبقي هُنا . .
عاماً وبعضَ عامِ . .
فلا يثيرُ حسنُكِ المدمِّرُ اهتمامي . .
كأنّمـا . .
ليستْ هناك امرأةٌ . . أمامي . .

* * *

يجوزُ أن تكوني . .
سلطانةَ الزمان والعصورِ . .
وأن أكون أبلهاً . . معقَّدَ الشعورِ . .
يجوز أن تقولي . .
ما شئتِ عن جُبني . . وعن غروري . .
وأنّني . . وأنّني . .
لا أستطيعُ الحُبَّ . . كالخصيانِ في القصورِ . .

* * *

يجوزُ أن تُهدِّدي . .
يجوزُ أن تُعربدي . .
يجوزُ أن تَثوري . .
لكنْ أنا . .

رغمَ دموع الشمع والحريرِ . .
وعُقدة (الحريم) في ضميري . .
لا أقبلُ التزويرَ في شعوري . .

* * *

يجوزُ أن تكوني . .
شفَّافةً كأدمع الربابَهْ
رقيقةً كنجمةٍ ، عميقةً كغابَهْ . .
لكنَّني أشعرُ بالكآبَهْ . .
فالجنسُ - في تصوُّري -
حكايةُ انسجامِ . .
كالنحتِ ، كالتصوير ، كالكتابَهْ . .
وجسمُكِ النقيُّ ، كالقشطةِ والرُّخَامِ
لا يُحسنُ الكتابَهْ . .

* * *

معارضات شعرية وقصائد طريفة

١ ـ معارضة كامل فضّول الحمصي لقصيدة السَّموأل .
أ ـ قصيدة السموأل : إن الكرام قليل.
ب ـ معارضة كامل الحمصي لها .
٢ ـ معارضة سعيد المصول لمعلقة عنتر بن شداد.
٣ ـ معارضة سعيد المصول لمعلقة عمرو بن كلثوم .
٤ ـ معارضة سعيد المصول لمعلقة امرىء القيس .
٥ ـ معارضة إبراهيم طوقان لأحمد شوقي .
٦ ـ قصيدة أسعد رستم في المخلوطة .
٧ ـ قصيدة طريفة في المجدرة .
٨ ـ قصيدة للشاعر القروي .

١

معارضة كامل فضّول الحمصي لقصيدة السَّموأل

أ ـ قصيدة السموأل : إنّ الكرام قليل

إذا المرءُ لم يَدْنَسْ من اللُّؤْمِ عِرْضُهُ ... فكلُّ رداءٍ يرتديهِ جميلُ[١]

وإنْ هُوَ لمْ يَحْمِلْ على النَّفْسِ ضيْمَها ... فليس إلى حُسْنِ الثَّناءِ سبيلُ

تُعَيِّرُنا أنّا قليلٌ عديدُنا ... فقلتُ لها: إنَّ الكِرامَ قليلُ !

وما قلَّ من كانت بقاياه مِثْلَنا : ... شبابٌ تسامى لِلْعُلى وكُهولُ

وما ضَرَّنا أنّا قليلٌ، وجارُنا ... عزيزٌ، وجارُ الأكثرينَ ذليلُ[٢]

لنا جَبَلٌ يَحْتَلُّهُ من نُجيرُهُ ... منيعٌ يَرُدُّ الطّرْفَ ، وهْو كَليلُ[٣]

هو الأبلقُ الفردُ الذي شاع ذكرُهُ ... يَعِزُّ على من رامَهُ ويطول[٤]

يُقَرِّبُ حُبُّ الموتِ آجالَنا لنا ... وتَكْرَهُه آجالُهُم ، فتطولُ[٥]

تَسيلُ على حَدِّ الظّباتِ نفوسُنا ... وليسَتْ على غير الظّباتِ تَسيلُ

---

(١) المعنى : ما يجب أن يهتم به الإنسان هو سلامة عرضه من الذلّ والمهانة ، فإن تمَّ له ذلك ، فكل ثوب يلبسه جميل .

(٢) ليس المهم أن يكون عددنا كثيراً ، ولكن المهم أن نحمي من يستجير بنا ، فلا يلحقنا ذل وعار .

(٣) يرد الطرف وهو كليل : كناية عن أن من ينظر إليه يكاد لا يرى نهايته ، فيرتد بصره متعباً دون أن يبلغ غايته . وهذا الجبل هو قصره الأبلق .

(٤) رامه : قصده بسوء المعنى : لا يستطيع أحد أن يقتحمه .

(٥) يهجو الشاعر جماعة، ويفخر بنفسه وببني قومه. فهم شجعان يحبون الموت. وأولئك جبناء ولهذا تطول آجالهم .

وما مات مِنّا سَيِّدٌ، حَتْفَ أَنْفِهِ، ... وَلَا طُلَّ يوماً، حيثُ كان، قتيلُ[1]

فنحن كماء المُزْنِ، ما في نِصابنا ... كهَامٌ ، ولا فينا يُعَدُّ بخيلُ

ونُنْكِرُ ، إن شِئْنا ، على الناسِ قولَهُم ... ولا يُنكرون القول حين نقولُ[2]

إذا سَيِّدٌ مِنّا خلا قامَ سَيِّدٌ ... قؤولٌ لما قالَ الكرامُ، فعولُ

وما أَخْمِدَتْ نارٌ لنا دون طارِقٍ ... ولا ذَمَّنا، في النازلينَ، نزيلُ[3]

وأيّامُنا مَشْهورَةٌ في عَدُوِّنا ... لها غُرَرٌ مَعْلومَةٌ وَحُجولُ

وأسيافُنا في كل شَرْقٍ ومَغْرِبٍ ... بها ، من قِراعِ الدارعين ، فُلول[4]

مُعَوَّدَةٌ أن لا تُسَلَّ نِصالُها ... فَتُغمَدَ ، حتى يُسْتَباحَ قَبيلُ[5]

سلي ، إن جَهِلْتِ ، الناسَ عَنّا وعنهُمُ ... فليس سَواءً عالِمٌ وجَهولُ !

* * *

---

(١) معنى الشطر الثاني : وما هدر دم واحد منّا ، في أي مكان قتل ، أي أنهم يأخذون بثأره من قاتله .

(٢) في هذا البيت ذكر لجرأتهم وسمو قدرهم ورفعتهم ، فهم ينكرون أقوال الناس ساعة يشاؤون ، ولكن ما من واحد يتجرأ على أن ينكر أقوالهم .

(٣) يفتخر الشاعر بكرمه وكرم بني قومه ، فنارهم ـ نار القِرى ـ لا تخمد في وجوه الضيوف الطارقين في الليل ، وهنا إشارة إلى بعض العادات الجاهلية ، ومنها إشعال نار القرى ليهتدي بها الضيوف في الليل ، فيلجأون إليهم . والبخيل كان يطفىء كل نار حتى لا يقصده أحد فيطرق بابه .

(٤) فخر بالشجاعة التي تتمثل في مقارعة الأبطال حتى تُفَلَّ سيوفهم .

(٥) وسيوفهم إذا سلّت من أغمادها ، لا تعود إليها إلّا بعد أن تقضي على جماعة كاملة .

ب ـ معارضة كامل الحمصي لها

إذا المَـرْءُ لَمْ يَمْـلأْ مِنَ الكِشْـكِ بَـطْنَـهُ ... فَـكُـلُّ غِـذاءٍ يَـغْـتَـذِيْـهِ قَـلِـيـلُ

وإنْ هـو لَمْ يَـأْكُـلْ مَـعَ الكِشْـكِ كِبَّـةً ... فَـلَيْسَ إلى نَـيْـلِ الهَـنـاءِ سَـبِـيْـلُ !

تُـعَـيِّـرُنـا أنَّـا ثَـقِـيْـلٌ طَـعـامُـنـا ... فَـقُلْتُ لـهـا : إنَّ الـلَّذيـذَ ثَـقِـيـلُ !

ومـا ضَـرَّنـا أكْـلُ الصَّفيحَـةِ مُـطْلَقـاً ... ولا بـات مِنّـا في الـزَّمـانِ عَلِيْـلُ !

لنـا يَبْـرَقٌ يَحْـظَى بـهِ مَنْ نُضِيفُـهُ ... قَـصيـرٌ ، وَعُـمْـرُ الآكـلينَ يَـطولُ !

هـو الأَخْضَـرُ الغَضُّ الَّـذي لَـذَّ حَشْـوُهُ ... كمـا لَذَّ مَحْشي القَـرْعِ وَهـوَ طَـويـلُ !

يُمَـدِّدُ أكْـلُ الشّـاكِـريَّـةِ عُـمْـرَنـا ... وَبُـرْغُلُنا ، كُـلَّ السَّقـامِ يـزيـلُ !

تميـلُ إلى أكْـلِ الكِبَـابِ نفُـوسُنـا ... وَلَيْسَتْ إلى غَيْـرِ الكبَـابِ تميـلُ !

نُقَـطِّعُ مِنْ فَـخْـذِ الخَـروفِ نَـشُكُّـهُ ... بِـأسْيـاخِنـا شَكّـاً وفيـه نَـصـولُ !

وَحَـمْـلاتُنـا مَـعْـروفَـةٌ في أكُـفِّنـا ... على الـرزِّ لَمّـا السَّمْنُ مِنْـهُ يَسيـلُ !

وَأَلْبـانُنـا فيهـا الشِّفـاءُ مِـنَ الضَّـنى ... و « شَيْـخُ محاشينـا » اللَّذيـذُ جَليـلُ

وَحِمّصُنـا المَـدْقـوقُ إنْ ذَمَّ جاهِـلٌ ... « فَـلَيْسَ سَـواءً عـالِـمٌ وَجَهـولُ » !

بِـهِ لَـذَّةٌ لا في طَـعـامٍ نَـظيـرُهـا ... ولَيْسَ لَـهُ عِنْـدَ « العلوج » مَـثيـلُ !

سَلي يـا ابنَةَ الطِّلْيانِ ، عَنْ « قَبـواتِنا » ... « وجَقّـاتِنـا » والشّـاهِـدونَ عَـدولُ !

ولا تُـطْنِبي بِـالـمَعْكَـرونَـة إنَّـهـا ... حِبـالٌ ، لهـا نَحْـوَ الهُـزالِ وُصـولُ !

وَفَـتُّـوشُـنـا قـد فـاقَـهـا بِـلَذاذَةٍ ... وَفيـهِ انْتِعـاشٌ للحَشَـى وَقُـبـولُ !

إذا هِـنْـدُنـا دَقَّتْ لـكِـبّـتِـهـا يُـرى ... شَبـابٌ حـواليهـا انبـرَتْ وكُهـولُ !!

ودارَتْ كؤوسُ الـرّاحِ والعَـرَقِ الـذي ... لَـهُ في بـلادِ الغَـرْبِ قَـلَّ مَـثيـلُ !

فَنَشْـرَبُ حَتَّى نَـرْتَـوي مِنْ مُـدامِنـا ... وتَنْصُـتُ أذْنُ الـدَّهـرِ حيـنَ نَقـولُ !

* * *

معارضة سعيد المصول لمعلّقة عنترة بن شدّاد

« هَـلْ غادَرَ الـزُّعَماءُ منْ مُتَـرَدَّمِ ... أَمْ هَـلْ عَرَفْتَ الـدّارَ بَعْدَ تَهَـدُّمِ

دارٌ تَبَـدَّلَ رَسْمُهـا مَـعَ كَسْمِهـا ... وَجَنـوا عليها بـاسْمِهـا المتقَسّمِ

في كُلِّ خَمْسَةِ أَذْرُعٍ جَعَلوا بهـا ... وَطنـاً، وسُلْطانـاً، وألْفَ مقـدَّمِ

بَـلْ قُلْ ألُـوفاً يَنْهَشـون جفـافَهـا ... متَنـابِحينَ على اكتسـابِ المَغْنَم

متـظاهـرينَ بِحُبِّهـا وَغَـرامِهـا ... والحبُّ لِلْكَسْبِ الدَّنيءِ الْمُجْرِمِ

وَمُـدَجِّلِينَ بـوَضْعِهـا وكيـانِهـا ... وَمُـطَبِّلين بعُـرْسِهـا والمَـأْتَمِ!

ماتَتْ ضَمائِرُهُمْ، وماتَ شعورهم ... وَتَبَنَّجـوا بـالأَصْفَـرِ المُتَكَـوِّمِ

وَمَضَـوا يَبيعـونَ الـربـوعَ لِيَبْتَنَـوا ... لَهم الـربوعَ، وَيغتَنـوا بـالـدِّرهم

لا يَـرْفَـعُ المـالُ الحـرامُ مكـانَـةً ... ولَـوْ أنَّ صـاحِبَـهُ زميـلُ الأَنْجُمِ

هــذي فـلسـطين تَئِـنُّ وراءَهُمْ ... وأَنينُهـا نَغَمُ الجـريـحِ المـرْتَمي

بـاعـوا ذَخـائِـرَ أَرْضِهـا بِتَسَفُّـلٍ ... وَتَسَتَّـروا بِـتَبَـجُّـحٍ وَتَـرَحُّـمِ

وسَعَوا إلى التَّهريبِ قُرْبَ حُدودِها ... بِـصَغـائِـرٍ وَعَـزائـمٍ لَمْ تـثلم

وَتَـطوَّسـوا بهيـاكِـلٍ محـزومةٍ ... بـالمـارتينِ، وجقـرةٍ، وَتَـورّم

يتمـايلون على العبـاد كَـأَنَّهُمْ ... أَسْدُ الشَّرى، مِنْ نـابحٍ وَمُعَـرّمِ

أَسَفي عليهـا: ضَيَّعوا أمجـادَهـا ... وَسَقـوا بنيهـا مِنْ عصيـرِ العَلْقَم

يسقيهم اللّهُ الهـوانَ ليعـرفـوا ... معنى الهوانِ، بِجَرْعَةِ المُسْتَطْعِمِ

يـا أَيُّهـا الـدارُ التي نحيـا لَهـا ... وإلى معـاليها العـظيمَـةِ نَنْتَمي،

إنِّي وَقَفْتُ عليكِ روحي: فاطْلبي ... روحي، ولستُ أقولُ هذا مِنْ فمي

«وَلَقَـدْ ذَكَرْتُـكِ والرِّمـاحُ نَواهِـلٌ ... مِنِّي، وبيضُ الهِنْدِ تَقْطُرُ مِنْ دمي»

«فَـوَدَدْتُ تقبيـلَ السُّيـوفِ لأَنَّهـا ... لَمَعَتْ كَبَـارِقِ ثَغْـرِكِ المتَبَسِّمِ»

معارضة سعيد المصول لمعلّقة عمرو بن كلثوم

«ألا هُبِّي بِصَحْنِكِ» وَاطعِمينا ... فَقَدْ صِرْنا عراةً جائعينا !
أُكِلْنا جُمْلَةً مِنْ غيرِ مِلْحٍ ... ولَمْ تَشْبَعْ بطونُ الآكلينا !
«فيا لَكِ هِرَّةً بَلَعَتْ بَنيها ... وما وُلدوا، وَتَنْتَظِرُ الجَنينا!
ذَهَبْتِ، وَقَدْ حَمَلتِ بِكُلِّ بَطْنٍ ... «كراراً» من طعامِ الآخرينا
وَنَظَّفتِ الدِّيارَ مِنَ الأهالي ... وفيها رُحْتِ وَحْدَكِ تَمْرَحينا
بِكُلِّ مكْرِشٍ جَشِعٍ أكولٍ ... يرى الدُّنيا ومن فيها طحينا
أحاطَ بِعَرْشِهِ أعوانُ سُوءٍ ... بآراءِ الجلاءِ آمرينا
وراحوا يَنْصَحونَ وَيَنْصحونا ... وراحوا يَسْرُقون وَيَنْهَبُونا !
عصاباتٌ تَمادتْ وَاسْتَبَدَّتْ ... وَدَكَّتْ حُصْنَ ذا الشَّعْبِ الحصينا،
ولكِنْ بَعْدَ أنْ دَكَّتْهُ دَكَّتْ ... كذاك الدَّكُّ يصطادُ السَّمينا!
يصومُ الناسُ حيناً بَعْدَ حينٍ ... وَنَحْنُ نَظلُّ دوماً صائمينا
فَإنْ كانَ الصِّيامُ يُنيلُ أجراً ... فَنَحْنُ إلى السَّماءِ مُهرْولونا!
ضَرَبْنا الرَّقْمَ في جُوعٍ وَعُرْيٍ ... وَصِرْنا بالتَّدَرْوُش فائزينا
وَظَلَّ السّارقونَ بلا عِقابٍ ... أحَقَّ أنْ يَظَلّوا آمنينا؟!
فإنَّ العدلَ يقضي أنْ يُجازوا ... وَأنْ يُقْضى على المتآمرينا
وَيَرْجِعَ كُلُّ مسروقٍ، وَنَبْني ... بِهِ ما هَدَّمَ المتلاعبونا !
إليكم، يا بني وطني، إليكُمْ ... أُوَجِّهُ صَرْخَتي: هَلْ تَسْمعونا؟
أفيقوا من سُباتِكُمْ، أفيقوا ... فهذا العصرُ عَصْرُ النّاهِضينا!
ولا يُغْرِرْكُمُ أفعالُ سوءٍ ... ولا تَمْشوا وراء الخائنينا
ولا تَرْضوا بأنْ تَحْيوا بِذِلٍّ ... بِظِلِّ جهالَةِ المتَزعِّمينا

وعيشوا في بلادكمُ كراماً ... وكونوا للعقيدَةِ مُخْلصينا
هي الأَشْخاصُ تَذْهَبُ، والمبادي ... تَدومُ: فعانقوها خالدينا!
وَأَنْتُمْ مِنْ بَني وَطَنٍ كَريمٍ ... لَهُ دانَتْ شعوبُ الأَقْدَمينا
وكانَ مُعَلِّم الدُّنيا، فَأَضْحى ... بِهِ هذا الوَرَى ما تَنْظرونا
«إذا بَلَغَ الفطامُ لَهُ رَضيعٌ ... يَخرّ لَهُ الجَبابِرُ ساجدينا»

معارضة سعيد المصول لمعلّقة امرىء القيس

«قفا نَبْكِ مِنْ ذِكْرى حَبيبٍ وَمَنْزِلِ ... بِسِقْطِ اللِّوى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ»

على هَرَمٍ مِنْ سدَّةِ الظُّلْمِ قَدْ هَوى ... «كَجُلْمودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيلُ مِنْ عَلِ»

كَبِيرٌ عَريضٌ، شَحْمُهُ فَوقَ لَحْمِهِ ... مِنَ الأَكْلِ، أَكْلِ الشَّعْبِ مِثْلَ المُعَلَّلِ

هو الصَّنَمُ البالوع، والمَقْلِقُ الذي ... تَجَنَّى على شَعْبٍ مِنَ الخُبْزِ أَعْزَلِ

فَجَرَّدَهُ مِنْ كُلِّ ما هُوَ مالِكٌ ... وشردَهُ تَشْريدَ بَوْشٍ مُبَهْدَلِ

وَحَطَّمَ حُرِّياته وانْدفاعَهُ ... وَأَظْهرَهُ كالبائِسِ المُتَسَوِّلِ

وَأَعْدَمَ هادِيه وباعِثَ وَعْيِه ... وراوغَ مَعْ أحرارِهِ مثلَ تَتْفُلِ

وَعَبَّأَ بالمالِ الحرامِ جُيوبَهُ ... وأغنى ذويهِ بالخَنَى والتَّسَفُّلِ

وتاهَ، وظَنَّ الشعبَ عبداً، كَنَفْسِه ... برأسٍ كَكَرْنيبِ مُعَرّى، مُوَصَّلِ

وَبَطْنٍ مِنَ المَطّاطِ، لَوْ فرّغوا بِهِ ... ألوفاً مِنَ الأَطْنانِ، ما كانَ يَمْتلِي !

وَنَفْسٍ تَرومُ الموبقاتِ، خَبيثةٍ ... بجِسْمٍ، عليها، ضاغِطٍ، مُتَهَدِّلِ !

تمادى، وعادى الشَّعْبَ ليسَ بحاسِبٍ ... حساباً له، والشَّعْبُ بالويلِ يَنْقلي

فَزَمْجَرَ مرتاعاً، وصاحَ بِسِرِّهِ: ... «ألا أيُّها اللَّيلُ الطَّويلُ ألا انْجَلِ»

وسارَ إلى سوقِ الصِّراعِ مُنادِياً ... أيا ظالماً شعباً هُوَ السَّيِّدُ، انزلِ

فَهَرْوَل مِنْ خَوفِ العقابِ مُدَحْرِجاً ... وَوَلَّى زمانُ العَنْجَهِيِّ المُدَجَّلِ !

وقامَتْ بأَصقاعِ البلادِ بَشائِرٌ ... وزيَّنَ أهلوها، فيا شعبُ هَلِّلِ

وطالِبْ بتنظيفِ الفسادِ جَميعه ... ولو كنتَ محتاجاً لرَفْشِ المُعَزِّلِ

قَطَعْتَ مِنَ الأَفْعى اللئيمةِ رَأْسَها ... فَعَجِّلْ بباقي الجِسْمِ، لا تَتَحَوَّلِ

وَكمِّلْ طريقاً للصَّلاحِ فَتَحْتَها ... وَشَدِّدْ بني الإصلاحِ وَاضرِبْ وَعَجِّلِ

هُوَ الشَّعْبُ يَبني ـ إنْ وعى ـ مَجْدَ أُمَّةٍ ... وَذُلٌّ وَتَعْتيرٌ نصيبُ لمغَفَّلِ !

معارضة إبراهيم طوقان لقصيدة أحمد شوقي « قم للمعلّم »

نظم الشاعر الكبير أحمد شوقي قصيدة ، مادحاً فيها المعلم ، داعياً الناس إلى إكرامه وتبجيله ، لما يقدّمه من تضحيات في سبيل نشر العلم والثقافة وتربية الأطفال ممّا أغضب الشاعر إبراهيم طوقان الذي مارس التعليم مدّة من الزمن ، فنظم قصيدة معارضاً فيها قصيدة شوقي التي مطلعها :

قُمْ لِلْمُعَلِّمِ وَفِّهِ التَّبْجِيْلا ... كادَ المُعَلِّمُ أَنْ يَكونَ رَسُولا

فقال طوقان :

شَوْقي يَقُولُ وَمَا دَرَى بمُصِيبتِي ... «قُم لِلْمُعَلِّمِ وَفِّهِ التّبْجِيلا»
أَقْعُدْ فَدَيْتُكَ هَلْ يَكُونُ مُبَجَّلاً ... مَنْ كان للنَّشْءِ الصّغَارِ خَلِيلا؟
وَيَكَادُ يَفْلِقُني الأمِيرُ بِقَوْلِهِ: ... «كَادَ المُعَلّمُ أن يَكُونَ رَسُولا »
لو جَرَّبَ التَّعْلِيمَ شَوْقي ساعَةً ... لقَضَى الحياةَ شَقاوَةً وخُمولا
حَسْبُ المُعَلّمِ غمَّةً وكآبَةً ... مَرْأَى الدَّفاتِرِ بُكْرَةً وأصيلا
مِئَةٌ على مِئةٍ إذا هي صُلِّحَتْ ... وَجَدَ العَمَى نَحْوَ العُيُونِ سَبِيلا
ولو أنّ في التصليح نفعاً يُرْتَجَى ... وَأَبِيكَ لَمْ أكُ بالعُيُونِ بَخِيلا
ولَكِنْ أصلِّح غَلْطَةً نَحْوِيَّةً ... مَثَلاً وأتَّخِذُ « الكتاب » دليلا
مُسْتَشْهِداً بالغرِّ من آياته ... أو « بالحَدِيثِ » مفصِّلاً تفصيلا
وأغوصُ في الشِّعْرِ القديمِ فأنتقي ... ما ليس مُلْتَبِساً وَلا مَبْذُولا
وأكادُ أبْعَثُ سِيبَوَيْهِ من البلى ... وَذَوِيهِ من أهل القُرُونِ الأُولى
فأرَى حِمَاراً بعد ذلِكَ كُلِّهِ ... رَفَعَ المُضَافَ إليهِ والمَفْعُولا
لا تَعْجَبُوا إنْ صِحْتُ يوماً صَيْحَةً ... وَوَقَعْتُ ما بين البُنُوكِ قتيلا
يا مَنْ يُرِيدُ الانتِحَارَ وَجَدْتُهُ ... إنّ المُعَلِّمَ لا يَعِيشُ طويلا

قصيدة أسعد رستم في المخلوطة !!

قال أسعد رستم في « المخلوطة » ، وهي طعام يُطبخ من خَلْط حبوب الحمّص والعدس والأرزّ والبرغل وغيره :

كُـلُّ شـيءٍ فيـهـا مُـفـيـد لَـذيـذٌ ... وَمُـغَـذٍّ يُـجَـوْهِـرُ الأبْـدانـا

وهـيَ مَـهْـضـومَـةٌ لَـدَى آكـلـيـهـا ... مَـضْـغُـهـا لَـيسَ يُـتْـعِـبُ الأسْـنـانـا

قـيـل فيـهـا: يـا ظَلْطُ سَلِّمْ على البَلْعِ ... ولا تُـبْـقِ فـي الـبـطونِ مـكـانـا

قَـدْ رَبَـيْـنـا مُـنْـذُ الفِـطامِ عـلـيـهـا ... وعـلـيـهـا اعْـتـمـادُنـا ورَجَـانـا

فَـنَشَـأْنـا والـحَـمْـدُ لِـلَّهِ أَصْـحـابُ ... جُـسـومٍ تـشـابـهُ الـحـيـطانـا

كُـلُّ شَـخْصٍ مِـنّـا قَـويٌّ إذا نـا ... طـعَ فَـدّاناً جَـنْـدلَ الـفَـدّانـا

وَأَخَـذْنـا عـنـهـا ذكـاءً ولـطْـفـاً ... وأَكْـسَـبَـتْـنـا جـمـالَـنـا الـفَـتّـانـا

والـعـيـونَ الـسُّـودَ الـتـي ... تَـسْـحَـرُ الـقَـلْـبَ فَـيَـغْـدو وَلْـهـانـا

يـا لَمَخْـلوطَـةٍ حَـوَتْ كـلَّ مـا مِنْ ... شـأنِـهِ أنْ يُـقَـوِّيَ الإنْـسـانـا

عَـدَسٌ حُـمّص بـهـا وأرزٌّ ... وسَـمـيـدٌ يُـرى بِـهـا أحـيـانـا

ولِـذا لـيس يَـشْـبَـعُ الـمـرءُ مـنـهـا ... كُـلَّـمـا ذاقَـهـا يـقـولُ: كـمـانـا

فَـعَـلـيـهـا الـسّـلامُ مـا طَـلَـعَ الفَـجْـرُ ... ومـا قـيـلَ فـي الـصَّـلاةِ أبـانـا

كُـلُّ شَـيْءٍ بـالاخـتـلاطِ مَـلـيـحٌ ... ويُـفـيـدُ اخـتـلاطُـهُ مـا عَـدانـا

* * *

٧

قصيدة طريفة في المجدّرة!!

ونشرت مجلة تقويم البشير في أحد أعدادها سنة ١٩٢٩ في بيروت قصيدة عن « المجدّرة » وهي طعام شعبيّ يُتّخذ من البرغل والفاصوليا والزيت والبصل بعد طبخها ، ونصّها :

سمعاً بني وطني لأُخْبِرَ قِصَّتي ... فيها فَوائِدُ جَمَّةٌ مَعَ تَذْكَرَهْ

قد صاب داعيكُمْ بجسْمي كلّه ... مَرَضٌ فَأَفْقَدَهُ الهوى والمقْدَرَه

وظَنَنْتُ مِنْ فَرْطِ التألُّمِ أنَّني ... لا بُدَّ لي مِنْ أَنْ أزورَ المَقْبَرَهْ

وَأَخَذْتُ أَنْدُبُ تُعْسَ حالي قائِلاً ... وا حَسْرتي عُمْري غدا ما أَقْصَرَهْ

وإلى السَّماءِ رَفَعْتُ صوتي صارِخاً ... يا رَبِّ، إنِّي مِنْكَ أرجو المغْفِرَه

وسألْتُ أصْحابي وآليَ جَميعَهم ... صَفْحاً ومنكم قلتُ أرجو المعذِرَه

فَبَدا يُعَزِّيني صَديقٌ قائِلاً ... هٰذي الأُمورُ مِنَ الإلٰهِ مُقَدَّرَهْ

فَتَعَزَّ واصْبِرْ ما رَأَيْنا صابِراً ... يوماً أضاعَ لَهُ الإلٰهُ تَصَبُّرَهْ

وَمَضَى فَأَحْضَرَ لي طبيباً ماهِراً ... وَجَميعُهُمْ هَتَفُوا ما أَمْهَرَهْ

لٰكِنَّهُ لَمْ يَعْرِفِ المَرَضَ الذي ... بي قَدْ أَلَمَّ وقَدْ رأيْتُ تَحَيُّرَهْ

قال الطَّبيبُ لَقَدْ أَلَمَّ بِجِسْمِهِ ... داءٌ غَريبٌ في زماني لَمْ أَرَهْ

ما مِنْ طبيبٍ يَسْتَطيعُ عِلاجَهُ ... وَلَقَدْ يَعِزُّ على الدَّوا أَنْ يَقْهَرَهْ

لٰكِنْ سأَنْتَدِبُ الأَطِبّا كُلَّهُمْ ... فَلَعَلَّنا نَشْفيهِ بَعْدَ المشورَهْ

فَأَتَوا وَكُلٌّ حامِلٌ جِزْدانَهُ ... مِنْ أَنْفَعِ الوَصْفاتِ فيهِ مَسْطَرَهْ

لٰكنَّهم جَهِلُوا جميعاً ما الدَّوا ... والكُلُّ مِنْهُمْ قَدْ أَطالَ تَفَكُّرَهْ

وبدوا يهزّونَ الرُّؤوسَ تَأَسُّفاً ... ويقولُ كُلٌّ: حَسْرتي، ما أَخْطَرَهْ

فَعَلِمْتُ قَطْعَ رجائهِمْ من صِحَّتي ... فَصرخْتُ فيهِمْ: قَدْ كفاكُمْ ثَرْثَرَه

يكْفاكُمْ أَبُنُو الكِلابِ، قَطَعْتُمُ ... قَلْبي، وَقُلْتُمْ: ميتَتي متقرّره

فَالقِرْدُ يَمْحَقُكُمْ ويَمْحَقُ طِبَّكُمْ ... فالطِّبُّ في ذا العَصْرِ أَمْسَى مَسْخَرَهْ

قُوموا اذْهَبُوا عَنِّي فَلَسْتُ بحاجَةٍ ... لِلطِّبِّ كلّا لا أشا أَنْ أَنْظُرَهْ

ما أَقْبَحَ التطبيبَ في أَيّامِنا ... فالكُلُّ مِنْكُمْ جاهِلٌ ما أَحْمَرَهْ

فَأَجابني كُلٌّ بِصَوْتٍ صارِخٍ ... ماذا الذي يَشْفيكَ؟ يكْفي زَنْطَرَهْ

قُلْتُ: الذي يَشْفِي مخاطِرَ عِلَّتي ... شَيْءٌ وَحيدٌ، فَهو صَحْنُ مجدَّرَهْ

تُوني[1] بها وحياتكم فتعودني ... روحي وأُصبحُ بالحقيقَةِ عَنْتَرَهْ

تُوني بها صَحْناً كَبيراً عامِراً ... والأَمْرُ أَفْضَلُ إنْ أَتَتْ بالطَّنْجَرَهْ

تُوني بها بالزَّيتِ أَمْ باللَّحْمِ لا ... فَرْقٌ بشَرْطٍ أَنْ تكونَ مُدَرْدَرَهْ

ودعوا الدّواءَ مَعَ الطَّبيبِ بَعِرْضِكُمْ ... إنَّ الأَطِبّا والدَّواءَ لَزَعْبَرَهْ

هَرَبَ الأَطِبّا مِنْ أَمامي عاجلاً ... كُلٌّ يُزاحِمُ آخَرَ وَيُدَهْوِرَهْ

وَدَعَوْتُ أَهْلَ البيتِ حالاً قائِلاً ... تُوني مجدّرَةً فيكفي بَرْبَرَهْ

فَأَتَوا بها كَطَوْدٍ شاهِقٍ[2] ... هَلَّلْتُ مِنْ طَرْفي المنازع أبصرَهْ

وَأَتَوا مَعَ الصَّحْنِ الحبيبِ بِبَصْلَةٍ ... لو لامَسَتْ صَخْراً بَدَتْ أَنْ تَكْسِرَهْ

فَسَحَقْتُها وقسمت ثمَّ جَمَعْتُ ... ثُمَّ ضَرَبْتُ بطْناً، هاي بابان، ما أَكبَرَه

وعرقْتُ حَتَّى كادَ يَعْرَقُ مَطْرَحي ... والسَّقْفُ والحيطانُ حَتَّى القَنْطَرَهْ

ونَهَضْتُ كالسَّبْعِ الكَسُورِ وَصِحّتي ... صَخْرٌ وَقَدْ أَصْبَحْتُ أَمْشِي الغَنْدَرَهْ

ولَبَطْتُ وَجْهَ الأَرْضِ حَتَّى خِلْتُني ... كادَتْ تُزعْزِعُ لَبْطَتي سَطْحَ الكُرَهْ

* * *

(١) توني : ائتوني .

(٢) جبل عالٍ .

قصيدة للشاعر القروي

قال الشاعـر القرويّ رشيـد سليم الخوري في فتـاةٍ حجبتْ وجهها ، وكشفت ساقها :

لِحَـدِّ الـرُّكْبَتَيْنِ تُشَمِّـرِينـا ... بِـرَبِّـكِ أَيَّ نَـهْـرٍ تَعْبُـرِيـنـا

مَضَى الخلخـالُ حينَ السّاقُ أَمْسَتْ ... تُـطَوِّقُهـا عُيـونُ النّـاظـريـنـا

هَـوىٰ عَـرْشُ الجَمـالِ عنِ المُحَيّـا ... إلى الأَقْـدامِ فـاسْتَهْـوَى العُيـونـا

كَـأَنَّ الثَّـوبَ ظِـلٌّ فـي صَبـاحٍ ... يَـزيـدُ تـقلُّصـاً حينـاً فَـحينـا

تـظنِّيـن الـرِّجـالَ بِـلا شُـعـورٍ ... لأَنَّـكِ رُبَّـمـا لا تَـشْـعُـرِيـنـا

ولَـيْسَ بِـعـاصِـمٍ عَـقْـلٌ وَدِيـنٌ ... فَـكَمْ سَـلَبَ الـهَوَى عَـقْلاً ودينـا

متفـرقات هجائيـة

قال أبو فراس يهجو اللئام :

احـذرْ مـقـاربـة الـلئـام فـإنّـه ... ينبيـك عنـهم فـي الأمـور مجـرِّبُ
قـومٌ إذا أيـسـرتَ كـانـوا إخـوةً ... وإذا تـربْـتَ[1] تفـرقـوا وتـجـنّبـوا
اصبـر عـلى ريـب الـزمـان فـإنـه ... بـالصبـر تـدرك كـل مـا تـتـطلّبُ

* * *

قال أبو العتاهية يهجو البخلاء :

أرى قـومـاً وجـوههم حسـانٌ ... إذا كـانـت حـوائجـهم إلـينـا
وإن كـانـت حـوائجـنـا إليـهم ... يُقَبِّـحُ حسنُ أوجـههـم علينـا
فـإن منـع الأشحـة مـا لـديهم ... فـإنّـا سـوف نمنـح مـا لـدينـا

* * *

غضب الشاعر السيد الحِميري[2] على سوار القاضي وهجاه :

يـا أمـيـن الـلّه يـا مـنـصـور ... يـا خـيـر الـولاةِ

---

(١) تربتَ : فقرت .

(٢) هو إسماعيـل بن محمد بن يـزيد الحميـري (١٠٥ هـ/٧٢٣ م ـ ١٧٣ هـ/٧٨٩ م) ، شاعـر إماميّ متقدِّم .
ولد في نعمان قرب الفرات ، ونشأ بالبصرة ، وعاش متردِّداً بينها وبين الكوفة ، ومات ببغداد ، (وقيل : بواسط) . (الأعلام للزركلي ١/٣٢٢) .

إن سوارَ بن عبد اللّه من شَرّ القضاةِ
إن سواراً لأعمى من ذوي جهرجناةِ
جدُّه سارق عنزٍ فجرةٌ من فجراتِ

* * *

قال مسلم بن الوليد الأنصاري[1] في هجاء سعيد بن سَلْم :

وأحببتُ من حبّها الباخليس حتى وقفتُ ابن سَلْمُ سعيدا
إذا سيل عُرْفاً كسا وجهه ثياباً من اللؤم صفراً وسودا

* * *

من قول ابن مناذر يهجو خالدَ بن طليق وكان على قضاة البصرة :

قل لأمير المؤمنين الذي من هاشم في سرها واللُّبابْ
إن كنت للسخطة عاقبتنا بخالدٍ فهو أشد العقابْ
كان قضاة الناس فيما مضى من رحمة الله وهذا عذابْ
يا عجبي من خالدٍ كيف لا يغلطُ فينا مرةً بالصوابْ

* * *

قال امرؤ القيس يهجو البراجم من بني تميم ويربوعاً ودارماً :

ألا قبَّح اللّه البراجم كلّها وجدّع يربوعاً وعنّز دارما
فما قاتلوا عن ربهم وربيبهم ولا آذنوا جاراً فيظفر سالما
وما فعلوا فِعلَ العوير بجاره لدى باب هند إذ تجرّد قائما

* * *

(١) مسلم بن الوليد الأنصاري ، أبو الوليد ، المعروف بصريع الغواني ، (ت ٢٠٨ هـ - ٨٢٣ م) ، اتصل بالفضل بن سهل فولاه بريد جرجان فاستمر إلى أن مات . (الأعلام للزركلي ٨/ ١٢٠ ، ١٢١) .

يُحكى أن والبة بن الحباب كان يدّعي النسب إلى العرب فقال فيه أبو العتاهية :

أوالبُ أنتَ في العرب ... كمثل الشصِّ في الرطبِ
هلمَّ إلى الموالي الصّيودِ ... في سعةٍ وفي رُحُبِ

* * *

هجا يعقوب بن داود وزير المهدي بقوله :

بني أمية هبّوا طال نومكم ... إن الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فانتظروا ... خليفة اللّه بين الزق والعود

* * *

يُحكى في الأغاني أنه كان لعلي بن الخليل صديق فارسي فغاب مدة وقد أصاب مالاً ورفعة ، ثم عاد إلى الكوفة وادّعى أنه من تميم فقال يهجوه :

يروح بنسبة المولى ... ويصبح يدَّعي العربا!
فلا هذا ولا هذا ... كَ يدركه إذا طلبا
فصار تشبّهاً بالقو ... مِ جلفاً، جافياً، جشبا[1]!

* * *

قال رجل في زوجته :

لقد كنت محتاجاً إلى موت زوجتي ... ولكنْ قرينَ السوءِ باقٍ معمَّرُ
فيا ليتها صارت إلى القبر عاجلاً ... وعذّبها فيه نكير ومنكرُ

* * *

قال منصور الأصبهاني في هجاء علي بن المهلب :

له وجه خنزير وخيشوم بغلة ... وصُدرة[2] ملّاح وتقطيع حائكِ

---

(١) جشباً : غليظاً .

(٢) الصدرة ثوب يلبس مغشياً للصدر .

شكـا (فسـوةً) جن البـلاد وإنسُهـا وقـد خفت أن يؤذي خيار المـلائـكِ
فلو كـان من أهـل الجحيم لـولـولـوا إلى ربهـم من فسـوة المـتـدارِكِ
وقـالوا العـذاب الضعف أهـون عنـدنـا وكـلهمُ مستـصـرخ نـحـو مـالـكِ

* * *

قال بديع الزمان الهمذاني[1] في هجاء النظام الاجتماعي الفاسد في عصر بني بويه :

هـذا الـزَّمَـانُ مَـشُـومُ كَـمَـا تَـرَاهُ غَـشُـومُ
الـحُـمْـقُ فـيـه مَـلِيـحٌ وَالـعَـقْـلُ عَـيْـبٌ وَلُـومُ
وَالـمَـالُ طَـيْـفٌ وَلَـكِـنْ حَـوْلَ الـلّئـامِ يَـحُـومُ

* * *

وقال في هجاء بلدة همذان[2] :

هَـمَـذانُ لـي بَـلَدٌ أُقِـرُّ بِـفَـضْـلِهِ لَـكِـنَّـهُ مِـنْ أقْـبَـحِ الـبُـلْدَانِ
صِبْيَـانُـهُ في العَـزْمِ مِثْـلُ شُيُـوخِـهِ وَشُيُـوخُـهُ في العَقْـلِ كـالصِّبْيَـانِ

* * *

وقال ابن التعاويذي[3] في أحد وزراء العصر الأيّوبي ، وقد حجّ :

يـا رَبِّ قَـدْ حَـجَّ الـوَزِيـرُ وَمَـا لَـهُ فـي الـحَـجِّ رَغْـبَـهْ
لَـكِـنْ مَـخَـافَـةَ أنْ يَـحِـلَّ بِـهِ مِـنَ الـسُّـلْطَانِ نَـكْـبَـهْ

---

(١) بديع الزمان الهمذاني : هو أحمد بن الحسين بن يحيى الهمذاني أبو الفضل (٣٥٨ هـ - ٩٦٩ م/ ٣٩٨ هـ - ١٠٠٨ م) ، صاحب المقامات الشهيرة ، كان قوي الحافظة يضرب المثل بحفظه ، مات مسموماً في هراة . (الأعلام للزركلي ١/١١٢) .

(٢) همذان : مدينة في بلاد فارس افتتحها المغيرة بن شعبة في أواخر سنة ٢٣ هـ .

(٣) ابن التعاويذي (٥١٩ - ٥٨٣ هـ/ ١١٢٥ - ١١٨٧ م) ، محمد بن عبيد الله بن عبد الله ، أبو الفتح ، من أهل بغداد ، مولده ووفاته فيها ، له ديوان شعر وكتاب « الحجبة والحجاب » . (الأعلام للزركلي ٧/١٤١) .

يـا ربِّ قَـدْ وَافَـاكَ مِـنْـهُ وَمِـنْ ذَوِيـهِ شـرُّ عـصـبَـهْ
فَـآسْـدُدْ مَـسَـالِـكَـهُـمْ وَلا تـردُدْ لَـهُـمْ يـا ربِّ غُـرْبَـهْ
فَـدُخُـولُ مِـثْـلِهِـمِ إلـى الـحَـرَمَـيْـنِ يـا مَـوْلايَ سَبَّـهْ

* * *

إلى أحد الملوك الذين ادّعوا عِلْمَ الغيب في العصر الفاطميّ ، رُفِعت بطاقة كتب فيها :

بـالـجَـوْرِ والـظُّلْمِ قَـدْ رَضِـيـنَـا وَلَـيْسَ بـالـكُـفْـرِ والـحَـمَـاقَـهْ
إنْ كُـنْـتَ أُوتِـيـتَ عِـلْـمَ غَـيْـبٍ بَـيِّـنْ لَـنَـا كَـاتِـبَ الـبِـطَاقَـهْ

* * *

قال ابن سكّرة[1] في هجاء القاضي أبي السائب في العصر البويهيّ الذي كثرت فيه الرّشوة والسّرقة ، وعمّت المجاعة معظم الناس :

إنْ شِئْـتَ أنْ تُـبـصِـرَ أعْـجُـوبَـةً مِـنْ جَـوْرِ أحْـكَـامِ أبـي الـسَّـائِـبِ
فـآعْـمَـدْ مِـنَ الـلَّـيْـلِ إلـى صـرَّةٍ وَقَـرِّرِ الأمْـرَ مَـعَ الـحَـاجِـبِ
حـتّـى تَـرَى مَـرْوَانَ يُـقْـضَـى لَـهُ عَـلَـى عَـلِـيِّ بْـنِ أبـي طَـالِـبِ

* * *

وقال ابن لَنْكَك[2] البصريّ في ملوك عصره ـ البويهيّ ـ وقضاته :

أَوَمَـا رَأَيْتَ مُلُوكَ عَصْـرِكَ أَصْبَـحُـوا يَـتَـجَـمَّـلُونَ بِـكُـلِّ قَـاضٍ أَحْـمَـقِ

---

(١) ابن سكّرة : حسين بن محمد بن فِيرُّه بن حيون بن سكرة الصدفي ، أبو علي (توفي ٥١٤ هـ ـ ١١٢٠ م) من أهل سرقسطة استشهد في وقعة قتندة بثغر الأندلس . (الأعلام للزركلي ٢/٢٧٩) .

(٢) محمد بن محمد بن جعفر البصري ، أبو الحسن ، (ت ٣٦٠ هـ ـ ٩٧٠ م) ، شاعر ، أكثر شعره ملح وطرف ، له ديوان شعر اطلع عليه الثعالبي وأورد منه مختارات ، وكان معاصراً للمتنبي وهجاه . (الأعلام للزركلي ٧/٢٤٣) .

لا تَـلْقَ أشْبَـاهَ الـحَمِيـرِ بِـحِكْـمَـةٍ مَـوِّهْ عَـلَيْـهِـمْ مـا قَـدرْتَ وَمَـخْـرِقِ

* * *

قال ابن الحجّاج[1] في هجاء أحد خصومه ، وكان ثقيلاً :

يـا قَـعْـدَةً فـي دجْـلَةٍ والـرِّيـحُ تَـلْعَبُ بـالـجسُـورِ
يـا شُـؤْمَ إقْـبَـالِ الـشـتَـا ءِ أضَـرَّ بـالـشَّيْـخِ الـفَـقِـيـرِ
يـا لَـيْـلَةَ الـعـريَـانِ غَـبَّ عَـشِـيَّـةِ الـيَـوْمِ الـمَـطِـيـرِ
يـا نَـوْمَـةً فـي شَـمْسِ آب عَـلَى الـتُّـرَابِ بـلا حَـصِـيـرِ
يـا فَـجْـأَةَ الـمَـكْـرُوهِ فـي الـيَـوْمِ العَبُـوسِ القَـمْـطَرِيـرِ
يـا حَـيْـرَةَ الـعَـطْشَـانِ وَقْـتَ الـظُّهْـرِ فـي وَسْطِ الـهَـجِـيـرِ

* * *

قال عبد المحسن الصوري[2] يهجو أخاه عبد الصمد :

قَـالَ لـي : أنْـتَ أخُـو الـكَـلْبِ وفـي ظَـنِّـهِ أنْ قَـدْ تَـنَـاهَـى وَاجْـتَـهَـدْ
أحْـمَـدُ الـلَّهَ كَـثـيـراً أنَّـهُ مَـا دَرَى أنّـي أخُـو عَبْـدَ الـصَّـمَـدْ

* * *

دخل أبو دلامة[3] ، الخفيف الظّلّ ، على الخليفة العبّاسيّ ، المهدي[4] ،

---

(١) حسين بن أحمد بن محمد بن جعفر بن محمد بن الحجاج ، أبو عبد الله ، شاعر فحل ، توفي في قرية النيل (على الفرات بين بغداد والكوفة) ودفن في بغداد . (الأعلام للزركلي ٢/٢٤٩) .

(٢) عبد المحسن الصُّوري : أبو محمد ، ويلقب بابن غلبون (٣٢٩ هـ - ٩٥٠ م/٤١٩ هـ - ١٠٢٨ م) ، شاعر من أهل صور من بلاد الشام ، مولده ووفاته فيها . (الأعلام للزركلي ٤/٢٩٥) .

(٣) أبو دلامة : زند بن الجون الأسدي ، شاعر مطبوع (توفي ١٦١ هـ - ٧٧٨ م) ، من أهل الظرف والدعابة ، كان أسود اللون اتهم بالزندقة لتهتكه . (الأعلام للزركلي ٣/٨٤) .

(٤) محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي العباسي ، أبو عبد الله (١٢٧ - ١٦٩ هـ/٧٤٤ - ٧٨٥ م) ، من خلفاء الدولة العباسية في العراق ، مات في ماسبذان ، صريعاً عن دابته في الصيد ، وقتل مسموماً . (الأعلام للزركلي ٧/٩١) .

وكان عنده جماعة من بني هاشم ومن أقاربه ، فطلب منه الخليفة ، بإلحاح ، أن يهجو واحداً من الحضور ، فقال أبو دلامة : فازددتُ حيرة ، فما رأيتُ أسلمَ من أن أهجو نفسي ، فقلت :

ألاَ بَلِّغْ لَدَيْكَ أَبَا دُلاَمَهْ ... فَلَسْتَ مِنَ الكِرَامِ وَلاَ كَرَامَهْ
جَمَعْتَ دمَامَةً وَجَمَعْتَ لُؤْماً ... كَذَاكَ اللُّؤْمُ تَتْبَعُهُ الدَّمَامَهْ
إذَا لَبِسَ العِمَامَةَ قُلْتَ قِرْدٌ ... وَخِنْزِيرٌ إذا نَزَعَ العِمَامَهْ

* * *

وقال الحمدوني[1] في هجاء بخيل يدعى أبا زرارة :

رَأَيْتُ أَبَا زَرَارَةَ قَالَ يَوْماً ... لِحَاجِبِهِ وفي يَدِهِ الحُسَامُ
لَئِنْ وُضِعَ الخِوَانُ وَلاَحَ شَخْصٌ ... لأَخْتَطِفَنَّ رَأْسَكَ وَالسَّلاَمُ
فَقَالَ: سِوَى أبِيكَ فَذَاكَ شَيْخٌ ... بَغِيضٌ لَيْسَ يَرْدَعُهُ الكَلاَمُ
فَقَامَ وَقَالَ مِنْ حَنَقٍ عَلَيْهِ ... بِبَيْتٍ لَمْ يَرِدْ فيهِ القِيَامُ:
أبي وَآبْنَا أبي وَالكَلْبُ عِنْدِي ... بِمَنْزِلَةٍ إذا حَضَرَ الطَّعَامُ
إذا حَضَرَ الطَّعَامُ فَلاَ حُقُوقٌ ... عَلَيَّ لِوَالِدِيَّ وَلاَ ذَمَامُ
فَمَا في الأَرْضِ أَقْبَحُ مِنْ خُوَانٍ ... عَلَيْهِ الخُبْزُ يَحْضُرُهُ الزِّحَامُ

* * *

وقال أبو زيد العبديّ في مهجوّه :

وَلَقَدْ قَتَلْتُكَ بالهِجَاءِ فَلَمْ تَمُتْ ... إنّ الكِلاَبَ طَوِيلَةُ الأعمارِ

* * *

قال ابن الأكثمي يهجو وزيراً :

يَا وَزِيراً إلَى المَكَا ... يِيلِ وَالبَيْعِ يُنْسَبْ

---

(١) الحمدوني : هو عبد الله الحموي الحمدوني الشافعي الأزهري (كان حياً سنة ١١٣٣ هـ - ١٧٢١ م) ، له شرح الشمائل للترمذي .

وإذا ما رَجَوتَهُ قُلْتَ : مَا مَاتَ أشْعَبْ
يَا وَضِيعاً تَرَجَّلَ المَجْـ ـدُ مذ صَارَ يَرْكَبْ

* * *

وقالَ أبو إسحاق الصابىء[1] في أحدهم :

يا جامِعاً لِخِلَالٍ قَبِيحَةٍ لَيْسَ تُحْصَى
نَقَصْتَ مِنْ كُلِّ فَضْلٍ فَقَدْ تَكَامَلْتَ نَقْصَا
لَوْ أنَّ لِلْجَهْلِ شَخْصاً لَكُنْتَ لِلْجَهْلِ شَخْصَا

* * *

وقال فيه أيضاً :

أيُّها النَّابِحُ الذي يَتَصَدَّى بِقَبِيحٍ يَقُولُهُ لِجَوَابِي
لا تُؤَمِّلْ أنّي أقُولُ لَكَ: آخَسَأْ لَسْتُ أسْخُو بها لِكُلِّ الكِلاَبِ

* * *

وقال يهجو الدولة بزمانه :

أَلاَ قُلْ لأهْلِ الدَّوْلَةِ النَّذْلَةِ التي ثَوَى دَاؤها فينا وَأَعْيَا دَوَاؤُهَا
لَقَدْ كُبَّتِ الدُّنْيَا على أمِّ وَجْهِهَا فَنَحْنُ لَهَا أرْضٌ وأنْتُمْ سَمَاؤُها
فَلاَ تَفْرَحُوا بالحَظِّ مِنْهَا فإنَّهُ قَلِيلٌ عَلَى هذا المُحَالِ بَقَاؤُها

* * *

وقال في أحد مهجوّيه :

وَرَاكِبٍ فَوْقَ طَرْفٍ كأنَّهُ فَوْقَ طَرْفي

---

(١) أبو إسحاق الصابىء : إبراهيم بن هلال بن إبراهيم الحراني (٣١٣ هـ - ٩٢٥ م/ ٣٨٤ هـ - ٩٩٤ م) ، له كتاب (الناجي) في أخبار بويه ، وله ديوان شعر . (الأعلام للزركلي ٧٣/١) .

لَـهُ قَـذَالٌ عَـرِيضٌ يَـجُـلُّ عَـنْ كُـلِّ وَصْـفِ
يَـذُوبُ شَـوْقـاً إلَـيْـهِ نَـعْـلي وَخُـفِّـي وَكَـفِّـي

* * *

قال ابن لَنْكك في ناس زمانه :

يـا فَلكـاً دَارَ بـالنَّـذَالَـةِ وَالجَهْـلِ إلـى كَـمْ تَـدُورُ يـا خَـرِفُ
فَـعَـاقِـلٌ مـا يَـبُـلُّ أُنْـمُـلَةً وَجَـاهِـلٌ بـالـيَـدَيْـنِ يَـغْـتَـرِفُ

ولـه أيضـاً :

عَـدِّنَـا فـي زَمَـانِـنَـا عَـنْ طَـرِيـقِ الـمَـكَـارِمِ
مَـنْ كَـفَـى الـنَّـاسَ شَـرَّهُ فَـهْـوَ فـي جُـودِ حَـاتِـمِ

* * *

وقـال ابن لنكك يهجـو المجتمع ، ومـا آل إليه من تـدهور في الأخـلاق عند الرجال والنساء ، وإسفاف في العلم ، وكفر في الدين :

يـا زَمَـانـاً أَلْـبَسَ الأَحْـ ـرَارَ ذُلاًّ وَمَـهَـانَـهْ
لَـسْـتَ عِـنْـدِي بِـزَمَـانٍ إنّـمـا أَنْـتَ زَمَـانَـهْ[1]
كَـيـفَ نَـرْجُـو مِـنْـكَ خَـيْـراً والـعَـلاَ فـيـك مُـهَـانَـهْ
أَجُـنُـونٌ مـا نَـرَاهُ مِـنْـكَ يَـبْـدُو أم مَـجَـانَـهْ[2]

* * *

قال ابن عنّين[3] يهجو مدينة بخارى[4] :

---

(١) الزمانة : العاهة .

(٢) المجانة : المزاح وقلّة الحياء .

(٣) محمـد بن نصـر الله بن مكـارم بن الحسن ، أبـو المحـاسن ، (٥٤٩ ـ ٦٣٠ هـ/١١٥٤ ـ ١٢٣٢ م) ، مولده ووفاته في دمشق . له ديوان شعر ـ ط، ومقراض الأعـراض : قصيدة في نحـو ٥٠٠ بيت ، والتاريـخ العزيـزي ـ ط ، في سيرة الملك العـزيـز . (الأعـلام للزركلي ٣٤٨/٧) .

(٤) بخارى : من أعظم مدن ما وراء النهر افتتحها سعيد بن عثمان بن عفان سنة ٥٥ م .

آلَيْتُ لا آتي بخارى بَعْدَها ... وَلَوْ أنَّها في الأرْض دارُ خُلُودِ
فَلَقَدْ حَلَلْتُ بها حَنِيفاً مُسْلِماً ... وَرَحَلْتُ عَنْها بآعْتِقَادِ يَهُودِي

* * *

وقال أحدهم في هجاء حكومة :

قَالُوا : حُكُومَتُنَا شُورَى . فَقُلْتُ لَهُمْ ... أنْعِمْ وَأكْرِمْ فهٰذا القَصْدُ والأربُ
في البَرْلَمَانِ رِجَالٌ لَيْسَ يَنْقُصُهُمْ ... عَنِ البَهَائِمِ إلاّ السَّرْجُ والذَّنَبُ[1]
فَلِلْمَسَاكين ما جادُوا بِخَرْدَلَةٍ : ... إلاّ وَكَانَتْ مِنَ الشيء الذي نَهَبُوا
هَلْ يَقْبَلُ الشَّرْعُ بالخِنْزِيرِ تَضْحِيَةً ... يا لَيْتَ ما نَهَبُوا مِنَّا وَلاَ سَلَبُوا

* * *

وقال آخر :

بِنْتَ الحُكُومَةِ هَلْ إلَيْكِ طَرِيقُ ... لا شَكَّ دُونَ وِصَالِكِ التَّمْلِيقُ
أوَلَيْسَ مِهْرَكِ يا فَتَاةُ ثَلاثَةً ... الكِذْبُ والتَّدْلِيسُ وَالتَّلْفِيقُ
وَكَما عَلِمْتِ شَمَائِلِي وَتَفضُّلِي ... خالي الوَزِيرُ وعَمّي البَطْرِيقُ[2]
فَمَضَيْتُ لا ألْوِي على شيءٍ سِوَى ... قَبْضَ المعاشِ وَمَا أقُولُ حَقِيقُ

* * *

وقال أبو إسحاق إبراهيم في ناس زمانه :

لا تَصْلُحُ الأرْضُ ولا تَسْتَوِي ... إلاّ بِكُمْ يا بَقَرَ العَالَمِ
مَنْ قَالَ لِلْحَرْثِ خُلِقْتُمْ فَلَمْ ... يَكْذِبْ عَلَيْكُمْ لا وَلَمْ يَأْثَمِ
وَأنْتُمُ عَارٌ عَلَى آدَمٍ ... لأنَّكُمْ غَيْرُ بَنِي آدَمِ

* * *

(١) السرج : ما يوضع على ظهر الدابة ليُركب .
(٢) البطريق : القائد من قوّاد الروم ، أو الماهر في الشؤون الحربيّة .

وقال ابن الحجّاج في أحد مهجوّيه :

حَلَّ بِيَافُوخِكَ مِنّي الذي ... يَحِلُّ يَوْمَ العِيدِ بالطَّبْلِ
لا تَجْهَلِ اليَوْمَ على مَنْ لَهُ ... مَعْرِفَةٌ بالعَقْلِ والجَهْلِ
فَتًى وإنْ زَلَّتْ بِهِ نَعْلُهُ ... أصَفْعُ خَلْقِ اللَّهِ بالنَّعْلِ

* * *

وقال أبو سهل الطوسي في دولة زمانه :

يا دَوْلَةً لَيْسَ فيها ... مِنَ المعالي شَظِيَّهْ
زُولي فما أنْتِ إلّا ... عَلَى الكرامِ بَلِيَّهْ

* * *

وقال أبو الفضل الميكالي يهجو الدهر :

يا دَهْرُ ما أقْسَاكَ يا دَهْرُ ... لَمْ يَحْظَ فِيكَ بِطَائِلٍ حُرُّ
أمَّا اللِّئَامُ فَأَنْتَ صَاحِبُهُمْ ... وَلَهُمْ لَدَيْكَ العَطْفُ والنَّصْرُ
يَبْقَى اللَّئِيمُ مَدَى الحَيَاةِ فَلا ... يَرْتَاعُ مِنْهُ لِحَادِثٍ صَدْرُ
تَصْفُو لَهُ الدُّنْيا بلا كَدَرٍ ... وَيُطِيعُهُ في عَيْشِهِ اليُسْرُ
فَمَرَامُهُ سَهْلٌ وَكَوْكَبُهُ ... سَعْدٌ وَغُصْنُ سُرُورِهِ نَضْرُ
وَعَلى الكَرِيمِ يَدٌ يُسَلِّطُها ... مِنْكَ الجَفَاءُ المُرُّ والقَسْرُ
مَرْعَاهُ جَدْبٌ وَالحُظُوظُ لَهُ ... حَرْبٌ وَجَانِبُ عَيْشِهِ وَعْرُ
وَجَنَاهُ شَوْكٌ وَالبُحُورُ لَهُ ... وشَلٌ ، وَحَشْوُ فُؤَادِهِ جَمْرُ
يا دَهْرُ دَعْ ظُلْمَ الكِرَامِ فَهُمْ ... عِقْدٌ لِنَحْرِكَ لَوْ دَرَى النَّحْرُ
سَالِمْهُمُ وَاسْتَبْقِ وُدَّهُمُ ... فَهُمُ نُجُومُ ظَلامِكَ الزُّهْرُ

* * *

وقال الحمدوني يهجو ثقيلاً :

سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ إلّا صَدَقْتَ ... وَعِلْمِي بِأَنَّكَ لا تَصْدُقُ

أَتُبْغِضُ نَفْسَكَ مِنْ ثِقْلِهَا وإلاّ فأَنْتَ، إذَن، أحْمَقُ

* * *

وقال أبو الحسن الحرّاني في أهل خوارزم :

ما أهْلُ «رِزْمٍ» مِنْ سُلاَلَةِ آدَمٍ مَا هُمْ وَحَقِّ اللَّهِ غَيْرُ بَهَائِمِ
أتَرَى شَبِيهَ رُؤُوسِهِمْ وَلُغَاتِهِمْ وَصِفَاتِهِمْ وَثِيَابِهِمْ في العَالَمِ ؟
إنْ كَانَ يَقْبَلُهُمْ أبُونَا آدَمٌ فَأنَا بَرِيءٌ مِنْ أبِينَا آدَمِ

* * *

وقال موسى بن عبد الله[1] يهجو ناس زمانه :

تَوَلَّتْ بَهْجَةُ الدُّنْيَا فَكُلُّ جَدِيدِهَا خَلَقُ
وخَانَ النَّاسَ كُلَّهُمُ فَمَا أدْرِي بِمَنْ أثِقُ
رَأَيْتُ مَعَالِمَ الخيرا تِ سُدَّتْ دُونَهَا الطُّرُقُ
فَلاَ حَسَبٌ وَلاَ نَسَبٌ وَلاَ دِينٌ وَلاَ خُلُقُ
فَلَسْتُ مُصَدِّقَ الأَقْوَا مِ فِي شَيْءٍ وَإنْ صَدَقُوا

* * *

وقال عبد الواحد الرشيدي في هجاء نائب :

قُلْتُ لِلنَّائِبِ الذي قَدْ رَأَيْنَا مَعَايِبَهْ
لَسْتَ عِنْدِي بِنَائِبٍ إنّما أنْتَ نَائِبَهْ

* * *

(١) موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) (موسى العلوي) توفي نحو (١٨٠ هـ ـ ٧٩٦ م) ، من شعراء الطالبيين ، سكن بغداد وعاش إلى أيام الرشيد . (الأعلام للزركلي ٨/ ٢٧٥) .

وَرَدَ في إحدى مقامات بديع الزمان الهمذاني في هجاء قومٍ على لسان ذي الرّمّة[1] :

هُمُ القَوْمُ لا يَأْلَمُونَ الهِجَاءَ ... وَهَلْ يَأْلَمُ الحَجَرُ اليَابِسُ؟
فَمَا لَهُمُ في الفَلا رَاكِبٌ ... وَلا لَهُمُ في الوَغَى فَارِسُ
إذا طَمَحَ النَّاسُ لِلْمَكْرُمَاتِ ... فَطَرْفُهُمُ المُطْرِقُ النَّاعِسُ
تَعَافُ الأَكَارِمُ إصْهَارَهُمْ ... فَكُلُّ نِسَائِهِمُ عَانِسُ

* * *

قال عبد الصّمد بن المعذَّل[2] :

عَذِيرِي مِنْ أخٍ قَدْ كَانَ يُبْدِي ... عَلَى مَنْ لابَسَ السُّلْطَانَ عَتْبَهْ
وَكَانَ يَذُمُّهُمْ في كُلِّ يَوْمٍ ... لَهُ بالجَهْلِ والهَذَيانِ خُطْبَهْ
فَلَمّا أنْ أتَتْهُ دُرَيْهِمَاتٌ ... مِنَ السُّلْطَانِ بَاعَ بِهِنَّ رَبَّهْ

* * *

كان عليّ بن بسّام مولعاً بهجاء أبيه ، فقال ابن المعتز[3] يهجوه:

مَنْ شَاءَ يَهْجُو عَلِيّاً ... فَشِعْرُهُ قَدْ كَفَاهُ
لَوْ أنَّهُ لأَبِيهِ ... ما كَانَ يَهْجُو أَبَاهُ

* * *

---

(١) ذو الرمة : غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي (٧٧ هـ - ٦٩٦ م/١١٧ هـ - ٧٣٥ م) ، أبو الحارث ، له ديوان شعر ، توفي بأصبهان وقيل : بالبادية . (الأعلام للزركلي ٥/٣١٩ ، ٣٢٠) .

(٢) عبد الصمد بن المعذل بن غيلان بن الحكم العبدي (توفي نحو ٢٤٠ هـ - ٨٥٤ م) ، أبو القاسم ، من شعراء الدولة العباسية ، ولد ونشأ في البصرة . (الأعلام للزركلي ٤/١٣٤) .

(٣) ابن المعتز : عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد ، أبو العباس (٢٤٧ هـ - ٨٦١ م/٢٩٦ هـ - ٩٠٩ م) ، شارع مبدع ، خليفة يوم وليلة ، له ديوان شعر . (الأعلام للزركلي ٤/٢٦١ ، ٢٦٢) .

قال ابن بسّام في العبّاس بن الحسين لمّا استوزره الخليفة المكتفي :

وِزَارَةُ الـعبّـاسِ مِـنْ نَـحْـسِـهـا ... سَـتَـقْـلَعُ الـدَّوْلَـةَ مِـنْ أُسِّـهـا
شَـبَّـهْـتُـهُ لَـمّـا بَـدَا مُـقْـبِـلاً ... فـي خِـلَعٍ يَـخْـجَـلُ مِـنْ لُـبْـسِـهَـا
جَـارِيَـةً رَعْـنَـاءَ قَـدْ قَـدَّرَتْ ... ثِـيَـابَ مَـوْلاَهَـا عـلى نَـفْـسِـهَـا

* * *

وقال بديع الزمان الهمذاني يهجو القاضي أبا بكر الحِيريّ :

والـكَـلْبُ أحْـسَـنُ حَـالَـةً ... وَهْـوَ النِّهـايَـةُ فـي الخَـسَـاسَـهْ
مِـمَّـنْ تَـصَـدّى لِـلرِّيَـا ... سَـةِ قَـبْـلَ إبّـانِ الـرِّيَـاسَـهْ

* * *

قيل في أبي هفّان[1] ، العالم اللغويّ :

لـي صَـدِيقٌ فـي خِـلْقـةِ الـشَّـيْـطَانِ ... وَعُـقُـولِ الـنِّـسَـاءِ وَالـصِّـبْـيَـانِ
مَنْ تَـظُـنُّـونَـهُ؟ فَقَـالـوا جَـمِيعـاً: ... لَـيْسَ هٰـذا إلاّ أبُـو هَـفّـانِ

* * *

وقال ابن بسّام في هجاء الوزراء الثلاثة من بني الفرات :

يـا رَبّ إنّـك عـدْلٌ ... عَـلَى الـبَـرِيَّـةِ شَـاهِـدْ
بَـنُـو الـفُـرَاتِ ثِـقَـالٌ ... وَكُـلُّهُـمْ لَـكَ جَـاحِـدْ
ثَـلاثَـةٌ لَـيْسَ فـيـهِـمْ ... إلاَّ ثَـقِـيـلٌ وَبَـارِدْ
يـا رَبّ إنْ كـان لا بُـدَّ ... مِـنْ ثَـقِـيـلٍ .. فَـوَاحِـدْ

* * *

---

(١) أبو هفان : عبد الله بن أحمد بن حرب (توفي نحو ٢٥٧ هـ ـ ٨٧١ م)، راوية ، عالم بالشعر والأدب ، من أهل البصرة ، سكن بغداد ، له « أخبار الشعرا » ، و « صناعة الشعر » . (الأعلام للزركلي ٤/١٨٨) .

وقال أبو هفّان يهجو قبيلة باهلة وشاعرها الذي كان قد هجاه :

أَبَاهِلَ يَنْبَحُنِي كَلْبُكُمْ ... وأُسْدُكُمُ كَكِلَابِ العَرَبْ
لَوْ قِيلَ لِلْكَلْبِ: يا بَاهِلِيُّ ... عَوَى الكَلْبُ مِنْ لُؤْمِ هذا النَّسَبْ

* * *

هجا العالم اللغوي أحمد بن يحيى ثعلب[1] زميله المبرّد[2] ، فردّ عليه هذا ، فقال :

شَاتَمَنِي عَبْدُ بَنِي مِسْمَعٍ ... فَصُنْتُ عَنْهُ النَّفْسَ وَالعِرْضَا
وَلَمْ أُجِبْهُ لاحْتِقَارِي لَهُ ... مَنْ ذا يَعُضُّ الكَلْبَ إنْ عَضّا

* * *

وقال أحدهم يهجو محمّد بن يزيد المعروف بالمبرّد ، ويهجو قبيلة ثمالة التي ينتسب إليها :

سَأَلْنَا عَنْ ثُمَالَةَ كلَّ حَيٍّ ... فَقَالَ القَائِلُونَ: وَمَنْ ثُمَالَهْ؟
فَقُلْتُ: مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ مِنْهُمْ! ... فَقَالُوا: زِدْتَنَا بِهِمْ جَهَالَهْ
فَقَالَ لِيَ المُبَرِّدُ: خَلِّ قَوْمِي ... فَقَوْمِي مَعْشَرٌ فِيهِمْ نَذَالَهْ

* * *

---

(١) ثعلب : أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني ، أبو العباس (٢٠٠ هـ - ٨١٦ م/٢٩١ هـ - ٩٠٤ م) ، نحوي ، راوية للشعر محدث ، ولد ومات في بغداد ، له كتب عديدة في النحو وغيره . (الأعلام للزركلي ٢٥٢/١) .

(٢) محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي ، أبو العباس ، المبرد ، (٢١٠ - ٢٨٦ هـ/٨٢٦ - ٨٩٩ م) ، إمام بالعربية ببغداد في زمانه ، وأحد أئمة الأدب والأخبار ، مولده بالبصرة ووفاته ببغداد . من كتبه الكامل ، والمذكر ، والمؤنث ، والمقتضب ، وشرح لأمية العرب ، وإعراب القرآن ، وطبقات النحاة البصريين ، ونسب عدنان وقحطان ، والمقرب . (الأعلام للزركلي ١٥/٨) .

قال الجمّاز يهجو أبا العيناء[1] :

كَـذِبُـوا لَـيْسَ أَبُـو الـعَـيْـ ـنـاءِ فـي الـكُـفْـرِ دَعِـيًّـا
ظَـلَمُـوا الـبَـائِسَ مَـا زَا لَ مِـنَ الـلَّهِ بَـرِيًّـا
وَبِـذَا نَـعْـرِفُـهُ مُـذْ كـان ـ لا كـان ـ صَـبِـيًّـا
فـآخْـبِـرُوهُ تَـجِـدُوهُ بـالَّـذِي قُـلْتُ مَـلِيًّـا

* * *

وقال أحمد بن أبي طاهر في أبي العيناء الذي كان يكثر من السجع :

سَـجْـعُ أبـي الـعَـيْـنَـاءِ مِـنْ رَجْـعِـهِ فَـلَـعْـنَـةُ الـلَّهِ عـلى سَـجْـعِـهِ
كـأنَّ مَـنْ يَـسْـمَـعُ ألْـفَـاظَـهُ يُـقْـذَفُ صُمُّ الـصَّخْـرِ فـي سَـمْـعِـهِ
قَـدْ طَـبَـعَ الـلَّهُ عـلى قَـلْـبِـهِ فـالـكُـفْـرُ مُـسْـتَـوْلٍ عَـلَى طَـبْـعِـهِ
لا تُـكْـثِـرُوا فِـيـهِ فَـلا بُـدَّ لِـي أَسَـاءَ أو أَحْـسَـنَ مِـنْ ضَـعْـفِـهِ

* * *

كـان بين نـظام الملك بن إسحـاق وتـاج الملك أبي الغنـائم، وهمـا من وزراء العصر السلجوقي ، شحناء ومنافسة ، فانتصر ابن الهبّاريّة[2] لتاج الملك ، وقال يهجو نظام الملك :

لَا غَـرْوَ إنْ مَـلَكَ آبْـنُ إسْـ ـحَـاقٍ وَسَـاعَـدَهُ الـقَـدَرْ
وَصَـفَـتْ لَـهُ الـدُّنْـيـا وَخُصَّ أبـو الـغَـنـائِـم بـالـكَـدَرْ
فَـالـدَّهْـرُ كـالـدولاب لَـيْـ ـسَ يَـدُورُ إلّا بـالـبَـقَـرْ

* * *

---

(١) محمد بن القاسم بن خلّاد بن ياسر الهاشمي (١٩١ ـ ٢٨٣ هـ/٨٠٧ ـ ٨٩٦ م) ، شاعر أديب فصيح ، من ظرفاء العالم ، ومن أسرع الناس جواباً . مولده بالأهواز ، ومنشأه ووفاته في البصرة . (الأعلام للزركلي ٢٢٦/٧) .

(٢) ابن الهبارية : محمد بن محمد بن صالح العباسي (٤١٤ هـ ـ ١٠٢٣ م/٥٠٩ هـ ـ ١١١٥ م) ، أبو يعلى شاعر هجّاء ، ولد ببغداد وتوفي في كرمان ، له ديوان شعر ، ومن كتبه (الصادح والباغم) . (الأعلام للزركلي ٢٤٨/٧) .

وقال أبو العلاء المعرّي[1] في بعض المتصوّفة :

أرَى جِيلَ التَّصَوُّفِ شَرَّ جِيلٍ ... لَقَدْ جِئْتُمْ بِشَيْءٍ مُسْتَحِيلِ
أقَالَ اللَّهُ حِينَ عَشِقْتُمُوهُ: ... كُلُوا أكْلَ البَهَائِمِ وارْقُصُوا لي

* * *

وقال القاضي الجليس السعدي أمين الدين في طبيب جاهل :

وأصْلُ بَلِيَّتي مَنْ قَدْ غَزَانِي ... مِنَ السُّقْمِ المُلِحِّ بِعَسْكَرَيْنِ
طَبِيبٌ طِبُّهُ كَغُرَابِ بَيْنٍ ... يُفَرِّقُ بَيْنَ عَافِيَتِي وَبَيْنِي
أتَى الحُمَّى وَقَدْ شَاخَتْ وَبَاخَتْ ... فَعَادَ لَهَا الشَّبَابُ بِنَسْخَتَيْنِ

* * *

وَقَالَ أحدهم يهجو زمانه وناسه :

أَرَى الدَّهْرَ يُكْرِمُ جُهَّالَهُ ... وَأَعْظَمُ قَدْراً بِهِ الجَاهِلُ
وَأَنْظُرُ حَظِّي بِهِ نَاقِصاً ... أيَحْسَبُنِي أنَّنِي فَاضِلُ؟!!

* * *

وقال أبو تمام[2] :

يَنَالُ الفَتَى مِنْ دَهْرِهِ وَهْوَ جَاهِلٌ ... وَيُكْدِي الفَتَى مِنْ دَهْرِهِ وهو عَالِمُ
وَلَوْ كَانَتِ الأرْزَاقُ تجري عَلَى الحِجَى ... هَلِكْنَ، إذَنْ، مِنْ جَهْلِهِنَّ البَهَائِمُ

* * *

(١) أبو العلاء المعري : أحمد بن عبد الله بن سليمان (٣٦٢ هـ - ٩٧٣ م/ ٤٤٩ هـ ١٠٥٧ م) ، شاعر فيلسوف ، ولد ومات في معرة النعمان ، له مصنفات عديدة . (الأعلام للزركلي ١/ ١٥٠) .

(٢) حبيب بن أوس بن الحارث الطائي (١٨٨ - ٢٣١ هـ/ ٨٠٤ - ٨٤٦ م) ، ولد في جاسم (من قرى حوران بسورية) ، ورحل إلى مصر له تصانيف منها : « فحول الشعراء » و « ديوان الحماسة » و « نقائض جرير والأخطل » . (الأعلام للزركلي ٢/ ١٧٠) .

وقال البهاء زهير[1] يهجو صاحب لحية كبيرة :

وأحْمَقَ ذي لِحْيَةٍ كَبِيرَةٍ مُنْتَشِرَهْ
طَلَبْتُ فِيهَا وَجْهَهُ بِشِدَّةٍ فَلَمْ أرَهْ
تَبّاً لَهَا مِنْ لِحْيَةٍ كَبِيرَةٍ مُحْتَقَرَهْ
مُضْحِكَةٌ مَا كَانَ قَطُّ مِثْلُهَا لَمَسْخَرَهْ
مَعْرُوفَةٌ لٰكِنَّهُ أصْبَحَ فِيهَا نَكِرَهْ
كَأنَّهَا سَحَابَةٌ فَوْقَ البِلَادِ مُمْطِرَهْ
فَلَوْ مَضَى السَّوقَ بِهَا وَزَفَّهَا بِالمِزْمَرَهْ
لَحَصَّلَتْ لَه مَغَلَّ ضَيعَةٍ مُوَفِّرَهْ

* * *

وقال الأرّجاني[2] في بعضهم :

لاتَحْسِبَنْ أنَّ هَجْوِي فِيكَ مَكْرُمَةٌ شِعْرِي بِهَجْوِ لَئِيمٍ قَطُّ ما سَمَحَا
لٰكِنْ أُجَرِّبُ طَبْعِي فِيكَ فَهْوَ كَمَا جَرَّبْتَ في الكَلْبِ سَيْفاً عِنْدَ مَا نَبَحَا

* * *

وقال ابن عنّين يهجو رجال الدولة الأيّوبيّة :

قَدْ أصْبَحَ الرِّزْقُ ما لَهُ سَبَبُ في النَّاسِ إلّا البَغَاءُ وَالكَذِبُ
عُيُوبُ قَوْمٍ لَوْ أنَّها جُمِعَتْ في فَلَكٍ ما سَرَتْ بِهِ شُهُبُ

* * *

---

(١) البهاء زهير : زهير بن محمد بن علي المهلبي العتكي (٥٨١ هـ - ١١٨٦ م/٦٥٦ - ١٢٥٨ م) ، شاعر ، ولد بمكة وتوفي بمصر ، له ديوان شعر ترجم إلى الإنكليزية . (الأعلام للزركلي ٣/٨٨) .

(٢) الأرجاني : أحمد بن محمد بن الحسين (٤٦٠ هـ - ١٠٦٨ م/٥٤٤ هـ - ١١٤٩ م) ، أبو بكر ، شاعر ، توفي بتستر ، له ديوان شعر . (الأعلام للزركلي ١/٢٠٩) .

وقال أبو أحمد يحيى بن علي يهجو يعقوب بن إسحاق بن صليبا الكاتب :

لَعَمْرُكَ لَوْلَا إباءُ الأباةِ ... وَأَنَّكَ تَصْغُرُ عَنْ أنْ تُسَبْ
وَأَنَّ اللُّيُوثَ تَعَافُ الكِلَابَ ... وَلَا سِيَّمَا الكَلْبُ مِنْهَا الكَلِبْ
وَإِيثَارِيَ العَفْوَ عَنْ قُدْرَةٍ ... غَدَا ٱبْنُ صَلِيبَا، إذَنْ، قد صُلِبْ
وَلَا عَيْبَ فيه سِوَى أنَّهُ ... إذا مَا ذَكَرْنا أَبَاهُ غَضِبْ

* * *

وقال البوصيري[1] في الكتّاب والقضاة والفقهاء والنظّار وجماعة الموظّفين الذين لا هَمّ لهم إلّا جمع المال ، في العصر المملوكي :

ثَكِلَتْ طَوَائفَ المُسْتَخْدَمِينَا ... فَلَمْ أَرَ فِيهِمْ رَجُلاً أمِينَا
فَخُذْ أخْبَارَهُمْ مِنِّي شِفَاهاً ... وأنْظِرْنِي لأُخْبِرَكَ اليَقِينَا
حَوَتْ « بَلْبِيسُ » طائِفَةً لُصُوصاً ... عَدَلْتَ بِواحِدٍ مِنْهُمْ مئِينا
وَجُلُّ النَّاسِ خُوَّانٌ وَلٰكِنْ ... أُنَاسٌ مِنْهُمُ يَتَسَتَّرُونَا
وَلَوْلَا ذَاكَ ما لَبِسُوا حَرِيراً ... وَلَا شَرِبُوا خُمُورَ الأنْدَرِينا
وَلَا رَبُّوا مِن المردان قَوْماً ... كأغصَانٍ يَقُمْنَ وَيَنْحَنِينَا
أقامُوا في البِلَادِ لَهُمْ جُبَاةً ... لِقَبْضِ مَغَلِّهَا كالمُقْطِعِينا
تَحَيَّلَتِ القُضَاةُ، فخانَ كُلٌّ ... أَمَانَتَهُ وَسَمَّوهُ الأمِينَا
وَكَمْ جَعَلَ الفَقِيهُ العَدْلَ ظُلْماً ... وَصَيَّرَ باطِلاً حَقّاً مُبِينا
فَلَا تَقْبَلْ مِنَ النوَّابِ عُذْراً ... وَلَا النَّظَّارِ فِيما يُهمِلُونا
تَوَرَّعَ مَعْشَرٌ مِنْهُمْ وَعُدُّوا ... مِنَ الزُّهَّادِ والمُتَوَرِّعِينَا

---

(١) محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله الصنهاجي البوصيري ، أبو عبد الله (٦٠٨ - ٦٩٦ هـ/١٢١٢ - ١٢٩٠ م) ، شاعر ، حسن الديباجة ، مليح المعاني ، مولده في بهشيم من أعمال البهنساوية ، له ديوان شعر مطبوع . (الأعلام للزركلي ١١/٧) .

وَقِيلَ: لَهُمْ دُعَاءٌ مُسْتَجابٌ وَقَدْ مَلأوا من السُّحْتِ البُطُونا[1]

* * *

وقال أبو عُيينة[2] يهجو خالد:

خَالِدٌ لَوْلا أَبُوهُ كَانَ والكَلْبَ سَوَاءَ
لو كما يَنْقُصُ يزدا د، إذَنْ، نَالَ السَّمَاءَ

* * *

قال ابن عنّين يهجو ابن عساكر[3]:

يَا بْنَ العَسَاكِرِ إنْ صَحَّ آنْتِسَابُكَ ذا فَأَنْتَ مِنْ أُمَمٍ صُوِّرْتَ مَسْبُوكا
يا بْنَ الدَّجاجَةِ كُلُّ النَّاسِ كَانَ لَهُ أَبٌ فأنْتَ آبْنُ مَنْ حَتَّى أُنَاديكا؟

فأجاب عنه أمين العمري الموصلي:

يا مَنْ لِعِنِّينٍ لَهُ نِسْبَةٌ مَا هٰذِهِ النِّسْبَةُ أمْرٌ حَسَنْ
تُعَيِّرُ النَّاسَ بِأَنْسَابِهِمْ أَبُوكَ عِنِّينٌ فأنْتَ آبْنُ مَنْ؟[4]

* * *

---

(١) السحت: الحرام، الرشوة.

(٢) موسى بن كعب بن عيينة التميمي، أبو عُيَيْنَة (ت: ١٤١ هـ - ٧٥٨ م)، والٍ، من كبار قواد الدولة العباسية، رحل إلى مصر في عام وفاته فأقام سبعة أشهر وأياماً، ثم عاد إلى بغداد، ولم يلبث أن توفي، وهو على شُرَط المنصور وعلى الهند، وخليفته في الهند، ابنه عُيَيْنَة. (الأعلام للزركلي ٢٩٧/٨).

(٣) علي بن الحسن بن هبة الله، أبو القاسم، (٤٩٩ - ٥٧١ هـ - ١١٠٥ - ١١٧٦ م)، المؤرخ الحافظ الرحّالة، مولده ووفاته في دمشق، له: تاريخ دمشق. (الأعلام للزركلي ٨٢/٥، ٨٣.

(٤) العنّين: العاجز عن الجماع.

وقال أحدهم يهجو ابن خاقان[1] وزير الخليفة العبّاسي المقتدر :

وَزِيـرٌ قَـدْ تَكَـامَـلَ في الـرّقـاعَـهْ يُـوَلِّـي ثُـمَّ يَـعْـزِلُ بَـعْـدَ سَـاعَـهْ
إذا أهْـلُ الـرُّشَـا اجْـتَمَـعُـوا عَلَيْـهِ فَـخَيْـرُ الـقَـوْمِ أوْفَـرُهُمْ بِـضَـاعَـهْ

* * *

وقال أحدهم في القاضي يحيى بن أكثم التميمي البغدادي ، وكان دميم الخلق ، متّهماً باللواط :

وكُنَّـا نُـرَجّي أنْ نَـرَى الـعَـدْلَ ظـاهِـراً فَـأَعْـقَـبَـنَـا مِـنْ بَـعْـدِذَاكَ قُـنُـوطُ
مَـتَى تَـصْـلُحُ الـدُّنْـيَـا وَيَـصْـلُحُ أَهْـلُهـا وَقَـاضِـي قُـضَـاةِ الـمُـؤْمِـنِـيـنَ يَـلُوطُ

* * *

وقال أبو عثمان الخالدي في ذَمّ الدهر والناس :

أَلِفْتُ مِنْ حَـادِثَـاتِ الـدَّهْـرِ أكْبَـرَهـا فمـا أعُـوجُ على أطْـفَـالِهـا الأُخَـرِ
لا شَيْءَ أعْجَبُ عِنْـدِي فـي تَبَـايُـنِـهِ إذا تـأمَّـلْتُـهُ مِـنْ هـذه الـصُّـوَرِ
أرَى ثِـيَـابـاً وفـي أثْـنَـائـهـا بَـقَـرٌ بـلا قُـرُونٍ وذا عَـيْـبٌ عَـلَى الـبَـقَـرِ

* * *

قال أحمد بن بكر الكاتب يهجو أحد رؤساء زمانه :

عَجَبـاً لِـلْجَمِـيـعِ إذْ نَصَّبُـوا مِثْـلك فـي صَـدْرِ مُـلْكِـهِـمْ لـلرِّيَـاسَـهْ
وَلَـوْ أنَّ التّـدْبِيـرَ والحُكْمَ في الـخَلْـ ـقِ عَلَى العَـدْلِ مـا وَلِيتَ كَنـاسَـهْ

* * *

(١) الفتح بن خاقان بن أحمد بن غرطوج ، أبو محمد (ت: ٢٤٧ هـ - ٨٦١ م) ، أديب ، شاعر ، فصيح . ألّف كتاباً سمّاه « اختلاف الملوك » ، وكتاباً في « الصيد والجوارح » ، وكتاب « الروضة والزهر » وقُتل مع المتوكل ، وهو غير الفتح بن محمد صاحب القلائد . (الأعلام للزركلي ٥/٣٣١) .

قال أبو الحسن اللحّام الحرّاني في أبي جعفر العتبي :

تَـغَـيَّـرَتْ أخْـلاَقُ هـذا الـعَـتْـبي وَصَـارَ لا يَـعْـرِفُ غَـيْـرَ الـعَـتْـبِ
وَغَـيْـرَ ضَـرْبٍ دَائـمٍ وَسَـبٍّ وَقَـدْ حَشَـا فَـصَـارَ مِـثْـلَ الـدُّبِّ
عَلَيْهِ أَلْفُ لَعْنَةٍ مِنْ رَبِّي

* * *

قال أحدهم في هجاء زمانه وناسه :

سَـأَلْتُ زَمَـاني وَهْـوَ بـالجَهْـلِ مُـولَـعٌ وبـالسُّخْفِ مَـوْصُـوفٌ وبـالنَّقْصِ مُخْتَصُّ
فَـقُلْتُ لَـهُ : هَـلْ مِـنْ طَـرِيقٍ إلى الغِـنَى فَقَـالَ : طَـرِيقَـاهُ : الـوَقَـاحَـةُ والنَّقْصُ

* * *

وقال علي بن هارون الشيباني يهجو أحد وزراء زمانه :

أيّـهـا الـتَّـائِـهُ فـي الـدَّوْ لَـةِ مَـهْـلاً فـي آقْـتِـدَارِكْ
كَـمْ إلى كَـمْ تَـجْـعَـلُ الـتِّـيـهَ عَـلَيْـنَـا مِـنْ شِـعَـارِكْ
مـا تُـبَـالـي بِـخَـرَاب الـ أَرْضِ فـي عُـمْـران دَارِكْ
تِـهْ كـمـا شِئْـتَ وَصَـلْ وَآسْطُ عَـلَيْـنَـا فـي جِـوَارِكْ
فَـلَنَـا صَـبْـرٌ عـلى ذا كَ إلـى يـوم بَـوَارِكْ

* * *

وقال بعضهم يهجو صاحب أنف عظيم :

رَأَيْـنَـا لِـلزَّكِـيِّ جِـدَارَ أنْـفٍ يُـضَـاهي في تَشَـامُخِـهِ الـجِـبَـالاَ
تَـصَـدَّى لِـلْهِـلاَلِ لـكـي يَـرَاهُ فَـلَوْلا عَـظْمُـهُ لَـرَأَى الـهِـلاَلا

* * *

وقال بديع الزمان الهمذاني يهجو زمانه :

قُـبْـحـاً لـهـذا الـزَّمَـانِ مـا أَرَبُـهْ فـي عَـمَـلٍ لا يَـلُوحُ لـي سَـبَـبُـهْ

مَـا لِـي أَرَى الـحـرَّ ذاهِـبـاً دَمُـهُ ... وَلَا أَرَى الـنَّـذْلَ ذَاهِـبـاً ذَهَـبُـهْ
أَرَاحَـنَـا الـلَّهُ مِـنْـكَ يـا زَمَـنـاً ... أَرْعَـنَ يَـصْـطَادُ صَـقْـرَهُ خَـرِبُـهْ
يـا سَـاعِـبـاً جـائِـعَ الجَـوَارِحِ لا ... يَـسْـكُـنُ إلّا بِـفَـاضِـلٍ سَـغَـبُـهْ
يـا ضَـرَمـاً فـي الأَنَـامِ مُـتَّـقِـداً ... وَالـجُـودُ والمَـجْـدُ والنُّهى حَـطَـبُـهْ
يـا صـائِـداً والـعُـلَى فَـرِيـسَـتُـهُ ... وَنَـاهِـبـاً والـجَـمَـالُ مُـنْـتَـهَـبُـهْ

* * *

وقال بعضهم يهجو امرأة :

لهـا جِسْمُ بَـرْغُـوثٍ وَسَـاقُ بَعُـوضَـةٍ ... وَوَجْـهٌ كَـوَجْـهِ القِـرْدِ أَوْ هُـوَ أَقْـبَـحُ
تُـبَـرِّقُ عَـيْـنَـيْـهَـا إذا مَـا رَأَيْـتَـهَـا ... وَتَـعْـبَسُ فـي وَجْـهِ الجَـلِيسِ وَتَـكْـلَحُ
لهـا مَـنْـظَرٌ كـالـنَّـارِ تَحْـسَـبُ أَنَّـهـا ... إذا ضَحِكَتْ في أوجُهِ النَّاسِ تَلْفَـحُ
إذا عَـايَنَ الشَّيْـطَانُ صُـورَةَ وَجْـهِـهَـا ... تَعَـوَّذَ مِنْـهَـا حِـينَ يُـمْـسِي وَيُـصْـبِـحُ

* * *

وقال ابن كثير المكّي في « كبار » زمانه :

«كـبـار» زَمَـانِـنَـا أَضْـحَـوا صِـغَـاراً ... وَقَـدْ غَضِبَ الـزَّمَـانُ عـلى الكِبَارِ
كـأنّ زَمَـانَـنَـا مِـنْ قَـوْمِ لُـوطٍ ... لَـهُ وَلَـعٌ بِـتَـقْـدِيـمِ الـصِّـغَـارِ

* * *

وقال أبو تمام يهجو دعبلاً :

أدِعْـبِـلُ إنْ تَـطَاوَلَـتِ الـلَّيَـالـي ... عَـلَيْـكَ فـإنّ شِعْـري سُـمُّ سَـاعَـهْ
وَمَـا وَفَـدَ الـمَـشِـيـبُ عَـلَيْـكَ إلّا ... بـأَخْـلَاقِ الـدَّنَـاءَةِ والـوَضَـاعَـهْ
وَوَجْـهُـكَ إنْ رَضِـيـت بـه نَـدِيـمـاً ... فـأَنْتَ نَسِيجُ وَحْـدَكَ في الـرِّقَـاعَـهْ
ولـو بَـدَّلْـتَـهُ وَجْـهـاً بِـوَجْـهٍ ... لَـمَـا صَلَّيْتَ يَـوْمـاً فـي جَـمَـاعَـهْ
مَـنَـاسِبُ طيِّـيءٍ فَسَـمَـتْ فَـدَعْـهـا ... فَلَيْسَتْ مِثْـلَ نِـسْبَتِـكَ المَسَـاعَـهْ

وَرَوِّحْ مَـنْكِـبَيْـكَ فَـقَـدْ أعِـيـدَا حُـطَاماً مِنْ زحَـامِـكَ في خَـزَاعَـهْ

* * *

رُوي أنَّ خطيب أهل حمص كان يصَّلي على النبيّ ﷺ ثلاث مـرّات في خطبته ، وكان أهل حمص كلّهم من اليمن ، لم يكن فيهم من مضَر إلاّ ثلاثة أبيات ، فتعصَّبوا على الإمام ، وعزلوه ، فقال ديك الجنّ[1] :

سَمِعـوا الصَّـلاةَ على الـنَّبيِّ تَـوالى فَـتَـفَـرَّقـوا شـيـعـاً وقـالـوا: لا لا
ثُـمَّ استَـمَـرَّ على الـصَّـلاةِ إمـامُهُـمْ فَتَحـزَّبـوا ورمى الـرِّجـالُ رجـالا
يـا آل حمْصَ تَـوقَّعـوا منْ عـارِهـا خـزْيـاً يـحـلّ عـلـيـكُـم ووبـالا
شـاهَتْ وجـوهُكُمْ وجـوهـاً طـالَمـا رَغِمَتْ معـاطِسُها وسـاءَتْ حـالا[2]

* * *

وقال دين الجن عن نفسه :

أيُّـهـا الـسَّـائِـلُ عَـنِّـي لَـسْـتَ بـي أخْـبَـرَ مِـنِّـي
أنـا إنْـسـانٌ بـرانـي الـلَّهُ فـي صُـورَةِ جِـنِّـي
بَـلْ أنـا الأسْـمَـجُ في الـعَيْنِ فَـدَعْ عَنْـكَ الـتَّـظَنِّي
أنـا لا أسْـلَمُ مِـنْ نَـفْـسِـي فَـمَـنْ يَـسْـلَمُ مِنِّـي؟؟

* * *

(١) ديـك الجن : عبـد السـلام بن رغبـان بن عبـد السـلام بن حبيب الكلبي (١٦١ هـ - ٧٧٨ م/٣٣٥ هـ - ٨٥٠ م) ، شاعر مجيد ، مولده ووفاته بحمص في (سورية) . (الأعلام للزركلي ١٢٨/٤) .

(٢) شاهت : قبحتْ . المعاطس : جمع المعطس ، وهو الأنف .

زار الشاعر رشيد سليم الخوري[1] صديقاً له يُدعى «وديع عبد المسيح»، وكان هذا الأخير منشغِلاً بأمورٍ تجاريّة ، لذلك لم يُعِرْهُ أيَّ اهتمام ، فاغتمَّ الشّاعر ، وخرج تاركاً له هذين البيتين :

أَيَا عَبْدَ المَسِيْحِ جَمِيْلُ ظَنِّي ... بِوِدِّكِ باتَ أَقْبَحَ مِنْ قَبِيْحِ
وَضِيْعاً صِرْتَ عِنْدِي لا «وَدِيْعاً» ... وَعَبْدَ القِرْدِ لا «عَبْدَ المَسِيْحِ»

* * *

قال عبد الله بن أوفى الخزاعي يهجو امرأته :

فإنْ تَشْرَبِ الزِّقَّ لا يَرْوِهَا ... وإنْ تأكُلِ الشَّاةَ لا تَشْبَعِ[2]
وَلَيْسَتْ بِتَارِكَةٍ مُحْرَماً ... وَلَوْ حُفَّ بالأسَلِ الشُّرَّعِ[3]

* * *

وقال أحدهم يهجو امرأة :

أَلْمِمْ بِوَطْبَاءَ في أشْدَاقِهَا سِعَةٌ ... في صُورَةِ الكلْبِ إلّا أنّها بَشَرُ[4]
حَدْبَاءَ وَقْصَاءَ صِيغَتْ صِيغَةً عَجَباً ... وفي تَرَائبِهَا عن صَدْرِهَا زوَرُ[5]

* * *

وقال آخر :

بَدَا فَبَدَتْ لي شقّةٌ مِنْ جَهَنَّمٍ ... فَقُمْتُ وما لي بالجحيمِ يَدَانِ

---

(١) رشيد سليم الخوري : شاعر لبناني ، لقّب بالشاعر القروي (١٨٨٧ - ١٩٨٤ م) من شعراء المهجر المجيدين .

(٢) الزق : وعاء توضع فيه الخمرة وغيرها من السوائل .

(٣) المحرم : الحرام . حفّ : أحيط . الأسل : الرماح . الشُرَّع : المسدّدة .

(٤) الوطباء : عظيمة الثديين .

(٥) الوقصاء : القصيرة العنق . الترائب : ج. التريبة ، وهي موضع القلادة من الصدر .

وَغَـادَرْتُ أصْحَـابي الـذين تَخَلَّفُـوا بِمَـا شِئْتُ مِنْ خِزْيٍ وَطُـولِ هَـوَانِ[1]
وَمَـا كُنْتُ أدْرِي قَبْلَهـا أنّ في النِّسَـا جَـحِـيـمـاً أرَاهُ جَـهْـرَةً ويـرانـي

* * *

قال أحدهم يهجو أمّ ولد له :

لَـهَـا شَـعْـرُ قِـرْدٍ إذا آزَّيَّـنَـتْ وَوَجْـهٌ كَـبِيضِ الـقـطا الأبْـرَشِ[2]
وَثَـدْيٌ يَـجُـولُ عـلى نَـحْـرِهـا كَـقـرْبَـة ذي الـثـلَّةِ الـمـعْـطِشِ[3]

* * *

وقال ابن المعتزّ يهجو عجوزاً :

عَجُـوزٌ تَصَـابَى وَهْي بِكْـرٌ بِـزَعْمِهَـا وَمُذْ ألْفِ عَامٍ قد وَجَى خَدَّهَا الواجي[4]
تَـرَى شَعْـرَهَـا تَحْتَ القِنَاعِ كـأنَّـهُ ضَفَـائِـرُ لِيـفٍ في هـديـة حَـجّـاج

* * *

وقال الشريف الرضيّ[5] يهجو رجلاً :

وَمُـرَوِّعٍ لـي بـالـسَّـلَامِ كـأنَّـمَـا تَـسْـلِيـمُـهُ مِـمَّـا يُـمِضّ وَدَاعُ[6]
تُـفْـقَـا بِـمَـنْـظَرِهِ الـعُـيُـونُ إذا بَـدَا وَتَـقِيءُ عِـنْـدَ غِـنـائِـهِ الأسْـمَـاعُ[7]
نَـزْوِي الـوُجُـوهَ تَفَـادِيـاً مِنْ صَـوْتِـهِ حَـتَّـى كـأنَّ سَـمَـاعَـهُ إسْـمَـاعُ[8]

---

(١) الخِزي : العار . الهوان : الذلّ .
(٢) القطا : طائر في حجم الحمام يعيش في الصحراء . الأبرش : المنقّط .
(٣) النحر : أعلى الصدر . الثلة : الجماعة من الضأن أو الغنم .
(٤) تصابى : تتصابى ، أي تتكلّف الصّبا . بكر : فتيّة . وجى الخدّ : وجده لا خير فيه .
(٥) الشريف الرضي : محمد بن الحسين بن موسى (٣٥٩ هـ ـ ٩٧٠ م/٤٠٦ هـ ـ ١٠١٥ م) ، أبو الحسن ، أشعر الطالبيين ، مولده ووفاته في بغداد ، له ديوان شعر في مجلدين . (الأعلام للزركلي ٦/ ٣٢٩) .
(٦) يمض : يؤلم .
(٧) فقأ العين : شقّها ، قلعها .
(٨) الإسماع : الشتم .

وقال الشاعر الغزّي يهجو خصمه :

وإنْ بَدَا سَافِراً لِنَاظِرِهِ ... فَوَجْهُهُ بالكُلُوحِ مُنْتَقَبُ[1]
لِلْجَمْعِ وَالمَنْعِ قَائِمٌ أبَداً ... كالفِيلِ لا تُثْنَى له رُكَبُ

* * *

وقال خليل مردم[2] يهجو رجلاً :

أحْفَى شَوَارِبَهُ وَلِحْيَتَهُ مَعاً ... أرَأَيْتَ رَأْسَ التَّيْسِ سَاعَةَ يُسْمَطُ[3]
وَمَشَى العَرَضْنَةَ خاسِراً عن رَأْسِهِ ... فكأنَّهُ إذْ ذَاكَ قِرْدٌ أشْمَطُ[4]
وَيُشِيرُ إذْ يهْدِي بِعَشْرِ أصَابِعٍ ... وَيَدُورُ مِثْلَ أبي الرِّيَاحِ وَيَلْبِطُ[5]
وَكَلامُهُ مُتَقَطِّعٌ بِسُعَالِهِ ... كالعَيْرِ يَبْهَرُ في النَّهِيقِ فَيَعْفِطُ[6]
فَكَأنَّهُ بِضَجِيجِهِ وَعَجِيجِهِ ... ذُو جِنَّةٍ بِقُيُودِهِ يَتَخَبَّطُ

* * *

وقال أيضاً :

جَهْمٌ كَظِلِّ الصَّخْرِ مَنْ يَرَهُ يَقُلْ ... هُوَ وَجْهُ مَيْتٍ بالسخام مُحَنَّطُ[7]
فإذا تَمَعَّرَ أو تَكَشَّرَ ضاحِكاً ... فكأنَّهُ مِنْ وَجْهِهِ يَتَغَوَّطُ[8]

---

(١) كلح وجهه : عبس وكشّر .

(٢) خليل مردم : هو خليل بن أحمد مختار مردم بك (١٣١٣ هـ - ١٨٩٥ م/١٣٧٩ هـ - ١٩٥٩ م) ، رئيس المجمع العلمي العربي في دمشق وأحد شعرائها ، مولده ووفاته بها ، له ديوان شعر وعدّة مؤلفات منها : « شعراء الشام في القرن الثالث » ، « جمهرة المغنين » ، و « الأعرابيات » ، و « أئمة الأدب » . (الأعلام للزركلي ٢/٢١٥) .

(٣) أحفى شواربه : بالغ في تقصيرها . يسمط : يزال عنه الوبر أو الشعر أو الصوف .

(٤) العرضنة : البغي في المشي . الأشمط : من خالط بياض شعره سواد .

(٥) أبو الرياح : شخص صغير من الحديد يوضع في أعلى البنيان يدور باتّجاه الريح .

(٦) العير : الحمار . يبهر : ينقطع نفسه من شدّة التعب . عفط : ضرط .

(٧) الجهم : العابس . السخام : وسخ القدر ، أو سواده .

(٨) تمعّر : تغيّر لونه واصفرّ . تغوّط : تبرّز .

وإذا تَنَحْنَحَ في الكَلامِ حَسِبْتَهُ ثَوْراً يَخُورُ عَلى العَلِيقِ وَيَنْحَطُ[1]

* * *

وقال حافظ إبراهيم[2] يهجو رجلاً عظيم البطن :

عَطَّلْتَ فَنَّ الكَهْرَبَاءِ فَلَمْ نَجِدْ شَيْئاً يَعُوقُ مَسِيرَها إلّاكا
تَسْرِي عَلَى وَجْهِ البَسِيطَة لَحْظَةً فَتَجُوبُها وَتَحَارُ في أحْشَاكا

* * *

وقال دعبل الخزاعي يهجو بخيلاً :

أتُقْفِلُ مَطْبَخاً لا شَيْءَ فِيهِ مِنَ الدُّنْيَا تَخَافُ عَلَيْهِ أكْلُ
فَهٰذا المَطْبَخُ آسْتَوْثَقْتَ مِنْهُ فما بَالُ الكَنِيفِ عليه قُفْلُ[3]
وَلٰكِنْ قَدْ بَخُلْتَ بِكُلِّ شَيْءٍ فَحَتّى السلح مِنْكَ عَلَيْكَ بُخْلُ[4]

* * *

وقال أيضاً :

وإنّ لَهُ لَطَبَّاخاً وَخُبْزاً وَأنْواعَ الفَوَاكِهِ والشَّرَابِ
وَلٰكِنْ دُونَهُ حَبْسٌ وَضَرْبٌ وَأبْوَابٌ تُطَابَقُ دُونَ بَابِ
يَذُودُونَ الذُّبَابَ يَمُرُّ عَنْهُ كَأمْثَالِ المَلائِكَةِ الغِضَابِ

* * *

---

(١) نحط : صوّت من الإعياء .

(٢) حافظ إبراهيم : محمد حافظ بن إبراهيم فهمي المهندس، (١٢٨٧ هـ - ١٨٧١ م/ ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م) ، شاعر مصر القومي لقّب بشاعر النيل ، توفي بالقاهرة ، له ديوان شعر وعدة مؤلفات . (الأعلام للزركلي ٦/٣٠٤، ٣٠٥) .

(٣) الكنيف : المرحاض .

(٤) السلح : الفضلات الخارجة من البطن .

وقال مسلم بن الوليد يهجو بخيلاً :

إذا سِيلَ عُرْفاً كَسَا وَجْهَهُ ... ثِيَاباً مِنَ اللُّؤْمِ حُمْراً وَسُودا

يُغِيرُ عَلَى المَالِ فِعْلَ الجَوَا ... دِ وَتَأْبَى خَلائِقُهُ أنْ يَجُودا

* * *

وقال حافظ إبراهيم يهجو بائع كتب وقحاً :

أدِيمُ وَجْهِكَ يا زِنْدِيقُ لو جُعِلَتْ ... مِنْهُ الوِقَايَةُ والتَّجْلِيدُ لِلْكُتُبِ

لم يَعْلُها عَنْكَبُوتٌ أيْنَمَا تُرِكَتْ ... وَلاَ نَخَافُ عَلَيْهَا سَطْوَةَ اللَّهَبِ

* * *

قال البحتريُّ[1] يهجو الخَثْعَمِيّ الشَّاعِرَ :

الآنَ عَلِمْتُ أنَّ البَعْثَ حَقٌّ ... وأنّ اللّهَ يَفْعَلُ ما يشاءُ

رَأَيْتُ الخَثْعَمِيَّ يُقِلُّ أنْفاً ... يَضِيقُ بِعَرْضِهِ البَلَدُ الفَضاءُ

سما صُعُداً فَقَصَّر كُلُّ سامٍ ... لِهَيْبَتِهِ وَغَصَّ بِهِ الهَواءُ

هُوَ الجَبَلُ الذي لولا ذُراهُ ... إذاً وَقَعَتْ على الأَرْضِ السَّماءُ

* * *

وقال البحتريّ يهجو وهب بن منبّه[2] على ضُراطه :

تعالى اللّهُ يَجْزي كُلَّ أَمْرٍ ... وَإنْ كَرِه العِبادُ بما أَحَبّا

برا[3] سُوقاً وَأَمْلاكاً عَلَيْهِم ... وَقَدَّرَ مِنْهُمُ عَبْداً وَرَبّا

---

(١) البحتري : الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي (٢٠٦ هـ - ٨٢١ م/٢٨٤ هـ - ٨٩٨ م) ، شاعر كبير ، ولد وتوفي بمنبج (بين حلب والفرات) ، له ديوان شعر ، وكتاب « الحماسة » . (الأعلام للزركلي ١٤١/٩) .

(٢) وهب بن منبّه ، أبو عبد الله ، (٣٤ هـ - ٦٥٤ م/١١٤ هـ - ٧٣٢ م) ، مؤرخ ، ولد ومات بصنعاء ، له « قصص الأنبياء » ، و « قصص الأخيار » ، ذكرهما صاحب كشف الظنون . (الأعلام للزركلي ١٥٠/٩) .

(٣) برا : برأ ، أي خلق .

وَفَضَّلَ في الكِتابَةِ آلَ وَهْبٍ وَقَدَّمَ بَيْنَهُمْ بالضَّرْطِ «وَهْبا»
أكبَّ على الوزيرِ يُريدُ قَوْلاً فَأَرْسَلَ ضَرْطَةً لَمّا أكبّا
فيا لَكِ ضَرْطَةً حلَّتْ مكاناً وسارَ حديثُها شَرْقاً وَغَرْبا!

* * *

وقال أيضاً في هجائه :

أَلَيْسَ طَبْعاً في بني آدَمٍ أَنْ يَخْجَلَ الضّارِطُ مِنْ ضَرْطَتِهْ
قَدْ نَالَ وَهْبٌ عِنْدَها رِفْعَةً وَزُلْفَةً، فازْدادَ في سَطْوَتِهْ

* * *

عيَّر الشاعر الجاهليّ قُريط بن أنيف[1] قومَه لأنَّهم ليسوا أصحاب شَرٍّ وعدوان ، فقال :

لكِنَّ قَومي وإنْ كانوا ذَوي عَدَدٍ لَيْسُوا مِنَ الشَّرِّ في شَيْءٍ وَإنْ هانا
يجزون مِنْ ظُلْمِ أَهْلِ الظُّلْمِ مَغْفِرَةً ومِنْ إساءَةِ أَهْلِ السُّوءِ إحْسانا
كَأَنَّ رَبَّكَ لَمْ يخلُقْ لِخَشْيَتِهِ سِواهُمْ مِنْ جَميعِ الناسِ إنْسانا

* * *

كان الشاعر الجاهليّ ربَّما هجا قبيلةً لأنَّها لا تغدر بذمّة ولا تظلم الناس . قال النجاشي هاجياً قبيلة تميم بن أبي بن مقبل[2] :

قُبَيِّلَةٌ لا يَغْدِرونَ بِذِمَّةٍ ولا يَظلمونَ الناسَ حَبَّةَ خَرْدَلِ
تَعافُ الكِلابُ الضّارِياتُ لُحومَهُمْ وَتَأْكُلُ مِنْ كعْبِ بنِ عَوْفٍ وَنَهْشَلِ

* * *

(١) قُرَيْط بن أُنَيْف العنبري التميمي ، شاعر جاهلي . (الأعلام للزركلي ٦/٣٨) .
(٢) تميم بن أبي بن مقبل من بني العجلان ، أبو كعب (ت: ٣٧ هـ - ٦٥٧ م) ، شاعر جاهلي ، أدرك الإسلام وأسلم ، فكان يبكي أهل الجاهلية ، عاش نيفاً ومئة سنة ، وعُدَّ من المخضرمين ، وكان يهاجي النجاشي الشاعر . (الأعلام للزركلي ٢/٧١) .

أهدى أحدُ الشُّعراء زميلاً له يُدعى توفيقاً حذاءً ، وقال :

لَـقَـدْ أَهْـدَيْتُ تَـوفـيـقـاً حـذاءً ... فـقـال الـقـائـلونَ: ومـا عَـلَيْـهِ؟
أمَـا قـالَ الـفتى العَـربيُّ يـومـاً: ... شـبـيـهُ الـشَّـيْءِ مُـنْـجَـذِبٌ إلـيـهِ؟

* * *

استأْصَل الشاعِرُ الظريف نظمي أيّوب غُدَّتَه الدّرقية ، وقال لصديقه الأديب ناصيف يمين مُداعباً :

قـطعتُ العَـهْـدَ مُـذْ كنْتُ صَبيّـاً ... بِـألّا أخـونَ إيـمـانـي وصِـدْقـي
ولـمّـا قُـلْتُ إنَّـكَ آدَمِـيٌّ ... وفـاءً لِـلْعُـهُـودِ قَـطَعْـتُ عُـنـقـي

فأجابه ناصيف :

أقـولُ وَقَـدْ عَـرَفْتُ القـولَ صِـدْقـاً ... يُـؤَكِّـدُ ذاكَ نَـثْـرٌ أو قَـريضُ
إذا قَـطَعَ الـطَّبِيبُ لَـدَيـك عُـنُـقـاً ... فـإنَّ قَـفـالَ عَـنْـهـا قَـدْ تَـعِـيضُ

فقال نظمي :

قَـسَـمَ الـعَـلِيُّ فَـأَنْـصَـفـا ... حَـمْـداً لِـعَـدْلِـهِ إذْ شَـفَـى
لأَظَـلُّ رَأْسـاً مـا حَـيـيـتُ ... وَتَـبْـقـى، مـا عِـشْـتَ، الـقَـفـا

فأجابه ناصيف :

مَـسَـخَ الـعَـلِيُّ فَـأَنْـصَـفـا ... وَبَـراكَ شَـكْـلاً مُـقْـرفـا
وَحـبَـاكَ رَأْسـاً فـارِغـاً ... فَـهَـذَى الـلِّـسَـانُ وَخَـرَّفـا
لـو كـانَ أَعْـطَاكَ الـذَّكَـاءَ ... لَـعُـدَّ رَبّـاً مُـجْـحِـفـا
لـكـنَّـهُ عَـمِـلَ الـصَّـحِـيـحَ ... فَـزَجَّ رَأْسَـكَ فـي الـقَـفـا

* * *

قال أحدهم يهجو ثقيلاً :

إذَا جـلسَ الـثـقـيـلُ إلـيـك يـومـاً ... أتَـتْـكَ عـقـوبـةٌ مـن كـلّ بـابِ

فهل لكَ يا ثقيل إلى خصالٍ تنالُ ببعضِها كَرَمَ المآبِ
إلى مالِي فتأخذُهُ جميعاً أجلَّ لديك من ماء السحابِ
وتنتفُ لحيتي وتدقّ أنفي وما في فِيَّ من ضرسٍ ونابِ
على ألاّ أراكَ ولا تراني مقاطعةً إلى يومِ الحسابِ

* * *

ولعبد الواحد الرشيدي[1] يتهكم بقاضٍ يأتمر بأمر زوجته :

وقاضٍ لَنا حكمُهُ باطلٌ وأحكام زوجتهِ ماضيه
فيا ليته لم يكن قَاضِياً ويا لَيتها كانت القاضيه

* * *

قال الناجي المصري يهجو الوزير الأفضل بن بدر :

قُلْ لابنِ بدرٍ مقالَ مَن صَدَقَهْ لا تَفْرَحَنْ بالوزارةِ الخَلِقَه
إنْ كنتَ قد نِلتَها مراغمةً فَهْيَ عَلى الكلبِ بعدكم صَدَقَه

* * *

قال المهذّب يذّم الزمان ويهجو كل الناس :

تَشَابَهَ الناسُ في خَلْقٍ وفي خُلُقٍ تشابُهَ الناسِ والأصنامِ في الصُّوَرِ
ولم أَبتْ قَطُّ مِن خلقٍ على ثقةٍ إلاّ وأصبحتُ من عقلي على غررِ
لا تخدعَنّي بمرئيٍّ ومستمَعٍ فما أُصدّقُ لا سمعِي ولا بصري
وكيف آمنُ غيري عندَ نائبةٍ يوماً إذا كنتُ مِن نفسي على حَذَرِ

* * *

---

(١) عبد الواحد الرشيدي ، (توفي ١٠٢٣ هـ ـ ١٦١٤ م) ، مؤرخ ، مولده في برج المغيزل (من أعمال رشيد بمصر) ، ووفاته بالقاهرة ، له : « نزهة المسامرة في أخبار مصر والقاهرة » . (الأعلام للزركلي ٤/٣٢٤) .

قال شاعر يهجو جاراً له :

لـو كنتَ ريحاً كـانت الـدَّبُـورا
أو كنتَ غيماً لم تكنْ مَـطيـرا
أو كنتَ مـاءً لـم تكـن نميـرا
أو كنتَ بـرداً كنتَ زمهـريـرا

* * *

داعب محمود غنيم صديقاً له سُرقت محفظتَه بقصيدة هذا بعضها :

هـوّنْ عليـك وجفّفْ دمعَـكَ الغـالي ... لا يـجمـعُ اللّه بيـن الخُلْقِ والـمـالِ
مِـن أينَ أصبـحتَ ذا مـال فَـتُسْلَبَـهُ ... يـا أشبهَ النّـاسِ بي في رقّةِ الحـالِ
فيـا لهـا صُـرّةً مِن جيبـكِ انـطلقتْ ... وأنـتَ أحـوجُ مـخلوقٍ لـمثـقـالِ
عـوِّدْ نقـودَكَ واعقـدْ حـولهـا عُقَـداً ... وثـيـقـةً تـتـحـدّى كـلَّ حـلاَّلِ
قـالـوا : خلتْ يـدُهُ مِن كـلِّ مـا ملكتْ ... فـقلتُ : بـل رأسُـهُ مِـن عـقـلهِ خـالِ
يـا ليتَ شعـريَ مـاذا أنت صـانـعُـهُ ... أتُـزمعُ الصّـومَ حتى شهـرِكَ التـالي؟
أقـسمتُ مـا سَلَبـتْ تلك الـنقـودَ يـدٌ ... لكنهـا هَـرَبَتْ مـن جيبِـكِ البـالي
الـذئبُ لا يشـتهي لحـمَ ابنِ جِـلْدتـهِ ... فـكيـف أَوْقَـعَ نشّـالٌ بـنشّـال؟!

* * *

للبهاء زهير يداعب صديقاً له :

أرِحْنـي مـنـك حـتّـى لا ... أرى مـنـظرَكَ الـوَعْـرا
فـقـد صـرتُ أرى بُـعْـدَ ... كَ عـنـي الـراحـةَ الـكـبـرى
فـمـا تـنـفـعُ فـي الـدنـيـا ... ولا تـنـفـعُ فـي الأخـرى

* * *

قال أحدهم يهجو زياد أبا صعصعة :

خـرجْـنـا غـداةً إلـى نـزهـةٍ ... وفـيـنـا زيـادٌ أبـو صـعـصـعـه

فستّةُ رهطٍ به خمسةٌ وخمسةُ رهطٍ به أربعه

* * *

قال داود عمون في قاضٍ عُرف بقسوة أحكامه :

يا قاضياً لو أتوهُ بطفلةٍ فوقَ مَهْدِ
وأتهموها بنقلِ الـ أهرامِ في يومِ شردِ
لَجَاءها منهُ حكمٌ يقْضِي بحبسٍ وجَلْدِ
فلا البداهة تُغني ولا النّزاهة تُجدي

* * *

للشيخ جواد الشبيبي[1] يصف أحد النوّاب :

ونائبٍ مَلأ الكرسيَّ قلتُ له : ماذا السكوت؟ تكلّمْ أيُّها الصَّنَمُ
الحامل الرّأس لم تسمعْ له أُذُنٌ والصاقِل الوجهِ ما في صفحتيهِ فمُ
بِمَ استحلَّ من الأوطانِ راتبَهُ وفي السّكوت قضتْ أيامُهُ الحُرُمُ

* * *

لأبي الشَّمَقْمَق[2] يهجو أوفى بن منصور وكان بخيلاً :

ما كنتُ أحسبُ أنّ الخبزَ فاكهةٌ حتى نزلتُ على أوفىٰ بنِ منصورِ
يَبْسُ اليدينِ فما يَسْتطِيْعُ بَسْطَهما كأنَّ كفَّيهِ شُدّا بالمساميرِ
الحابِس الروثَ في أعجافِ بَغْلتِه خوفاً على الحَبِّ مِن نَقْدِ العصافيرِ

---

(١) جواد الشبيبي : هو جواد بن محمد بن شبيب بن إبراهيم بن صقر البطائحي ، النجفي ، البغدادي (١٢٨١ هـ ـ ١٨٦٤ م/١٣٩٣ هـ ـ ١٩٤٤ م) ، عالم ، شاعر ، أديب لغوي ، ولد ببغداد في شعبان وتوفي بها ، ونقل إلى النجف فدفن فيه . من آثاره : ديوان شعر ، تعليقه في الأصول ، وديوان رسائل . (معجم المؤلفين ١٦٨/٣) .

(٢) أبو الشمقمق : مروان بن محمد ، (توفي نحو ٢٠٠ هـ ـ ٨١٥ م) ، شاعر هجاء من أهل البصرة . (الأعلام للزركلي ٩٧/٨) .

قال الجزّار يهجو بخيلاً :

لا يستطيعُ يرى رغيـ ـفاً عندَهُ في البيتِ يُكْسَرْ
فلو أنّه صلّى، وحا شاه، لقال: الخبزُ أكبرْ

* * *

قال أبو نخيلة[1] ـ وكان قبيحاً جداً ـ يهجو أهل اليمن :

لم أرَ غيري حَسَناً منذُ دخلتُ اليَمَنَا
فيا شقاءَ بلدةٍ أحسنُ مَن فيها أنا

* * *

كان ابن الصيّاد مولعاً بهجاء الجليس بن الحباب ، كثير الدعابة بأنفه الضخم . فانتصر أبو الفتح بن قادوس للجليس وقال ردّاً على ابن الصياد :

يا مَن يَعيبُ أُنوفَنا الـ ـشُّمَّ التي ليست تُعابْ
الأنفُ خِلقةُ ربّنا وقرونُك الشُّمُّ اكتسابْ

* * *

لأبي تمام يهجو أبا المغيث وكان يحجب نفسه عن الناس :

هَبْ مَنْ لـه شيءٌ يريدُ حجابَهُ ما بالُ لا شيءٍ عليه حجابُ
ما إنْ سمعتُ ولا أَرانيَ سامعاً أبداً بصحراءٍ عليها بابُ
مَن كان مفقودَ الحياءِ فوجهُهُ مِن غيرِ بوّابٍ له بوّابُ

* * *

---

(١) أبو نخيلة ، ابن حزن بن زائدة بن لقيط بن هدم ، من بني جِمّان من سعد بن زيد مناة بن تميم ، الحماني السعدي التميمي ، شاعر راجز ، (ت: نحو ١٤٥ هـ ـ ٧٦٢ م) . (الأعلام للزركلي ٨/٣٣١) .

من قصيدة لابن الحجّاج يهجو بها ثقيلا :

يـا قـعْـدَةً فـي دجـلةٍ والـريـحُ تـلعبُ بـالـجسـورِ
يـا شـؤْمَ إقـبـالِ الـشِّـتـا ءِ أَضـرَّ بـالـشـيـخ الـفـقـيـرِ
يـا لـيـلةَ الـعـريـان غُـبَّ عـشـيّـةِ الـيـومِ الـمـطـيـرِ
يـا نـومـةً فـي شـمسِ آب عـلى الـتـراب بـلا حـصـيـرِ
يـا فـجـأةَ الـمـكـروهِ في الـيـومِ الـعَـبُـوسِ الـقَـمْـطَـريـرِ
يـا حـيـرةَ الـعَـطشـانِ وقـتَ الـظهـرِ فـي وسطِ الـهـجـيـرِ

* * *

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
الهجاء ـ التعريف به وأنواعه	٧
١ ـ التعريف به	٧
٢ ـ أنواعه	٧
أ ـ الهجاء الشخصي	٨
١ ـ خَلْقِهم	٨
٢ ـ خُلُقِهم	٨
٣ ـ عرضهم ونسبهم	٩
ب ـ الهجاء السياسي	٩
جـ ـ الهجاء الديني	١٠
د ـ الهجاء الاجتماعي	١٠
الهجاء في العصر الجاهلي	١٣
ـ الحطيئة	١٤
ـ عوامل هجائه	١٥
الهجاء في عصر صدر الإسلام	٢٣
الهجاء في العصر الأموي	٢٥
١ ـ جرير	٢٦
٢ ـ الفرزدق	٣٩
٣ ـ الأخطل	٤٥

الموضوع	الصفحة

الهجاء في العصر العباسي ٥٣
١ ـ ابن الرومي ٥٤
٢ ـ المتنبي ٦٣
٣ ـ أبو نواس ٧٢
٤ ـ بشار بن برد ٧٩
٥ ـ دعبل بن علي الخزاعي ٨٢
الهجاء في العصر الأندلسي ٩٥
١ ـ نزهون الغرناطية وأبو بكر المخزومي ٩٦
٢ ـ نزهون وابن قزمان ٩٩
٣ ـ هجاء ولّادة لابن زيدون ١٠٠
٤ ـ هجاء مهجة بنت التياني القرطبية لولّادة ١٠١
الهجاء في العصر الحديث ١٠٣
١ ـ أسعد رستم ١٠٤
٢ ـ جورج جرداق والأخوان رحباني ١٠٩
٣ ـ شاكر يوسف الخوري ١٢٠
٤ ـ نزار قباني ١٢٣
معارضات شعرية وقصائد طريفة ١٣٣
١ ـ معارضة كامل فضول الحمصي لقصيدة السموأل: «إن الكرام قليل» ١٣٧
٢ ـ معارضة سعيدالمصول لمعلقة عنترة بن شداد ١٣٨
٣ ـ معارضة سعيد المصول لمعلقة عمرو بن كلثوم ١٣٩
٤ ـ معارضة سعيد المصول لمعلقة امرىء القيس ١٤١
٥ ـ معارضة إبراهيم طوقان لقصيدة أحمد شوقي: «قم للمعلّم» ١٤٢
٦ ـ قصيدة أسعد رستم في المخلوطة ١٤٣
٧ ـ قصيدة طريفة في المجدّرة ١٤٤
٨ ـ قصيدة للشاعر القروي ١٤٦
متفرقات هجائية ١٤٧
الفهرس ١٨٣

رقم: 92-251